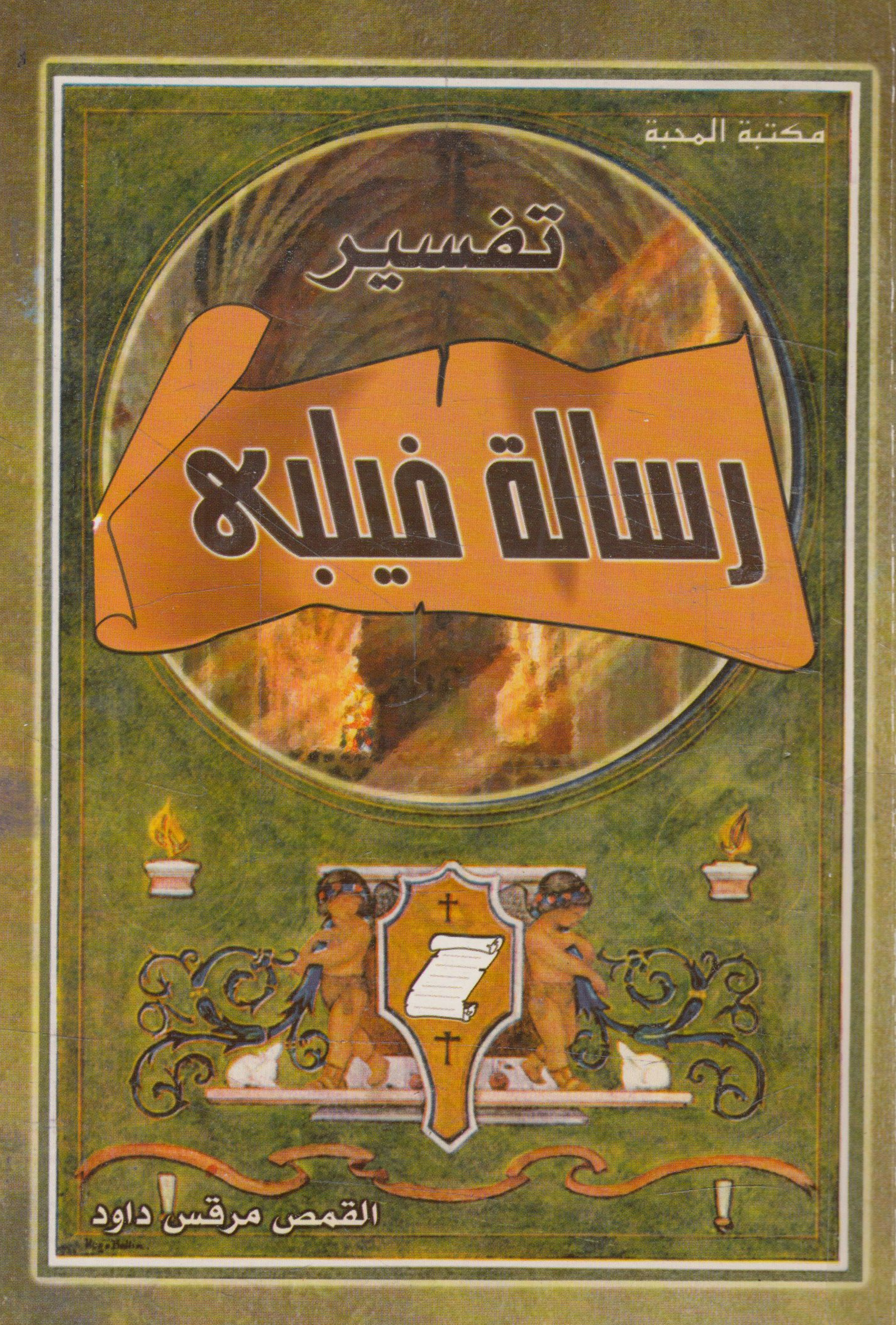

مكتبة المحبة
تفسير
رسالة فيلبي
القمص مرقس داود

تفسـير

رسالة فيلبي

تأليف

ف. ب. ماير

تعريب

القمص مرقس داود

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦١١ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى 977-12-0650-8

طبع بشركة هارمونى للطباعة
ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠

مقدمة المؤلف

فى هذا التفسير الروحى لرسالة فيلبى لم أحاول أن أتجه ناحية التفسير الحرفى، بل حاولت بأمانة التأكد من المعنى الذى قصده الرسول، كما حاولت طرق ذهبه الصافى النقي إلى صفائح.

وأعجب ما يلتقى به المرء دواماً لدى دراسة رسالة كهذه دراسة طويلة عميقة هو أن أولئك المؤمنين الأوائل كانوا يقيناً قادرين على تفهم وهضم مثل هذه التعاليم العميقة المركزة. عندما نذكر كل التفاسير والشروح والتعليقات والتأكيدات التى دونت عن هذه العبارات الرسولية فى كل الأجيال الماضية، وعندما نذكر أننا ـ مع ما بذلناه من جهد ـ لازلنا واثقين من أننا لم نسبر أغوارها بعد، ولم نصل إلى ارتفاعها، ولم نكتشف كل كنوزها، فإننا نجد أنفسنا مضطرين أن نشعر بأن النار الإلهية تشتعل هنا، وأن نخلع أحذيتنا من أرجلنا، اعترافاً منا بأن الله هنا بكيفية سامية رائعة عجيبة. إن كل تطلع وكل لمحة إلى المحبة البشرية الكاملة، وكل كلمة من أقوال الله لها نفس الطابع الخاص، طابع اللانهائية.

ويبدو لى ـ إن جاز لى القول ـ ان هذه الرسالة تتضمن، أكثر من أى سفر آخر، جوهر الخدمة التى أؤتمنت أنا عليها.

إن رغبتى الخالصة وصلواتى الحارة هى أن يكشف الروح القدس لكل الذين يطلعون على هذا المؤلف أعماق الله، وذلك بإعلان الحق،

ف. ب. ماير

مقدمة المعرب

باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

تعتبر رسائل الرسول بولس من أسمى أسفار الكتاب المقدس وتعتبر رسائله التى كتبها من سجنه فى روما (أفسس، فيلبى، كولوسى، فليمون) أعمقها. ذلك لأنه كتبها وقت أن كانت نفسه منسحقة تحت آلام السجن وظلمته الخانقة. والذين جازوا بوتقة الآلام هم الذين يدركون أن الآلام بركة للمؤمنين، ولا سيما تلك التى يجوزونها من أجل الله. ولهذا قال الرسول بولس فى نفس هذه الرسالة إنها هبة "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (فى ١ : ٢٩).

وتعتبر رسالة فيلبى أبهج رسائله، ذلك لأنها ـ أكثر من رسائله الأخرى ـ تفيض بالفرح الذى ملأ قلبه. كانت هنالك عوامل كثيرة ملأت قلبه بالفرح عند كتابة هذه الرسالة. كان من بينها (١) إن كنيسة فيلبى كانت أنقى الكنائس وأعمقها روحانية. فلا أثر فى الرسالة لكلمة توبيخ من أجل أى خطأ ارتكبوه، أو تقويم لأى اعوجاج سلكوه. وهل هنالك باعث للفرح أعظم من هذا. قال الرسول يوحنا "ليس لى فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق" (٣يو ٤). (٢) إن هذه الكنيسة كانت قريبة جداً إلى قلب الرسول، إذ هى أول كنيسة أسسها فى أوربا، كما كان شعبها يعطفون عليه مادياً ومعنوياً أكثر من غيرهم. (٣) لأنه كان يرى أن

وثقه آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل ونجاحه. (٤) لأنه كان يرى أن الرب قريب منه يسنده فى ضعفه ويعضده فى محنته. والذين يقرأون هذا الكتاب يستطيعون أن يدركوا باقى العوامل التى ملأت قلب هذا الرسول العظيم بالفرح وقت كتابة هذه الرسالة.

وإننى ـ بعد شكر الله ـ أقدم شكرى القلبى الخالص للقائمين بأمر مكتبة المحبة القبطية لتكرمهم بنشر هذا الكتاب، وأبتهل إلى الله أن يبارك فى جهودهم لكى تأتى بثمار كثيرة لمجد الله وخلاص النفوس.

وإذ أرفع هذا الكتاب أمام العرش أتوسل إلى الجالس على العرش أن يتقبله ويستخدمه لبركة كل نفس تقرأه،

١٥ يوليه ١٩٦١

٨أبيب ١٦٧٧

القس مرقس داود

(١)

مقدمة الرسالة

(فى ١ : ١، ٢)

"بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة

نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح"

هذه الرسالة أرق كل الرسائل. لا تأنيب فيها ولا توبيخ. بل هى مليئة بكلمات التشجيع والفرح والسلام، رغم أنها كتبت فى القيود التى طالما أشار إليها الرسول (ص ١ : ٧، ١٣، ١٤، ١٦). لا أثر فيها لروح اليأس أو الظلام. ورغم أنها أرسلت إلى كنيسة لم يرها مدة خمس أو ست سنوات فيبدو أنه لم يجد أية ضرورة للقسوة أو التوبيخات التى امتلأت بها الرسائل الأخرى.

تاريخ ومناسبة كتابة الرسالة. إن كانت هذه الرسالة قد كتبت ـ كما هو مرجح ـ فى بدء سجن بولس فى روما وجب القول ان تاريخ كتابتها هو سنة ٦٢م. لقد كانت هى أولى رسائله التى كتبها فى السجن، والتى تعتبر من أعظم كنوز الكنيسة. كانت رسالة كتبها رسول مضطهد إلى كنيسة مضطهدة. لكن روحه لم تقيد ولم تختنق من رطوبة السجن. ولعل البيت

الذى استأجره لنفسه كان فى مضايقاته يشبه سجن "بدفورد" الذى قال عنه يوحنا بنيان انه مغارة، مع هذا الفارق وهو أن الرسول كان يحس ـ بما لم يحس به يوحنا بنيان ـ بصليل السلسلة الذى كان يلازمه فى كل حركة.

أما المناسبة التى كتبت من أجلها هذه الرسالة فتجدها موضحة بجلاء فى الإشارات التى أشار إليها الرسول. كانت فيلبى تقع على رأس بحر اليونان، على بعد نحو تسعة أميال من الشاطئ. وكان اسمها السابق مدينة النبع، وبعد ذلك وسعها فيليب ملك مقدونيا فسميت باسمه. ولقد شهدت الموقعة المشهورة بين بروتس وكاسيوس من ناحية وبين أوكتافيوس وأنطونيوس من الناحية الأخرى. وتذكاراً للنصرة الحاسمة للامبراطورية على الجمهورية خلع عليها أوغسطس الشرف والامتياز أن تكون مستعمرة رومانية. وكانت فى الواقع صورة مصغرة من روما. لذلك نسمع عن قناصلها وولاتها (أع ١٦ : ٢٠). كان الطريق الاغناطى العظيم يمر بها. وكمستعمرة رومانية واقعة على هذا الطريق العام العظيم كانت مزدهرة وغنية. ولو انها الآن لم تعد إلا قاعاً صفصفاً لايمر بها إلا السائحون والرعاة.

ذهب إليها الرسول استجابة لرؤيا الرجل المقدونى، لكنه قوبل مقابلة تافهة. ألقيت عظته الأولى على حفنة من اليهود الأتقياء، سيما النساء، الذين إذ عجزوا عن تشييد مجمع اعتادوا أن يجتمعوا عند نهر كل سبت. أما رواية فتح قلب ليدية وإنشاء كنيسة مسيحية حظيت بزيارتين من الرسول

فإنها معروفة للجميع ولا تحتاج إلى تكرار.

كان ابفرودتس، الذى أرسله الفيلبيون إلى بولس مزوداً بتحياتهم ومساعدتهم المالية، قد مرض أثناء اقامته فى روما. ونظراً لأن أنباء هذا المرض سببت انزعاجاً شديداً لكنيسة فيلبى فقد أسرع الرسول فى ارساله إليهم بعد شفائه مزوداً برسائل شكر ومحبة، حتى إذا ماحل بشخصه فى وسطهم تبدد هذا الانزعاج الذى خيم بظلمة كثيفة على كل الجماعة.

ويكفى القول أن هذه الرسالة قد شهد الجميع بصدقها وصحتها. أشار إليها كل من أغناطيوس وبوليكاربوس، واقتبس منها كل من اكليمنضس وايريناوس وترتليانوس. وهى تحمل فى ثناياها أدلة كثيرة على أنها انبعثت إلى الأمم من قلب الرسول العظيم.

* * *

«بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح». قبل ذلك ببضع سنوات، اهتدى تيموثاوس إلى المسيح، إذ كان شاباً يافعاً، لدى زيارة بولس الأولى إلى لسترة. عندما قدم إليه بولس المسيح كمتمم للعهد القديم قبله بكل حماس الشباب، إذ كان قد تعلم التعليم الكافى على يدى أمه أفنيكى وجدته لوئيس. وبعد ذلك إعتبره الرسول بصفة مستمرة "ابنه فى الإيمان". وفى فترة السبع السنوات التالية نما فى المعرفة والمحبة، فرآه بولس فى زيارته الثانية جديراً بمرافقته ومشاركته فى المشقات والمتاعب من أجل الإنجيل.

وقد اقترن الاسمان معاً فى الرسالة الثانية إلى كورنثوس، ورسالتى كولوسى وفيلبى، والرسالتين الأولى والثانية إلى تسالونيكى. ونحن لن ننسى أبداً تلك الرسالة الرائعة الأخيرة التى أرسلها إليه الرسول من سجن "مامرتين" قبيل استشهاده. ومما هو جدير بالملاحظة أن الرسول الذى يشير فى افتتاحية هذه الرسالة إلى "القديسين الذين فى فيلبى" يصف نفسه وتيموثاوس بأنهما "عبدا يسوع المسيح". ليس فى هذه التسمية المتواضعة أى إدعاء أو عظمة أو كبرياء. ومع أنه كان لدى الرسول الكثير مما يفتخر به، إذا ما راجع حياته الماضية الحافلة بالأعمال الجليلة، إلا أنه كان يدرك قدر سيده المسيح الجليل الشأن، حتى أنه فى حضرته لم يأخذ إلا أوضع مكان. كان يعتبر نفسه كقطعة متاع اشتراها المسيح، لا بأشياء تفنى بل بدمه الكريم. إن كان خدام الكنائس يتحدثون عن أنفسهم بنفس هذه الروح، روح البساطة والتواضع والاستسلام لإرادة السيد، فإن الناس يمتدحونهم.

* * *

القديسون والقداسة. "إلى جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة". لقد أكثر الرسول من استعمال كلمة "قديسين" فى كلماته الافتتاحية فى الرسائل. فى رسالة رومية يدعو المؤمنين "مدعوين قديسين". وهكذا أيضاً فى (١كو ١ : ٢، أف ١ : ١، كو ١ : ٢). ولا نستنتج من هذا أنهم كانوا كاملى الصفات. بل أنهم كانوا قد أفرزوا من العالم بصليب المسيح ومسحة الروح القدس لإتمام دعوة عليا وخدمة

مقدسة فى العالم. تطلق الكنيسة فى الوقت الحاضر هذا اللقب على بعض الراحلين الذين كملوا سعيهم وانتقلوا إلى خدمة العالم العتيد، على انه لا يطلق إلا بعد انطلاقهم ببضع سنوات. لكن الرسول لم يتردد فى أن يطلقه على أناس لم يكتملوا بعد فى المعرفة، بل كانوا فى حاجة ماسة إلى الكثير من النصح والتعليم. وهكذا إذ قال عنهم أنهم قديسون نسب إليهم قصد الله السامى من دعوتهم، ولعله فكر فى أن تكون هذه هى أنسب وسيلة لحثهم على أن يعملوا ليستحقوا هذا اللقب.

أليست هذه طريقة حكيمة لمعاملة البشر؟ إذا فلا تكتف بتوبيخهم إذا أخطأوا، بل ضع يدك على كتفهم، وأخبرهم بأنك واثق أنه من الممكن أن يكونوا فى حالة أفضل، وأن امكانية القداسة كامنة فى النفس بفضل عمل نعمة الروح القدس الذى يغيرهم ويجددهم إلى صورة المسيح. بذلك تبعث فيهم الأمل والعزيمة والقصد النبيل، بذلك تحيى فيهم الرجاء بأن الله سوف يشملهم ضمن قديسيه.

أتريد أن تكون قديساً حقاً؟ إذاً فأجبى فى المسيح كملك لك، أحيى فيه فى كل دقائق حياتك اليومية. دعه يكون هو الجو المحيط بك، هو الحصن الذى تتحصن فيه من هجمات الشرير من الخارج، هو الرائحة العطرية التى إذ تنبعث من مقدس طبيعتك الداخلية تظهر فى أقوالك وأفعالك.

«**أساقفة وشمامسة**». استعملت كلمة "أساقفة" أحياناً فى العهد الجديد

لتعبر عن "القسوس" كما ورد في (أع ٢٠ : ١٧ ، ٢٨). أما عن الشمامسة فلنرجع إلى ما ورد في (أع ٦). وواضح أنه كانت في الكنيسة الأولى درجات في الخدام(١).

التحية المزدوجة. "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح". كانت النعمة هي التحية الغربية، والسلام هو التحية الشرقية، وقد مزجهما الرسول معاً. لقد أراد لأحبائه الغائبين عنه أن يعرفوا أكثر فأكثر عن نعمة الله المجانية، نعمة الغفران والقبول لديه، نعمة التمتع بمعونته وعزائه. أرادهم أيضاً أن يعرفوا ذلك السلام الذي امتلأ به قلبه وسط المحن التي يحل عنها الوصف، والذي تركه السيد لأتباعه "سلامي أترك لكم. سلامي أعطيكم".

لاحظ كيف يذكر معاً الله الآب والرب الفادي. وهو بذلك يعبر عن الوحدة الكاملة بين الآب والابن. وبالرغم من أنه تلقن في تعليمه الأول وحدة الطبيعة الإلهية فإنه لم يتردد عن أن يذكر معاً الله الآب والرب يسوع المسيح لأنهما واحد.

وجدير بالملاحظة أيضاً أن نرى عدد المرات التي يذكر فيها اسم المخلص. لقد ورد أربعين مرة في هذه الرسالة أي بمعدل مرة في كل آيتين أو ثلاث آيات. لكن هذا مايتميز به العهد الجديد، سيما رسائل بولس. لقد كان

---

(١) احتفظت الكنيسة منذ العصر الرسولي بهذه الثلاث الدرجات الكهنوتية. أسقف، قس، شماس.

عبداً ليسوع المسيح، ولقد رأى جميع القديسين عائشين معه فى المسيح. لقد امتلأت حياته بالمسيح كان المسيح هو حياته،.وكان الموت يعنى فى نظره الارتحال ليكون معه. كان فرحه ينحصر فى المسيح يسوع. لم يكن ممكناً أن يتم ثباته ورسوخ أقدامه إلا إذا ثبت هو وتابعوه فى الرب. كان الرب قريباً منه على الدوام. ولأن كل المؤمنين ثابتون فى المسيح فإنهم يستطيعون الاعتماد عليه ليسد كل أعوازهم.

فلنغتبط إذ نعرف أن معين النعمة والسلام لا ينضب. لكنه يفيض علينا حتى فى عصر المدنية هذا، ووسط ظروف الحياة العصرية المتغيرة. المسيح هو الذى كان والكائن وسوف يكون إلى الأبد. فيه لازالت الكنيسة كائنة، ومنه لازالت تستمد نعمة فوق نعمة، وإليه سوف تحضر لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك،

(٢)

صلاة وتضرع

(فيلبى ١ : ٣، ٤)

"أشكر إلهى عند كل ذكرى أياكم دائماً فى كل أدعيتى (صلواتى) مقدماً الطلبة لأجل جميعكم بفرح".

صلوات الرسول بولس: إن رسائل الرسول بولس مليئة بالإشارات إلى صلواته. ويجوز لنا القول إنها هى كتاب صلاته. والآن فلنتأكد من هذه الحقيقة بالرجوع إلى رسائله حسب ترتيبها الحالى فى الكتاب المقدس.

(رو ١ : ٩) "إن الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً فى صلواتى...".

(١كو ١ : ٤) "أشكر الله فى كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم فى يسوع المسيح".

(أف ١ : ١٦) "لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم فى صلواتى".

(أف ٣ : ١٤) "بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح".

(كو ١ : ٣) "نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلين لأجلكم".

(كو ٢ :١) "فإنى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم ولأجل الذين فى لاودكية وجميع الذين لم يروا وجهى فى الجسد".

(١تس ١ : ٢) "نشكر الله من جهة جميعكم ذاكرين إياكم فى صلواتنا".

(٢تس ١ : ١١) "الأمر الذى لأجله نصلى أيضاً كل حين من جهتكم".

(٢تى ١ : ٣) "إنى أشكر الله.. كما أذكرك بلا انقطاع فى طلباتى".

(فيملون ٤) "أشكر الله كل حين ذاكراً إياك فى صلواتى".

هذه الآيات كافية للبرهان على أن رسائل القديس بولس مليئة بالاشارات لصلواته من أجل الذين تجددوا على يديه. وكما أن ربنا يسوع المسيح حى إلى الأبد ليشفع فينا، هكذا ينبغى على الراعى الحقيقى، مدرس مدارس الأحد، بل كل مؤمن، أن يذكر فى صلاته المخلصين وغير المخلصين، ممن أوكلوا اليه، نهاراً وليلا بلا انقطاع.

صلاة الدموع وصلاة الفرح: لكن كانت هنالك راحة خاصة فى صلاة الرسول لأنه يقول فى (ع ٤) "دائماً فى كل أدعيتى مقدما الطلبة لأجل جميعكم بفرح". إلى الذين يعرفون من بيننا معنى الصلاة يدركون مقدار التغيرات التى تحدث للنفس التى تنتظر قدام الله. هنالك مواضع فى

صلواتنا اليومية لايمكن إلا أن تنساب فيها الدموع. إننا نصلى بصراخ شديد ودموع من أجل أولئك الذين تحجرت قلوبهم وتقست ضمائرهم، من أجل من أعطوا الله كتفاً معاندة، من أجل بعض الكنائس أو الهيئات التى كادت تصبح مقفرة. إننا نطأ هذه المواضع فى صلواتنا اليومية بالبكاء زارعين بذاراً تأتى بثمار كثيرة.

هنالك مواضع أخرى فى صلواتنا اليومية مليئة بالفرح. عندما نصلى من أجل ابن محبوب، من أجل نفس عزيزة، من أجل عمل مبارك يتمتع بعطف السماء بصفة مستمرة، فاننا نجد سهولة فى الصلاة ونقدم الأدعية والطلبة بفرح. إننا نعرف تماماً ماذا يعنى القديس بولس عندما قال إن هنالك فرحاً فى الصلاة غمر قلبه عندما صلى من أجل أهل فيلبى.

* * *

صلواتنا الفردية: إن الحاجة الماسة للغالبية الساحقة بيننا هى نهضة عظيمة فى صلواتنا الفردية. نحن لانستطيع أن نقول كما اعتاد أحدهم أن يقول "لدى اليوم أعمال كثيرة لايمكننى أن أتقدم إليها بأقل من ثلاث ساعات فى الصلاة". واعتاد آخر أن يخصص خمس ساعات كل يوم للعبادة الفردية. واعتاد ثالث أن يعود إلى الصلاة كل ثلاث ساعات، وكان فى كل مرة يقدم صلاة طويلة من أجل موضوع خاص.

إن الطريقة التى نعيش بها، بل أن طرق تفكيرنا تقف حائلة دون ممارسة

أى شئ يحتاج إلى حصر الذهن مدة طويلة. والأمر واضح وجلى اننا ينبغى أن نصرف وقتاً أطول فى الصلاة، أن نجاهد فى الصلاة مثل أبفراس (كو ٤ : ١٢)، أن نزداد تعمقاً فى الصلاة، أن نغرس عادة الصلاة.

اغرس العادة: تحتاج عادة الصلاة إلى غرس بعناية شديدة. وإن غريزة الصلاة والمحرك على الصلاة متوافران لدينا بنعمة الروح القدس، ولكننا نحتاج إلى غرس الحركات الداخلية الرحيمة إلى أن تتأصل وتصبح عادة ثابتة وطيدة.

ينبغى أن نخصص وقتاً معيناً كل يوم للصلاة. ولا جدال فى أن **ساعة الصباح** هى أفضل الأوقات. عندما ينهض الجسم منتعشاً بعد النوم، وقبل أن يهجم على العقل التفكير اليومي والمشاغل اليومية، قبل أن تختلط بهذا أو ذاك، **عندئذ** تحلو الصلاة.

اعط لله تفكيرك الأول.
لكى يظل فى رفقتك طول اليوم.
ويظللك بجناحيه في نومك.

ليكن لك موضع خاص للصلاة: يحسن أيضاً أن يكون لك موضع خاص للصلاة. يحسن أن تكون هنالك غرفة خاصة، ومكان خاص فى الغرفة، أو مكان فى الحديقة أو فى الصحراء أو جانب البحر، حيث نقضى فيه فرصة الصلاة. أما وضع الجسم فى الصلاة فهذا أمر ثانوى. كم من

صلوات هزت السماء لكنها رفعت أثناء المسير أو أثناء تأدية العمل أو أثناء الرقاد على فراش المرض. عندما كان بولس يقضى الليل والنهار فى الغمق كانت نفسه مستغرقة فى روح الصلاة كما كان متجلياً فى الهيكل.

زار مرة أحد الرعاة رجلا غنياً فوجده فى غم شديد لأنه نسى أن يرفع غطاء رأسه أثناء الصلاة فى الليلة السابقة. فاستطاع الراعى أن يزيل هواجسه إذ أكد له أن الله لايهتم بهيئة الجسم وقت الصلاة بقدر مايهتم بسكب النفس أمامه.

تعمق فى روح الصلاة: إن النقطة الجوهرية لكل منا هى أن نكون فى روح الصلاة، لكى لاتكون الصلاة مملة أو متعبة بل تضفى على الروح بهجة وانتعاشاً. وعلى أى حال يجب أن لاننتظر الأعماق قبل الشروع فى تسيير السفينة. وان لم توجد مياه عميقة فلننتفع على قدر الاستطاعة بالمياه الموجودة. إن لم نستطع أن نخطو إلى السفينة الكبيرة فلنستعن بالقارب الصغير الذى يمكنه السير فى المياه القليلة العمق. إن لم تهب الريح لتملأ قلاع السفينة فلننتفع على قدر الاستطاعة بهبات النسيم الرقيقة. جميل جداً أن تندفع النفس إلى الله فى ساعة الصلاة كاندفاع الطفل نحو أمه أو الزوجة نحو زوجها. لكن إن لم تتوفر هذه الرغبة الحارة فلنصل، لأننا ينبغى أن نصلى، ولأن محب النفوس الأعظم يتألم إن لم نظهر فى المكان المعين لنحفظ الموعد المعين.

أما الطرق لحث النفس البليدة على الصلاة فهى كثيرة. ولنقدم هنا بعض الاشارات البسيطة التى نرجو أن تكون نافعة.

عندما تحين ساعة الصلاة فاقض بعض الوقت فى صمت على عتبة الهيكل لتتذكر مقدار عظمة الله، ومقدار عظمة التسبيح الذى ينبغى أن يرفع إليه، ومقدار عظمة احتياجاتك. تذكر المسافة الشاسعة بينك وبينه، وتأكد من أنها مليئة بالمحبة. تذكر المواعيد الكثيرة التى تأمرك بالاقتراب منه. تأمل فى كل النفوس الطاهرة التى دخلت ولا زالت تدخل من نفس هذا الباب. ولا تنس الفرص الكثيرة التى ضفت فيها السماء، وانقشعت الغيوم. وتبدل الضعف إلى قوة، وذلك بفعل صلاة واحدة قصيرة.

حاجة أعظم: إننا نحتاج بصفة خاصة لمساعدة الروح القدس الذى يعين ضعفاتنا فى الصلاة. لقد أشعل شرارة التعبد فى البداءة، وهو يعرف كيف ينفخ فيها حتى تصير لهباً. جميل أن تثق فيه وتعترف بأنك تريد أن تصلى ولكنك لاتقدر، وبأنك فاتر الهمة وبارد المحبة، وبأن الشفتين اللتين يجب مسهما بالنار باردتان كالصقيع، وبأن الأجنحة التى ينبغى أن تحملك إلى السماء مقصوصة. إنه يحبك أن تلجأ اليه، ويقيناً أنه ينفث قوة فى النفس الضعيفة لكى ترتفع إلى فوق على جناحى النسر، وتركض دون أن تتعب، وتمشى دون أن تعيا (أش ٤٠ : ٣١). إن ألقيت نظرة واحدة إلى روح الصلاة وجدته فى قلبك، وجدته كمعز قد وقف بجانبك مبيناً لك

الهدف الذى ينبغى أن توجه اليه صلواتك، ومثبتاً يديك المرتعشتين، وجدته كروح الحياة يحررك من ناموس الخطية والموت.

يـــا روح قـــدس الـــلـــه	أشـرق عـــلـــى الـقـــلـــب
جـــدد بـــه روح الحـــيـــاة	والـــطـــهـــر والحـــب
وشـــــــدد الإيمــــــان	وانـــزع دجـــى الأوهـــام
واضـرم بـنـا طـول الـزمـان	حـــبـــاً عـــلـــى الـــدوام

بعض مايساعد على الصلاة: يجب أن تستعين بالكتاب المقدس، وبعد ذلك يحسن قراءة بعض الكتب التى تحرك روحك وتحفزك على الصلاة، سواء كانت هذه الكتب عن سير الآباء أم كتباً روحية.

قد تكون الصلاة فى بعض الأحيان اعترافاً ببعض أخطاء ارتكبت حديثاً فحجبت عنك وجه المسيح، قد تكون لمجرد تقديم الشكر إذ تتأمل فى البركات العديدة التى أغدقها عليك، قد تكون للتوسل إليه من أجل صديق عزيز أو أصدقاء. لكنك فى كل الأحوال تجد معونة قوية عندما تلجأ إلى الله بالصلاة.

شرط الصلاة الموفقة: هنالك شرط للصلاة الموفقة يجب أن لاينسى أبداً. يجب أن نؤمن أن الله موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه باجتهاد (عب ١١ : ٦). يجب أن نؤمن بأن عيناً تتطلع إلى جهادنا الضعيف وأذناً تصغى، وقلباً يرق لطلباتنا ويتأثر بتوسلاتنا. لكننا نحتاج مع هذا إلى الإيمان

الحى الذى يعتمد على أمانة الله ويثق بأن الصلاة قد استجيبت عندما تكون مرتكزة على بعض مواعيد معينة ومنبعثة بعمل الروح القدس. عندما نصلى لايكفى أن نسرد فى أذن الله قائمة طويلة من الطلبات، بل يجدر بنا أن ننتظر بعد كل طلبة لكى ننال استجابتها، كأننا نرى الله يأخذ من رف مخازنه الأمر الذى وضعنا عليه قلوبنا، ويكتب عليه اسمنا ويضعه جانباً حتى تحين اللحظة المناسبة التى يمكن أن يمنحه لنا فيها دون أى ضرر. وسواء كان فى أيدينا أم لا فهذا ليست له أهمية تذكر لأننا "**نعلم** أن لنا الطلبات التى طلبناها منه" (١يو ٥: ١٥).

الله ملجأ لنا	فى كل أحوال الحياة
عليه نلقى همنا	فى كل شئ بالصلاة
إن كنا فى تجربة	فمعها يعطى المنفذا
ندعوه يوم ضيقنا	فيقدر أن ينقذا
أمام عرش النعمة	نأتى بثقة البنين
حيث يسوع جالس	يشفع فينا كل حين

(٣)

أساس الصلاة وهدفها

(فيلبى ١ : ٥ - ١١)

"لسبب مشاركتكم من أول يوم إلى الآن. واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح.

كما يحق لى أن أفتكر هذا من جهة جميعكم لأنى حافظكم فى قلبى فى وثقى وفى المحاماة عن الإنجيل وتثبيته أنتم الذين جميعكم شركائى فى النعمة.

فان الله شاهد لى كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح

وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم

حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكى تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح

مملوئين من ثمر البر الذى بيسوع المسيح لمجد الله وحمده".

شعور بالقرابة: كان أساس تضرعه مثلثاً.

(الأول) إنه نشأ من شعوره بقرابة الفيلبيين له. هذا ما نجده فى الآية الخامسة "مقدماً الطلبة لأجل جميعكم بفرح بسبب مشاركتكم فى الإنجيل" أى مشاركتكم فى تقدم الإنجيل. أنظر أيضاً (ع ٧).

كان الباعث على تضرعه شعوره بأن الذين صلى من أجلهم قريبون من نفسه فى عزمهم وفى هدفهم. ألم يظهروا هذه المشاركة بإرسالهم لحاجته أكثر من مرة كما نرى فى ختام هذه الرسالة؟ بالرغم من فقر هذه الكنيسة الشديد فقد أرسلت مراراً تقدمات سخية لسد أعواز الرسول، وهذا برهن على أنهم كانوا مشتركين معه فى نفس القصد الواحد.

وأكثر من هذا فقد كان هنالك التلغراف اللاسلكى الذى حمل فى سفينة حياته التى عذبتها العواصف والأنواء صلوات وعطف الذين تجددوا على يديه. هكذا توجد نفوس قريبة إلينا نحن أيضاً فى أرجاء العالم المختلفة، وهذه تستطيع بصلواتها أن ترسل إلى نفوسنا ذبذبات من النشاط المقدس والهمة الروحية، ونحن عندما نصلى لأجلها نستطيع أن نقدم الطلبة بفرح.

الحياة مع الله: أما الأساس الثانى فقد كان الرسول واثقاً من أنه يعيش فى دائرة مقاصد الله، وهذا ما يحبب إلينا الصلاة على الدوام. "واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح". فى هذه الأعداد يذكر يومين، الأول "من أول يوم" ع ٥ والثانى "يوم يسوع المسيح" ع ٦. وهو يقول إن الله الذى بدأ العمل فى اليوم الأول والذى يكمله فى اليوم الأخير مستمر فيه بين هذين اليومين ويبنيه خطوة فخطوة.

إن اليوم الأول فى حياتنا المسيحية يعزى إلى تدخل النعمة الإلهية "فى البدء خلق الله". وكلما طالت بنا أيام الحياة ازددنا تأكداً بأن بداية العمل

الصالح فى داخلنا يجب أن تنسب إلى الله. لم يبدأه أى راع أو أم أو معلم، لكن الله هو الذى وضع حجر الأساس فى أعماق القلب بروحه القدوس. وفى وسط أخطائنا وسقطاتنا ومعاصينا هو لايزال يبنى العمل الذى بدأه والذى لايمكن أن يتركه. فى قرية بعلبك بلبنان نجد آثار هياكل لم يتم بناؤها تركها الإنسان دون أن يكملها. لكننا لن نجد فى الكون أى عالم لم يتم تكوينه، لن نجد أنصاف شموس تركت ناقصة، ولو أنه هنالك أشياء كثيرة مستمرة فيها عملية الخلقة. إذا ما ذهبنا إلى دار أحد الفنانين وجدنا بها بعض الصور التى لم تتم بعد، إما لعجز فى مقدرة الفنان أو لموته. أما إذا تأملنا فى خليقة الله فإننا لن نجد أى آثار للتعجل أو عدم المقدرة على الاتمام، بل بالعكس نتأكد من أن ما بدأته نعمته سوف تتممه ذراع قدرته. إنه من السهل أن تصلى من أجل نفس عندما تدرك أن الله يعمل أيضاً ليكملها.

مدفوع بالعواطف: الأساس الثالث عواطفه الرقيقة من نحوهم (ع ٧، ٨). فانه يقول "لأنى حافظكم فى قلبى... فإن الله شاهد لى كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح". اقترب الرسول جداً من ذات قلب ربه حتى استطاع أن يسمع نبضاته، بل كان يبدو له أن أحشاء يسوع المسيح نحو هؤلاء الفيلبيين كانت تنبض فى قلبه هو.

ليتنا نحيا إذاً هكذا. هنالك أولاد وبنات فى مدرستك يضايقونك كثيراً بسبب عنادهم ومشاكساتهم المستمرة، هنالك رجال ونساء نلتقى بهم كل

يوم ولا نشعر بمحبتهم. لكن ليرجع كل منا إلى قلب يسوع المسيح حتى ينسكب فى قلوبنا كل ما فيه، حتى نبدأ بأن نحنّ على الضالين بنفس العواطف التى ليسوع. قبل أن تنتهى من سماع تلك الرواية الأليمة، قبل أن تقول بأنك لن تكلم هذا الشخص ثانية، قبل أن تعامل غيره بروح الجفاء والفتور، ارجع إلى قلب يسوع المسيح حتى يمتلئ قلبك بأحشائه، عندئذ تستطيع أن تقدم الطلبة بفرح.

موضوع الصلاة: يقول فى (ع ٩) "وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر" أو حسب النص اليونانى "أن تفيض محبتكم" كما تفيض المياه من كل جانب من الوعاء الموضوع على العين. فكأنه يقول: وهذا أصليه أن تفيض محبتكم نحو بعضكم البعض وبالأخص نحو الله. آه! ليتنا نعرف هذا ونتكمل فى المحبة، ليت قلوبنا لاتتسع لشئ آخر غير المحبة، ليت هذا يحتل كل كياننا. لأنه عندما يمتلئ القلب حقيقة من محبة الله يتأثر بها كل شئ، نبرات الصوت، حركات الجسد، نظرات الوجه، كل التصرفات. فى كثير من المرات ننطق بعبارات القلق والجزع، ولهجة التذمر، ونتبين فى حديثنا الأعصاب المحطمة، لكن يجب أن تفيض محبة الله على هذه كلها فتكتسح النظرات الكئيبة التى تنم عن روح البطر والضجر، حتى إذا ما عدنا إلى أعزائنا فى نهاية اليوم شعر كل أفراد العائلة أن البيت قد طفح بالبشر ومحبة الله بسبب مجيئنا اليه، الأمر الذى كان محروماً منه مدة غيابنا عنه. فأرجو أن "تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر".

"فى المعرفة وفى كل فهم(١)". عندما تدخل هذه المحبة إلى قلب المرء فإنه **يعرف**. "كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" (١يو ٤ : ٧). هذه كلمات لا حد لعمقها، لكننا نجد لها هنا ما يؤيدها، فالرسول يصلى أن تزداد محبتهم أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم وتمييز. عندما قضى التلاميذ كل الليل معذبين ولم يمسكوا شيئاً، وبزغ نور الفجر، كانت عين يوحنا التلميذ الحبيب هى التى ميزت شخص المعلم واقفاً على الشاطئ بجانب النار فقال لبطرس "هو الرب" (يو ٢١ : ٧). إن كانت محبتك تزداد أكثر فأكثر فإنك لاتعرف فقط بل تميز، تستطيع أن تتبين آثار خطوات ربك بينما يعجز غيرك عن تبينها، وتستطيع أن تستمع إلى صوته وسط غوغاء العالم وضوضائه.

* * *

النتائج: هنالك ثلاث نتائج لتلك المحبة.

(١) **التمييز** "حتى تميزوا الأمور المتخالفة" (ع ١٠). هذا ما سبق أن قاله إشعيا النبى عن إحدى مواهب الروح القدس إذ أعلن بأنه هو "روح الفهم (٢)". إذا ما قضى المرء أسبوعاً فى المحيط يستنشق الأوزون النقى فمن العجيب أنه يصبح سريعاً فى تبين الروائح السامة. فإذا ما كنا أقوياء فى

(١) أو "تمييز" أو "حكم" حسب الترجمة الانكليزية، أو "إدراك" حسب ترجمة اليسوعيين.
(٢) أو "قوة حاسة الشم" حسب بعض الترجمات.

حاسة الشم، ونتبين بسرعة الروائح الكريهة الضارة التى تحمل العفن والأمراض، استطعنا أن نتجنب استنشاق السموم القاتلة. إن المرء الذى فقد حاسة الشم قد يسير وسط الأمراض دون أن يعرفها، أما ذو حاسة الشم القوية فإنه يتجنب الخطر. والنفس التى امتلأت بالمحبة العميقة تتبين بسرعة بكيفية عجيبة كل ما يضر أو يسىء إلى الشخص الذى تحبه، هذا هو الحال أيضاً مع كل من يحب الله. إنه يفهم ويميز. وفى وسط ظلمة هذه الحياة عندما تختلط الأمور فتبدو متشابهة، مع أنها فى الواقع مختلفة، فإن المحبة الكاملة التى تحب الله تفهم وتميز الأمور المتخالفة. إن نمو المرء فى النعمة يتبين فى دقة التمييز التى تسود حياته. وكلما ازداد اقتراباً من الله اكتشف فى نفسه عادات وتصرفات وطرقاً كان لايرى فيها من قبل شيئاً من الاعوجاج، أما الآن فإنه يطرحها عنه لأنها لاتليق به، ويتبع الخير فقط. هذه هى النتيجة الأولى للمحبة الكاملة.

(٢) **الاخلاص**: "لكى تكونوا مخلصين وبلا عثرة". وكما أن الأشعة النافذة (أشعة رنتجن) إذ تنفذ فى الجسم تبين فى الحال الكسور أو آثار الحوادث، هكذا تستطيع دواماً أشعة حق الله أن تفحص القلب. وعندما يعيش المرء فى المحبة الكاملة فإنه يعيش أيضاً فى الحق الكامل، لأن المحبة والحق صنوان متلازمان. ومن يعيش فى المحبة لايخشى أشعة حق الله الفاحصة لأنها تبين أنه خال من الرياء.

(٣) **الإثمار**: إنها تجعلنا "مملوئين من ثمر البر الذى بيسوع المسيح" (ع ١١). يطيب النظر إلى البستان فى الربيع عندما تبشر الأزهار بالإثمار، لكنها أجمل فى الخريف عندما تكون محملة بالأثمار. والآن لنتأمل فى هذه الحقائق. إن عملية التشذيب مستمرة، وأشعة الشمس مستمرة، والمطر مستمر. وهذه كلها تجعلك مملوءاً من الثمر، لكى تأتى النفوس العطشى فتقطف من ثمر حياتك وتتحول منك إلى الله لتمجده وتسبحه. تأكد من أن المحبة تثبت المؤمن فى الكرمة الحقيقية، والثبات فى المسيح يعنى أننا نأتى بثمر كثير.

لكن هذا كله لايتم إلا "بيسوع المسيح". لاتبال كثيراً بنهاية الغصن التى تحمل الثمر بل ببدايته التى هى نقطة اتصاله بالكرمة. هكذا احرص على أن تعيش دواماً فى صلة كاملة بيسوع المسيح. لأنك بدونه، أن انفصلت عنه، لاتستطيع أن تفعل شيئاً. اثبت فيه، ودعه يثبت فيك. ليكن الاهتمام الوحيد فى حياتك أن تعيش قريباً من يسوع. احرص على أن تلمسه كل يوم فى صلاتك الصباحية، احرص على أن تتأمل فى الكتاب المقدس بصفة مستمرة، وعلى أن تكون فى صلة مستمرة معه طول اليوم، وبذلك يسكب فيك المسيح الحى عصارة الحياة ويملأك من ثمر البر.

أتستطيع أن تقول أنك تحيا هذه الحياة؟ على أى حال يمكنك أن تبدأها من اليوم. إن لم تكن قد اتحدت بالمسيح قط من قبل فإنك تستطيع

ذلك الآن بنظرة واحدة إليه بإيمان. بعد ذلك يمكنك أن تثمر ثمر الحياة المقدسة لمجد الله، وهكذا تشترك في تسبيحه مع السرافيم الذين حول عرشه.

اغرس في قلبي بصفة مستمرة

الإيمان والرجاء والمحبة

وهكذا تفيض من حياتي التي كانت يوماً ما مرة

ينابيع المياه الحية

(٤)

تقدم الإنجيل

(فيلبى ١ : ١٢ - ١٨)

ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل.

حتى أن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع.

وأكثر الأخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف.

أما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح وأما قوم فعن مسرة.

فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن اخلاص ظانين أنهم يضيفون إلى وثقى ضيقا.

وأولئك عن محبة عالمين أنى موضوع لحماية الإنجيل.

فماذا؟ غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح وبهذا أنا أفرح. بل سأفرح أيضاً.

مقاصد المرء وقوة الله: فى المزمور السادس والسبعين، الذى يبعث فينا روح الشجاعة والثقة، والذى يرفع الله ويعظم قدرته، يحدثنا المرنم أن غضب

الإنسان سوف يحمد الله. قد يتآمر الأشرار على الله محاولين أن يؤذوا خدامه. ويعطلوا تقدم حقه، وقد يبدو أنهم نجحوا إلى حد محدود. ولكنهم عندما يتوقعون أن يحصدوا ثمار تدابيرهم الشريرة يجدون أنفسهم فجأة في حالة سيئة جداً، ويتبينون أن كل تلك التدابير التي قصدوا بها تعطيل الإنجيل قد حولها الله إلى تقدمه وانتصاره. قلما نجد أمثلة تؤيد هذه الحقيقة أروع من رواية بولس الرسول. لأن النكبات التي حلت به، والصعوبات التي ذُللت فتحولت إلى نجاح، إنما استخدمها الله لتقدم الإنجيل الذي أحبه الرسول من كل قلبه والذي من أجله تحمل كل تلك الصعوبات.

حنين الرسول إلى روما: كان في أشد اللهفة للوصول إلى روما. في الرسالة إلى مسيحيي رومايخبرهم أنه يرجو أن يرى مدينتهم قريباً ليس فقط لكي يعزيهم ويعزوه، بل لأن روما كانت عاصمة العالم آنئذ. كانت ملتقى الشرق والغرب. كانت أورشليم ملتقى كل العالم في أسبوع الفصح، وكانت روما ملتقى كل العالم طول السنة. كان ساستها وقادتها يرسلون إلى كل أرجاء العالم كسفراء وولاة. وكان جنودها أيضاً يرسلون في كل مكان شرقاً وغرباً. كانت روما تبدو كأنها هي المركز الرئيسي للتليفون الذي تتصل به كل أرجاء العالم.

كان الرسول بولس ماهراً في تدبير الخطط. كان يدرك أهمية المدن الكبيرة التي تعتبر بمثابة منابع المياه، فإذا ما سقطت البذار فيها حملها التيار

إلى كل مكان. ولذلك فإنه كما تكلم فى أورشليم قلب فلسطين، وفى أنطاكية قلب سوريا، وفى أفسس قلب آسيا الصغرى، وفى أثينا قلب اليونان، كان متلهفاً للكرازة فى روما أيضاً قلب الامبراطورية الرومانية التى كانت قابضة على زمام العالم كله. لا شك فى أنه كان يتوقع الذهاب إليها حراً ـ كما إلى كل مكان آخر ـ بعد دفع نفقات سفره، وكان يتوق أن ترحب به كنائس القديسين القليلى العدد التى كانت قد بدأت تسطع بنورها وسط الظلام المحيط بها. لكن أمنيته هذه لم تتحقق على هذا الوجه، فقد ذهب إلى روما سجيناً، ودفعت نفقات سفره بمعرفة الحكومة الرومانية كمذنب، وكان حقد أعدائه هو الوسيلة التى استخدمها القدير ليطوح به إلى تلك المدينة التى تعلقت بها نفسه.

وهذا مايحصل على الدوام فإن الله يسمح للناس بأن يثوروا بجنون على إنجيله لحد محدود، الأمر الذى قد يسبب الكثير من القلق والألم والضيق، لكنه فى كل حالة يضع حداً لا تتعداه تلك المقاومة، ومن هذا الحد يبدأ الإنجيل فى التقدم.

هذه الحقيقة الرائعة، التى يمكن تطبيقها على حالات لا عدد لها، نجد لها هنا فى هذه الأعداد ثلاثة ايضاحات بارزة.

* * *

(١) **أثر سجن بولس على الجنود:** "حتى أن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع(١)" (ع ١٣). كلنا نعرف أن الرسول كان مقيداً بسلسلة فى حراسة عسكرى رومانى طول السنتين اللتين سجن فيهما، وكان العسكرى يستبدل بغيره كل ست ساعات. ولا شك فى أن هذا سبب مضايقة شديدة لهذا الرسول الرقيق الاحساس. كان أليماً أن لايترك وحيداً، لكنه كان أشد إيلاماً أن يقضى الساعات الطويلة فى رفقة رجل من الحرس الرومانى.

فى رسائل اغناطيوس، أسقف أنطاكية العظيم، الذى أوكل لحراس كهؤلاء لأخذه من أبروشيته فى أنطاكية والقائه إلى الوحوش الضارية، نراه يصف نفسه مناضلا نهاراً وليلا مع عشرة نمور كلما عاملهم باللطف ازدادوا شراسة. ومع أن بعض هؤلاء الجند الذين أوثقوا بولس بالسلاسل كانوا على ما يرجح هادئين وعقلاء، راغبين فى معرفة الحق، إلا أنه يرجح أيضاً أن الباقين كانوا قساة يهزأون به بصفة مستمرة، يملأون جو الغرفة بأغانى الهزء والسخرية، يحولون كلماته التى كانوا يسمعونها متحدثاً بها لزائريه إلى تجديف.

كانت الغرفة التى استأجرها الرسول لنفسه تغص أحياناً بأشخاص كثيرين

---

(١) "صارت مشهورة عند أهل دار السلطان وعند الباقين أجمعين" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "عند الحرس الامبراطورى" حسب ترجمة أخرى.

تحدث إليهم بكلمة الحياة. فإذا ما انصرفوا جلس الحراس إلى جانبه متسائلين كثيراً عن معنى الكلام الذى تحدث به هذا السجين الغريب. وفى أحيان أخرى كان الرسول إذا ما انصرف الزائرون ينتهز الفرصة سيما فى الليل فيتحدث إلى الحراس الواحد بعد الآخر ويخبرهم عن تاريخ حياته كيهودى، عن مقاومته للمسيح، عن تغييره الكلى، ويبين لهم أنه قد سجن لا بسبب أية جريمة اقترفها، ولا لأنه أثار فتنة أو شغباً، بل لأنه آمن أن ذاك الذى صلبه عسكر الرومان على عهد بيلاطس هو ابن الله ومخلص البشرية. وإذ ذاعت هذه الأنباء وتحدث بها الحراس مع بعضهم بعضاً لابد أن يكونوا كلهم قد تأثروا فاظهروا العطف نحو هذا الرسول الوديع الرقيق الذى كان يظهر منتهى اللطف والعطف نحو هؤلاء الرجال الذين اضطروا قسراً لمشاركته فى سجنه.

عظمة الشهادة التى قدمها بثباته: لأن الرسول كان ثابتاً ثباتاً مطلقاً. ولو أنه قد انحرف أقل انحراف عن المثل الأعلى الذى تمسك به لأخذ عليه حارسه المرافق له هذه الزلة ونقلها إلى الآخرين وأن الحقيقية التى نعرفها من أن الكثيرين من الحرس الامبراطورى قد تحولوا إلى مسيحيين أقوياء، وعرفوا كلمة المسيح، لدليل على أن حياة الرسول كانت ثابتة ثباتاً مطلقاً. أتظن أن هذا ينطبق على حياتك؟ وكما كان اغناطيوس مرتبطاً بعشرة نمور. لكنك تستطيع أن تربح هؤلاء للمسيح بواسطة ثباتك ووداعتك وطهارة حياتك وما كان يبدو معطلا لنموك فى النعمة ولتقدم الانجيل يتحول عندئذ إلى الضد.

فاحرص إذاً على أن تكون حياتك وأقوالك هكذا.

* * *

(٢) **أثر السجن على الأخوة:** "وأكثر الأخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف" (ع ١٤). أى أن المثل الرائع الذى قدمه هذا الرسول بعث فى نفوسهم شجاعة عظيمة. عندما رأى الكثيرون أن الرسول بالرغم من سلاسلة وقيوده غيور على نشر الإنجيل كما كان سابقاً إذ كان حراً طليقاً، وأنه بالرغم من العراقيل والصعوبات، لايزال يبذل كل جهده من أجل الإنجيل الذى أحبه، وبخوا أنفسهم من أجل فتور همتهم وقالوا: إن كان الرسول قوياً وشجاعاً ونشيطاً بالرغم من كل الصعوبات التى تحتم عليه أن يكون بليداً، فخليق بنا نحن الذين نتمتع بالحرية المطلقة أن نبذل أقصى جهدنا من أجل تقدم ذلك الإنجيل الذى يتألم من أجله الرسول.

إن من يعمل من أجل المسيح عندما تتجمع عليه كل المقاومات يبعث الهمة فى نفوس الذين لايلقون مثل هذه الصعوبات. كما أن من يشهد من أجل الحق والبر عندما يوحي إليه كل ما حوله بالتزام الصمت يدفع الآخرين لاعتراف بالمسيح. والذين يتكلمون من أجل الله حتى الموت يدفعون الآخرين للدفاع عن الانجيل بكل شهامة. تأمل مثلا فى واحد من أعظم أبطال انكلترا، ذلك الرجل الذى كان ينسى الآن، ولكن اسمه سوف

يظل خالداً مع خلود الكتاب المقدس، ذلك هو وليم تنديل. كان القصد الذى كرس حياته له هو أن يعرف كل فلاح فى انكلترا الكتاب المقدس كما يعرفه الكهنة. ولاتمام هذه الغاية قصد أولا أسقف لندن، لكنه لم يجد منه أى نوع من العطف. وأدرك بالحزن الشديد أن انكلترا لايمكنها أن تسع مترجم الكتاب المقدس. فاضطر أن يهرب من انكلترا إلى هامبورج، ومن هامبورج إلى كولونى، ومن كولونى إلى ورمس؛ وأخيراً إلى انتورب حيث لقى حتفه كشهيد. لكنه بحياته النبيلة ودمائه الطاهرة أعد عقول وقلوب الذين يرقبونه لنشر الكتاب المقدس باللغة الانكليزية. وهكذا انبعث من تراب جثمانه الطاهر مئات بل ألوف لنشر الانجيل الذى مات من أجله.

دعوة لك: قد تكون هذه هى حالتك أنت أيضاً يا من دعيت لتتألم من أجل الإنجيل. قد يبدو بأن صوتك قد خفت وسط الدماء والدموع. لكنك قد بعثت الشجاعة فى قلوب الآخرين. لقد اضطر الكثيرون من الشبان فى مكان عملك الشرير أن يقولوا: ان كان زميلى هذا يتجاسر على الدفاع عن حق الله فلماذا لا أكون أنا أيضاً بطلا؟ وهكذا تكون نتيجة قدوتك أن تدفع الضعفاء على الاعتراف بيسوع المسيح والاستشهاد من أجله. ألم تكن هذه هى نتيجة استشهاد الكثيرين من أبطال الكنيسة وشهدائها فى القديم؟

* * *

(٣) أثر السجن على مقاومى الحق الإنجيلى: "أما قوم فعن حسد

وخطام يكرزون بالمسيح. وأما قوم فعن مسرة. فماذا. غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح وبهذا أنا أفرح بل سأفرح أيضاً" (ع ١٥ ، ١٨) . كان هنالك حزبان فى روما. الأول أحب بولس بقوة وقبلوا تعاليمه، والثانى تمسكوا بالهيكل والفريسيين والقيود اليهودية القديمة رغم اعترافهم بأنهم مسيحيون. لقد اعترفوا بالمسيح لكنهم كثيراً ما كانوا يرجعون إلى الوراء، إلى العهد القديم، ويحاولون أن يمزجوا بينه وبين العهد الجديد. وكان مجئ بولس باعثاً على زيادة نشاطهم فى المناداة باعتقاداتهم الشخصية عن المسيحية. لكنه قال: ان كان المسيح يكرز به فهذا كل ما أبغيه. انهم لايحبوننى، ولا يأتون إلى لتقديم أية معونة، بل يبذلون كل ما فى وسعهم لإقامة العراقيل فى طريقى، لكننى لا أبالى بهذا، فاننى فرح جداً لأن المسيح يكرز به.

ولعل هذا يفسر لماذا سمح الله بقيام المذاهب الكثيرة. ربما كان هذا أفضل للكنيسة العامة لأن كل مذهب ينهض همة المذهب الآخر.

فى كل تاريخ العالم نلاحظ أن الله قد أزال العراقيل والمعطلات من طريق خدامه إذ كانوا صابرين وأمناء من نحوه، بل قد حولها إلى منابر استطاعوا منها أن يذيعوا الحق بكيفية أقوى. أذكر كيف ضايق نبوخذنصر اليهود. كان يبدو وقتئذ كأن المدينة المقدسة لن تقوم لها قائمة ثانية ولن يكون لها ذلك التأثير الطيب على العالم. لكن الشعب المختار تشتت حاملا

الكتاب المقدس فى كل العالم، وهكذا سكب الله على عالمه خيرا أوفر مما لو كان ذلك الشعب قد بقى محصوراً فى مدينته.

لقد أهاج الشيطان اليهود ليقتلوا المسيح، لكن حبة الحنطة التى وقعت فى الأرض لتموت لم تبق وحدها بل غطت العالم كله بثمارها اليانعة. والملوك اضطهدوا الكنيسة الأولى، لكن كل ما فعله ذلك الاضطهاد هو أنه دفع التلاميذ إلى كل مكان ليكرزوا بالكلمة. ومن الحرب المدنية المروعة نشأت ظروف جعلت ابرهيم لنكولون يحرر العبيد، وهكذا أيضاً تحول غضب الإنسان إلى تقدم إنجيل يسوع المسيح.

إن جُمعت كل العدا حولى بقصد ضررى
أو مدّوا للشر يداً وليس لى من ساتر
ألق ذراعاً قد بدا يطفى لهيب الشرور
ثم أصيح مردداً الله ربى ناصرى

هكذا قد يكون الحال معنا: هذا ما لابد أن يكون فى حياتنا. فلنبدأ بأن نفرح فى الضيق، أن نفرح عندما يهيج الشيطان. إن القوة التى تستخدم ضدنا يحولها الله إلى خيرنا. ليكن لنا فقط ذلك الانتظار والرجاء أن يتعظم المسيح فى جسدنا سواء بحياة أم يموت، فى فرح أو خزى، فى صيت ردئ أو صيت حسن، فى نجاح أو فشل. ليظهر المسيح، والمسيح فقط، فى

جسدنا، سواء بحياة أم بموت.

هل المسيح عزيز لديك؟ هل تحيا له؟ هل عاطفتك الوحيدة وغايتك الوحيدة وقصدك الوحيد أن تمجده؟ هل تستطيع القول: لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح؟ ليتنا نبدأ من اليوم بأن نحيا هكذا.

وإن خارت نفسك أو وهنت عزيمتك فتشجع. إن كانت لك حياة التكريس للمسيح فإن نفس قيودك تصبح سلاسل كهربائية ينتقل عن طريقها نشاطك للآخرين، وتصبح متاعبك منابر تكرز منها عن غنى المسيح الذى لايستقصى.

إن الزوابع لن تستطيع أن تحطم سفينة الإنجيل، لكنها بالعكس تدفعها إلى الأمام. لما يبذل أعداء الإنجيل جهوداً جبارة لتعطيله فانهم إذا ما استيقظوا وجدوا انها قد تحولت لتقدمه. وتلك القضبان الحديدية التى مدها الأعداء بقصد مقاومته سوف تستخدم لحمل رسالته النفيسة التى أرادوا إيقافها. لاشك فى انه فى نهاية كل شئ سوف يكتشف أن مقاصد الله الرحيمة لم تعطل قيد أنملة، إنما امتدت إلى الأمام بواسطة نفس الوسائل التى قصد بها عرقلتها. هذا هو السر الغامض فى العناية الإلهية: إن الشر لن يعطل الإنجيل قط، إنما يمده بالوسائل التى تعمل على إنجاحه وانتشاره فى كل أرجاء الكون.

(٥)

من الشر يخرج خير

(فيلبى ١ : ١٩ - ٢٠)

"لأنى أعلم أن هذا يؤول لى إلى خلاصى بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح.

حسب انتظارى ورجائى أنى لا أخزى فى شئ بل بكل مجاهرة كما فى كل حين كذلك الآن يتعظم المسيح فى جسدى سواء كان بحياة أم بموت"

الحزبان: كان هنالك حزبان فى روما كما رأينا. الأول كان موالياً للرسول، وهؤلاء كانوا يبذلون أقصى جهدهم لمساعدته فى الكرازة بإنجيل ربنا. كان هؤلاء التلاميذ متشربين بروح معلمهم، مقتدين به فى كل نواحى الحياة الروحية. كانوا شركاءه فى النعمة، فى وثقه وفى المحاماة عن الإنجيل وتثبيته (ع ٧) . كانت خدماتهم مبنية على حسن النية والمحبة، لأنهم كانوا يعلمون أنه موضوع لحماية الإنجيل (ع ١٧) .

أما الحزب الثانى فقد رفض قبول الإنجيل فى بساطته. كانوا ينتمون إلى الحزب المتهود، ويعتقدون أنه يتحتم على المرء أن يؤدى طقوس العهد القديم لكى يشترك فى بركات الجديد. لقد عانى الرسول المتاعب الجمة فى كل أيام خدمته بسبب وجود أشخاص كهؤلاء، ويبدو أن إقامته فى روما زادتهم

نشاطاً. كانوا يكرزون بالمسيح عن حسد وخطام لا عن إخلاص، ظانين انهم يضيفون إلى وثقه ضيقاً (ع ١٥، ١٦).

لكنه استطاع أن يكتشف في هذا الضيق المتزايد فرحاً جديداً، وهاك كلماته المنقطعة النظير "فماذا. غير انه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح وبهذا أنا أفرح. بل سأفرح أيضا" (ع ١٨). عندما يكون القلب كاملا أمام الله، عندما يكون الله هو الحقيقة الواحدة وراء كل الحقائق، يكون من السهل أن نستخلص فرحاً من كل ظروف الحياة، كما يستخلص الموسيقى موسيقى من عجيج المياه وعصف الزوبعة.

إن السؤال الخطير الذى ينبغى لكل واحد منا أن يوجهه إلى نفسه هو هذا: هل الله هو الحقيقة الوحيدة وراء كل تصرفات حياتى؟ هل أتبين وجوده فى الأيام العاصفة والأيام السعيدة، فى ظلمة الليل كما فى ضوء النهار، فى خسائرى وملماتى كما فى أسعد أوقاتى؟ إن من تكون هذه هى حاله يدرك أن كل هبة ريح تدفع إليه سفينة غنية محملة بالبركات، وأن أشر الشرور سوف تمر دون أن تسبب أدنى مضايقة، وأن يهوذا إنما يحمل الكأس التى قد مزجتها يد الآب. عندما يكون الله معنا حقاً، وعندما نثق أن كل مايحدث لنا لايحدث إلا بسماحه أو بتدبيره، فإننا نستطيع أن نجد فرحاً حيث يحزن الآخرون حزناً بالغاً، ونجد أبهج الظروف فى الجو القاتم، ونجد أغانى فى الليل (أى ٣٥: ١٠).

لماذا فرح بولس؟

(١) **لأن المسيح ينادى به:** ظالما كان ذلك الاسم يتردد على الشفاه، وتوجه الأسئلة نحوه، وطالما كان الناس قد بدأوا يتشوقون إليه لعلهم يجدون فيه مخلصاً من خطاياهم، والحل للغز الحياة، فإنه راض بهذا، لأن نصف رغيف خير من لاشئ، والكرازة بالمسيح المنبعثة من دوافع خاطئة خير من عدم الكرازة. بل إن التشهير بالمسيح خير من عدم ذكره قط. يفرح المؤمن حينما تناقش صحافة العالم الحق المسيحى حتى ولو للتشهير والتحقير، لأن هذا أفضل من أن يتجنب البشر اسم المسيحية. ليس شئ أخطر من البلادة والفتور والإهمال.

(٢) **لأن كل شئ يتحول للخير:** فرح بولس لأنه رأى أن كل شئ يتحول لخيره. "لأنى أعلم أن هذا يؤول لى إلى خلاص". لقد احتدم النقاش حول ماتحمله كلمة "خلاص" هنا من معنى. لا شك فى أنه كان مخلصاً، غير أن جسده كان يحمل سمات التواضع والآلام. يظن البعض أنه يشير هنا إلى رجائه فى النجاة، وإلى أن وقت فكه من أسره كان وشيكا. فى رسالة فليمون، التى كتبت من روما وقت كتابة هذه الرسالة، نراه يقول "أعدد لى منزلا لأننى أرجو اننى بصلواتكم سأوهب لكم".

لكن يبدو أن هذا التفسير أفضل وهو انه اعتقد أن مجئ ربنا يتوقف على انتشار الإنجيل فى كل العالم المعروف وقتئذ، ولذلك فإن كرازة الصليب

التى نشرت معرفة الإنجيل تقرب ذلك اليوم الذى طالما أشار إليه بأنه "يوم المسيح"، الذى فيه يوضع حجر القمة أعلى البناء، ويأتى الخلاص الكامل ليس له فقط بل أيضاً لجميع الذين يحبون ظهوره. هذا تفسير معقول للعبارة. لقد فرح بكرازة هذا الحزب المناوئ له، لأنها جعلت المسيح معروفاً أكثر. وطالما كان الناس قد عرفوه وقبلوه فإن هذا يعجل بمجئ ملكوته، الأمر الذى يعنى السلام والفرح والحياة الكاملة. إذا ما هلت طلعة اليوم الذى طال انتظاره تلاشت من قلبه كل آثار الخطية وتغير جسد تواضعه إلى شبه جسد المسيح. بهذا المعنى استخدمت كلمة "خلاص" فى موضع آخر "سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩ : ٢٨).

كم من مرة تحكم الله فى مؤامرات الأشرار وأعمالهم الشريرة، وحولها لمجد اسمه وتقدم ملكوته وخلاص قديسيه. ان ما يقصدونه للشر يحوله هو للخير. اضطهاد فرعون لاسرائيل يؤول إلى عودتهم لبلادهم كما رأينا. واضطهاد السنهدريم للكنيسة الأولى دفع المؤمنين للكرازة فى كل أرجاء الامبراطورية. لقد طالما أضطهد الحق، ولمع سيف الظلم، لكن الرب يحفظ الذين هم له، فتشجعوا "وانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب" (لو ٢١ : ٢٨).

(٣) ولأن المسيح تعظم: تحمل كلمة "انتظار" معنى رفع الرأس (لو ٢١ : ٢٨) وامتداد العنق (رو ٨ : ١٩). كأن شخصاً واقف على أطراف

أصابع قدميه منتظراً بلهفة مجئ نتائج سارة من الآلام. إن انتظار الخليقة الذى يتوقع استعلان أبناء الله له ما يماثله فى اختبارات الرسول عندما مد عنقه فى رجاء حار وانتظار قوى أن تتحقق غاية حياته الوحيدة فى تعظيم الرب. كلما استيقظ فى كل صباح تحركت فى روحه آمال ورغبات ملحة أن تمتلئ كل ساعة قادمة بما يمجد سيده. وكلما حدثت أية حادثة كان سؤاله الدائم هو هذا : إلى أى حد سوف تعمل هذه الحادثة على أن تزيد الناس تعظيما للرب؟ لم يفكر فى نفسه إلا قليلا فى كل الحوادث التى أصابته فى حياته طالما كانت كل حادثة تعمل على مجد سيده الذى كان يملأ كل كيانه.

يبدو فى الأصل اليونانى كأن طلبتهم ومؤازرة الروح القدس شئ واحد. وكأن الرسول قد أحس بأنه إن كان أصدقاؤه الفيلبيون يتحدون معاً فى صلاة حارة فإن النتيجة مضمونة. إن صلاتهم لنوال الروح القدس تساوى قبوله هو للروح القدس. هنالك صلوات لا تستطيع التأكد من استجابتها لأنها تتعلق بأمور خارجة عن نطاق مواعيد الله. لكن يجب أن نتأكد من استجابة كل مانطلبه لأنفسنا أو للآخرين مما منحه لنا الله فى المسيح.

التماسه الصلاة لأجله: فى كل رسائل الرسول نراه دواماً يطلب من تلاميذه أن يصلوا لأجله. نراه يقول أكثر من مرة "أيها الأخوة صلوا لأجلنا". ويأمرهم قائلا "مساعدون بالصلاة". وفى النصيحة الثمينة فى ختام رسالة

رومية نجده يرجوهم أن يجاهدوا فى الصلاة من أجله لكى يُنقذ من أعدائه ولكى يأتى إليهم بفرح بإرادة الله (ض ١٥ : ٣٠-٣٢). وفى الرسالة إلى أفسس ـ ولعل الأمر قد تكرر مع باقى كنائس آسيا ـ يأمر الأخوة أن يصلوا دواماً "بكل صلاة وطلبة فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين"، ثم يضيف هذه الكلمة البارزة "ولأجلى" (٦ : ١٨ ، ١٩). عندما تتحد بنفوسنا نفس عزيزة وتشترك معنا فى تجاربنا وأحزاننا وجهودنا فى خدمة المسيح فعندئذ ندرك قيمة الصلاة. كثيراً ما أحسسنا بأننا قد امتلأنا إيماناً ورجاء وشجاعة، وذلك إنما يعزى إلى أن الله قد حرك شخصاً يحبنا لكى يصلى بحرارة من أجلنا. لقد زار الملاكان سدوم، ووضعا أيديهما على لوط، وأخرجاه منها، لأن ابراهيم فى أعالى ممرا بعيداً كان يتشفع مع الله لكى لايهلك المدينة إن وجد فيها عشرة ابرار، غير عالم أن الله كان أكثر منه حنيناً لإنقاذ المدينة.

«مؤازرة روح يسوع المسيح»: هنا يصف الروح القدس بأنه بصفة خاصة روح يسوع المسيح. وفى مواضع أخرى يصفه "روح الابن"، "روح الحياة فى المسيح يسوع"، "روح يسوع". وهنالك مايدعم هذا. لقد حبل بالرب من الروح القدس. وفى وقت المعمودية "نزل عليه الروح بهيئة جسمية مثل حمامة". وفى وقت التجربة "رجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوماً يُجربّ من إبليس" وفى وقت الموت قدم نفسه لله بروح أزلى. "وتعين ابن الله بقوة من جهة روح

القداسة بالقيامة من الأموات". ونقرأ أيضاً أنه مدة الأربعين يوماً "أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم". وفى كل سفر الأعمال نجده يهب الروح القدس للذين يطلبونه بإيمان. وهو لا يزال يهب الروح القدس للمؤمنين. من باب تحصيل الحاصل القول بأن الروح القدس مساو للآب والابن. إن الرب يهبه لكل أعضاء جسده، الكنيسة، ليعمل فيهم فى كل العالم. وكما يجرى الدم من القلب إلى كل أطراف الجسد وأعضائه، هكذا يتحدنا الروح القدس بالمسيح سيدنا.

«مؤازرة» (أو "إعانة" حسب ترجمة اليسوعيين) : هذه كلمة تتطلب منا اهتماماً شديداً. وقد وردت مراراً فى الأصل اليونانى فى العهد الجديد مع الفعل المشتق منها. أنها توحى بحفلة موسيقية جميلة قدمها فى مناسبة عامة مواطن غنى احتفاء بدخول قائد منتصر أو بذكرى محبة. أنها تعنى إعانة مجانية غنية لانعاش حياة الآخرين. وكأن الرسول قد أحس بأنه استجابة للصلاة التى طلبها سوف يدخل فى طبيعته الروح القدس الذى يحمل بدخوله فرحاً وقوة.

إنه لسؤال جوهرى يجب أن نوجهه لأنفسنا لندرك مدى معرفتنا لذلك الروح القدس الذى يعين المتألمين على أن يكونوا شاكرين فى الامهم، وينقلنا من دائرة ضيقاتنا الشخصية إلى زمرة الجماهير الذين يسبحون ويتهللون أبداً أمام عرش الحمل، ويحول الهموم والآلام إلى ينابيع بركة

وخلاص، ويوجه كل شئ إلى ذلك القصد الأوحد، وهو أن يتمجد يسوع سواء بحياة أو بموت.

كيف نشعر كما شعر بولس: عندما نقرأ هذه الفقرات العجيبة ونرى كيف كان الرسول شغوفاً بتعظيم يسوع نشعر بالعدوى تسرى من روحه إلى أرواحنا، ونتوق إلى أن تتقد فينا نفس عواطفه. ولا توجد هنالك طريقة للمس نيرانها سوى بدراسة وإطاعة النواميس التى بها لايزال الروح القدس يهب عونه ومؤازرته للقديسين. ولا تكفى معرفة الطرق التى بها يتم هذا بل يجب أيضاً أن نثابر على إطاعتها، عالمين أن الروح القدس هو روح نظام وترتيب، وأنه يستجيب فى الحال لأقل طلب يوجه إليه لالتماس عونه ومؤازرته.

إذا حفر المصرى الفقير الساكن بجوار نهر النيل أقل قناة فى زمن الفيضان تدفقت المياه إلى حديقته الصغيرة. وهكذا نحن أيضاً إذا فتحنا القناة ـ بالطاعة والإيمان ـ للروح القدس فانه لاشك يملأ القلب من فيضه فى الحال. وكل الذين يمتلئون من الروح القدس يمتلئون من مجد المسيح، ويزدادون رغبة فى أن يتعظم المسيح فى جسدهم سواء بحياة أم بموت.

(٦)

الحياة والموت

(فيلبى ١ : ٢١- ٢٦)

"لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح. ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فماذا أختار لست أدرى.

فانى محصور من الاثنين. لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً.

ولكن أن أبقى فى الجسد ألزم من أجلكم.

فاذ أنا واثق بهذا أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان.

لكى يزداد افتخاركم فى المسيح يسوع فىّ بواسطة حضورى أيضاً عندكم".

الحياة والموت: إذا رفعنا من الآية الأولى كلمتى "المسيح" و "ربح" تذكرنا كيف أن الحياة والموت قريبان جداً من بعضهما، إذ لاتفصلهما عن بعضهما سوى كلمات قصيرة. ليست الحياة سوى عتبة الموت، والموت يتتبع الحياة بالقرب جداً منها. يولد الطفل الصغير ثم يموت. والزهرة تتفتح ثم تذبل. وسرعان ما يبدأ فصل الربيع حتى ينطوى فى الصيف قبل أن تبدأ أوراق الأشجار فى السقوط. أنت تلتقى بصديقك اليوم وهو ممتلئ قوة

وحيوية، وفى الغد تأتيك الأنباء بارتحاله من هذا العالم. فالحياة والموت بمثابة بندول (رقاص) الساعة الذى يتمايل إلى اليمين ثم إلى اليسار. وكل امرئ واقف بينهما.

لعله لايوجد إنسان فى الوجود، رجل أو إمرأة، (والشواذ نادرون جداً) لايخلو إلى نفسه فى فترة من الزمن ليقارن بين تنعمات الحياة وبين الموت. فالبعض يفضلون الحياة، والآخرون يفضلون الموت، وغيرهم تتوازن معهم الكفتان. يقول البعض إن الحياة أثقل، والآخرون إن الموت أثقل. ويمثل كل من هملت وبولس فئتين من البشر، الأولى، ويمثلها هملت، تقول إن للحياة والموت شرورهما، والثانية، ويمثلها بولس، تقول إن للحياة والموت بركاتهما.

وازن هملت بين آلام الحياة التى سوف ينقذه منها الموت، وبين أهوال الموت التى تعفيه منها الحياة. وكان سؤاله دائماً: أهو خير له أن يبقى فى الحياة أم لايبقى. فللحياة آلامها، نكبات الزمن كبرياء الغنى وعجرفة المتكبر. وإذ يضع هذه فى كفة الميزان يعتقد أنه من الأفضل له أن يموت لكى يتفادى هذه الآلام لكنه إذ يفكر فيما عساه أن يحمله الموت، فى الأحلام التى سوف يحلمها فى نوم الموت، يعود ثانية إلى الحياة ويفضلها.

أما الرسول بولس فإنه يرى فى الحياة والموت غنى جزيلا. ولا يدرى أيهما يختار، لأن كلا منهما حلو ولذيذ. فالحياة حلوة لأنها هى المسيح،

والموت حلو لأنه يهب نصيباً أوفر من التمتع بالمسيح. ولهذا نراه إذ يوازن بين الاثنين يصرخ في الحال "إني محصور من الاثنين. لا أدري أيهما أختار. لكن كفة الموت على أي حال ترجح، فانه ربح جزيل. أن أنطلق ذاك أفضل جداً". إذاً فقد كان الرسول بولس يعتقد أن لكل من الحياة والموت بركاتهما.

(١) بركات الحياة: "لي الحياة هي المسيح". إننا نتصور الرسول بولس يرسي على رصيف نيابوليس ميناء فيلبي. ثوبه ينبئ بوعثاء السفر والضنى. إنه رجل فقير لايعتد به، لايرافقه سوى اثنان أو ثلاثة فقراء مثله. وإذ يرسي على الرصيف المكتظ بالناس يلتقي بأشخاص من مختلف الطبقات. هنالك مثلا التاجر يستقبل بضاعته من الشرق. هذا الرجل يصرخ قائلا "لي الحياة هي الثروة" بجانبه أولئك الرجال الذين ينقلون الشحن من السفن إلى مخازنها، هؤلاء هم العبيد المساكين، ولسان حال كل واحد منهم يقول "لي الحياة هي النصب والتعب والآلام والفاقة واللطمات المتواليات". بجانبهم يقف الفيلسوف ممسكا بيده درجاً دونت فيه كلمات الحكمة والفلسفة والعلم، وإذ يتطلع إلى التاجر الذي يكافح ويكد يفتخر لأنه يحيا لقصد أسمى ويقول "لي الحياة هي المعرفة والعلم". وبجانبه يقف جندي يتطلع باحتقار إلى الفيلسوف ويصرخ قائلا "لي الحياة هي الشهرة". بعد ذلك يظهر ظل أوكتافيوس الامبراطور العظيم الذي كسب بجوار فيلبي تلك

الموقعة العظيمة التى أكسبته امبراطورية العالم المعروف وقتئذ، ويبدو أن ينتصب قائلا بنبرات مخيفة "لى الحياة هى الامبراطورية".

وسط كل هذه الأحداث يرن صوت الرسول بلهجة التأكيد "إن الحياة لى ليست هى الثروة، ولا الكد والعمل، ولا العلم، ولا الشهرة، ولا المجد، بل هى المسيح. المسيح أولا وأخيراً، الكل فى الكل، المسيح أبداً".

١ - **المسيح هو مصدر حياتنا:** لو كنت قد سألت الرسول عما يقصد بقوله هذا لأجابك قائلا: يجب أن يكون المسيح مصدر حياتنا. كان يوم الخمسين يعنى أنه منذ تلك اللحظة فصاعداً يأتى الروح القدس ببذرة حياة المسيح ويغرسها فى تربة أرواحنا فتغرس طبيعة المسيح الممجد فى تربة طبيعتنا البشرية كبذار غير فاسدة لكى تنمو فينا حياة المسيح بصفة مستمرة.

٢ - **المسيح جوهر حياتنا:** ويجب أن يكون المسيح جوهر حياتنا. عندما نعتبر أنفسنا أمواتاً عن ذاتيتنا الأنانية يحل محلها المسيح، فنستطيع أن نصرخ مع الرسول "فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فى".

٣ - **المسيح أنموذج حياتنا:** ويجب أن يكون المسيح أنموذج حياتنا. كل إنسان يعمل وفق أنموذج معين. نحن نقلد دواماً شخصاً معيناً شعرنا بذلك أم لم نشعر. وكل مسيحى حقيقى يبذل كل الجهد ـ وهو يسعى نحو الكمال ـ أن يبلغ إلى قياس قامة ربه. "يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه" (مت ١٠ : ٢٥).

٤ - **المسيح هدف حياتنا**: ويجب أن يكون المسيح أيضاً هدف حياتنا. يجب أن نسعى لكي يعرفه الآخرون ويحبوه ويوقروه، حتى بذلك تتم مشيئته على الأرض كما هى فى السماء، لكى يعرفه الآخرون كما نعرفه نحن كما نحبه نحن، ويحيوا له كما نحيا نحن له، لكى يكون هو الملك المتوج على البشر فيضع حداً للمنازعات والحروب، ويعجل بتلك الأيام السعيدة التى تصلى من أجلها الكنيسة وتئن الخليقة.

٥ - **المسيح عزاء حياتنا**: يجب أن يكون المسيح أيضاً عزاء حياتنا. وسط كل الزوابع والعواصف والمحن. لن يجد المؤمن ملجأ يحتمى فيه سوى صخر الدهور، الجنب المطعون، قلب الفادى، المفتوحة أبوابه أبداً، وهو بصفة مستمرة يأمرنا لكى نأتى إليه فنجد راحة.

٦ - **المسيح جزاء حياتنا**: ويجب أن يكون المسيح جزاء حياتنا. إن الجزاء الوحيد لكل مؤمن هو أن يحصل على نصيب أوفر من المسيح. والتاج الوحيد لكى جبين هو أن تزداد معرفته له. والربح الوحيد الذى يأتى بعد كل تعب، بعد كل الدموع، بعد كل تضحية، هو أن يزداد المسيح اقتراباً منا.

هذا ساعد الرسول ـ ويساعدنا نحن أيضاً ـ على القول: "إن الحياة جميلة، تستحق أن يحياها المرء". إن الحياة هنا للمسيح وفى شركة معه معناها العثور على مفتاح الطبيعة والجمال والمحبة وكل ماهو حق وجليل.

تكون الحياة جميلة وجليلة ـ مع مافيها من ظلمات وآلام ـ عندما يستطيع المرء أن يقول: "لى الحياة هى المسيح"

* * *

(٢) **بركات الموت**: "والموت هو ربح". ترى ماهى تلك البركات التى يأتى بها الموت إلينا فلنزنها الآن.

١ - **الموت بداية**: يقول العالم إنه نهاية، أما الكتاب المقدس فيقول إنه بداية الأبدية. خذ مثلا الاصطلاح الذى استخدمه الرسول بطرس. فقد تحدث عن خروجه (٢بط ١ : ١٥). وكما كان الخروج لبنى اسرائيل بداية حياتهم الوطنية، خروجهم إلى الحرية، هكذا يكون الموت للروح خروجاً إلى حرية الأبدية.

الموت ولادة. فالرسول بولس يتحدث عن الموت كولادة "بكر (أى المولود البكر) من الأموات" (كو ١ : ١٨). إنه خروج الروح من عقالها وربطها الكثيرة التى يربطها بها العالم، ومجيئها إلى وجودها الحقيقى. وهو يتحدث أيضاً فى هذه الأعداد عن الموت كانطلاق. "لى اشتهاء أن أنطلق". إن الأصل اليونانى للكلمة فى غاية الروعة والجمال فهى تستعمل لحل السفينة من الميناء وانطلاقها.

ليس لى هنا حياة   والمنون يرعد

فحياتى بعد موتى راحتى إذ أرقد

لو أذيع أنى مت لا تصدقوا الخبر

عند ذا أكون حياً فى حمى رب البشر

٢ - **الموت حرية**: بالموت نتحرر. إنه تحرر الروح السجينة "فاننا نحن الذين فى الخيمة تئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكى يبتلع المائت من الحياة" (٢كو ٥ : ٤). إنه تحرر الروح من الخطية، تحرر من حدود الفناء، تحرر من التجارب والأحزان والهموم، تحرر من انتظار الموت نفسه ومن نفور الطبيعة البشرية منه.

٣ - **الموت يعلن حقيقة أنفسنا**: يعلمنا الموت أن نكتشف حقيقة ذواتنا. لعلنا نذكر قصيدة كبلنج عن السفينة التى توهمت أنها كتلة من الحديد والمسامير، لكنها حلت بعد برهة وانطلقت فى المحيط لكى تمتحنها العواصف. وبعد أن عصفت بها العواصف وانحلت خرزها وتفككت أوصالها وانفصلت كل ألواحها الخشبية عند ذلك فقط أدركت فجأة أنها مجرد سفينة. وهكذا نحن أيضاً لانعرف حقيقة أنفسنا قبل أن ننطلق، قبل أن ترى طبيعتنا ـ المليئة بالأشواق والتذمرات ـ حقيقة ذاتها فى نور الأبدية.

وبالموت أيضاً يدخل المؤمن الذى عاش حياته للمسيح إلى داخل الحجاب ويرى المسيح، ويكون معه بكيفية لاتتاح له هنا. فاننا هنا نسلك بالإيمان أما هناك فبالعيان، هناك نراه وجهاً لوجه، ويكون اسمه مكتوباً

على جباهنا. "وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم" (رؤ ٢٢ : ٤).

٤ - **مع المسيح بعد الموت**: يقول الرسول "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً". إن كانت الحياة مع المسيح هنا بركة فالموت بركة أفضل لأنه يعطينا نصيباً أوفر من المسيح. لاشئ يعوض النفس أقل من هذا. عندما تترك الروح الجسد الذى كان رفيقها المتواضع ومطيتها، عندما تضعه جانباً لبرهة وجيزة لكى تلبسه ثانية يوماً ما فى مجد وجمال، فإنها تنتقل إلى حضرة يسوع المسيح حيث تعرفه كما عرفت وتراه وجهاً لوجه.

٥ - **ولذا فانه أفضل جداً**: ويبدو أن هذا كان بعض ماعناه الرسول عندما قال إن الموت ربح. الموت هو بدء الحياة الحقيقية، هو التحرر، هو انطلاق الروح لتجد ذاتها فى حضرة المسيح، وفى المسيح نجد كل الأحباء السابقين الذين سبقوا أن ارتحلوا. إنهم الآن معنا بعطفهم، بصلواتهم، بتفكيرهم فينا، بروحهم. لكننا سوف نكون مع المسيح قبل أن نكون معهم بالذات. عندما تجد المسيح فانك تجد كل أحبائك فيه.

ورجـــانـــا وعــــزانــــا	نـلـتـقـى يـوم الـلـقـا
نـلـتـقـى مـعـه دوامـاً	نـحـيـا فـى دار الـبـقـا
لا فــراق لا بــكــا	لا أنــين لا دمــوع
بــل خــلــود وكــمــال	ولــقــاء بــيــســوع

هنالك سفينتان عند الشاطئ، الواحدة قد حلت وبدأت رحلتها والثانية لازالت في الانتظار. الأولى حملت الأحباء الذين ارتحلوا إلى السماء والثانية تنتظرك. سوف يأتي اليوم الذى تدخل فيه السفينة التي في انتظارك. فاحرص على أن تكون مستعداً عندما تأتي اللحظة التي فيها تحل السفينة من الشاطئ.

* * *

الاختيار بين الاثنين:

فرص الحياة: "لكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم". جميل جداً أن ننطلق عندما ينفتح "الباب الجميل" أمامنا، لكن هنالك أسباب ترجح معها كفة البقاء في هذه الحياة. صحيح إننا سنعرف المسيح هناك، لكننا **هنا تتاح لنا معرفته معرفة لاتتاح للملائكة.** فإنهم لم يجربوا قط، لم يسقطوا في أية خطية، لم ينالوا شيئاً من التعزية كما نلنا نحن، لم يثبتوا معه في تجاربه، لم يعرفوه غافراً للخطايا برقة وشفقة وطول أناة لاتعرف الملل، ولم يعرفوه رافعاً إياهم من أبواب الموت (مز ٩ : ١٣).

صحيح أننا سنخدمه هناك، لكن خدمته هناك أقل جداً من خدمته هنا. لا حاجة للدموع في ذلك الوطن الجميل. ولا معنى لكلمات التعزية. لايوجد ابن ضال لإرجاعه، ولا متمرد لهدايته، ولا خروف ضال للبحث عنه.

امتياز الآلام: جميل أيضاً أن نحيا للمسيح هنا إذ تتاح لنا **فرصة التألم من أجله**. هنا فقط يمكن أن نسمر على صليبه، نحمل بعض عاره، نقبل نصيبنا فى التجديف الذى يوجه إلى شخصه المبارك أو نعيّر بعاره.

ربــى نـــحـــن فـــى آلام	كــل يــوم فــى اضـطـهـاد
إنمـــا لـــنـــا ســـلام	مـــنـــك دومـــاً لـــلآبـــاد
ربــى مـــاذا نـــصـــنـــع	لمـــا يـــأتـــى الاضـطـهـاد
لا يـــصـــح نجـــزع	إذ عـلـيـك الاعـتـمـاد

ويقيناً أن البعيدين عن دائرة الألم فى هذا العالم هم الخاسرون أبداً لأنهم لاتتاح لهم فرصة الوقوف بجانب المسيح فى معركة الحياة العظمى.

امتياز مساعدة الآخرين: وجميل أيضاً أن نعيش فى هذا العالم أطول مدة لكى تكون لنا **فرص مساعدة الآخرين**. مهما اشتد حنين المؤمن إلى الانطلاق فانه عندما يفكر فى الأمر تفكيراً هادئاً يقول لنفسه: أستطيع فعل الخير طالما بقيت هنا. لى اشتهاء أن أنطلق لكن هنا أشخاص كثيرون ساقطون أستطيع أن أرفعهم، هنا ضعفاء كثيرون أستطيع أن أشددهم، هنا ضالون كثيرون أستطيع هدايتهم. ومن أجلهم لا أريد أن أنطلق قبل وقتى. فعلى أن أبقى إذاً كربان السفينة بجانب آلاته، كراع بجانب قطيعه، كحارس فى موقف حراسته، طالما كنت أستطيع إغاثة نفس واحدة.

كثيراً ما رأينا لمحات عن المدينة السماوية، كثيراً ما ألقيت الينا من فوق أسوارها علامات المحبة، كثيراً ما سقطت عند أقدامنا باقات زهور الأبدية. كثيراً ما قدمت إلى شفاهنا جرعات من ماء الحياة، كثيراً ما جاء السماويون وساروا بجانبنا وتحدثوا عن بعض الأمور بكلمات لانقدر أن نعبر عنها. هنالك لحظات تسمو فيها حياتنا سمواً فائق الوصف، ويمتلئ فيها الكأس فرحاً. لكننا نعود من بهاء المجد والأفراح التى تجل عن الوصف مكتفين بالبقاء فى الجسد طالما كان هنالك درس واحد آخر لنتعلمه، رسالة أخرى لنتممها نفس أخرى عطشى لإروائها، ضال واحد آخر لإرجاعه.

وكما فعل الرب هكذا فعل رسوله العظيم، إذ أعطى ظهره لباب الفردوس المفتوح، نزل عن جبل التجلى، وثبت وجهه نحو حمل الصليب فترة أطول. كان ظاهراً أن بقاء بولس فى الجسد أفضل من أجل هؤلاء الفليبيين بصفة خاصة، وبلا شك من أجل آخرين كثيرين فى كل الكنائس التى كان واسطة فى تأسيسها، وكان مقتنعاً كل الاقتناع أن رغبته فى البقاء مقبولة أمام العرش، ولهذا نراه يقول "فإذ أنا واثق بهذا (أى بأنى أكون أكثر نفعاً لكم إن بقيت معكم) أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان لكى يزداد افتخاركم فى المسيح يسوع فىّ بواسطة حضورى أيضاً عندكم". لم يكن قد حان بعد موعد وقوفه الأخير أمام نيرون، لم يكن قد حان بعد موعد الحكم عليه بالموت، لم يكن

قد حان الموت بعد بقطع رأسه خارج باب المدينة. لقد أعطيت اليه مهلة يستطيع فيها أن يؤدى إليهم زيارة أخرى وأخيرة، لقاء آخر ثم وداع، دخول إلى مدينتهم وخروج منها، ترحيب بمقدمه وتوديع لمغادرته إياهم. هكذا اختار له الله وهكذا كانوا هم فى حاجة إلى معونته. هكذا اشتهى أن يعود من السماء المفتوحة التى تقدم اليه مباشرة ربح الموت ـ يعود لكى يسكب دموعاً أخرى ويعانى آلاما أخرى قبل أن يتحقق من أن وقت انطلاقه قد حضر (٢تى ٤ : ٦، ٧).

(٧)

الحياة الخليقة بالإنجيل

(فيلبى ١ : ٢٧- ٣٠)

"فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل.

غير مخوفين بشئ من المقاومين الأمر الذى هو لهم بينه للهلاك وأما لكم فللخلاص وذلك من الله

لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله.

إذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فىّ والآن تسمعون فىّ"

فترة تردد: تردد الرسول فترة قصيرة. فان الغاية الأسمى من الحياة هى معرفة المسيح وخدمته، ومن الناحية الأخرى كان الموت له ربحاً إذ ينقله إلى الوجود فى أفق أوسع وفرص أوسع. لهذا وجد بعض الصعوبة والتردد فى اختيار أيهما. وخيراً وصل إلى هذه النتيجة وهى أن ساعة حل خيمته لم تأت بعد، ساعة حل السفينة، ساعة الإرتحال ليكون مع المسيح، وأنه لايزال عليه أن يبقى فى الجسد، ملازماً مركزه، ومستمراً فى تأدية شهادته

للإنجيل، وحاملا عبء الكنائس التى كانت تنظر إليه كأب. من جهته هو شخصياً كان أفضل له جداً أن ينطلق ليكون مع المسيح، أما من جهة العمل الذى كان فى حاجة إليه فقد تحقق أنه من الألزم أن يبقى مع زملائه المؤمنين كصديقهم ومعينهم، ليعمل على تقدمهم فى معرفة الله وفرحهم فى الإيمان.

وكيف يعيشون فى هذه الفترة: إذاً فقد اعتقد اعتقاداً راسخاً أنه سوف يعود إلى فيلبى، وتخيل أنه يسمع هتاف الفرح عندما ينزل إلى رصيف الميناء، ويرحب به من أعضاء الكنيسة الذين جاءوا إلى نيابوليس لاستقباله. ولكى لايعكر صفو هذه الساعة السعيدة، لكى لاتبقى فى نفس أى واحد مرارة تعرقل الفرح المتبادل، أوصاهم أن تكون سيرتهم خليقة بانجيل المسيح، حتى إذا ما أتى ليراهم أو اضطر للبقاء غائباً عنهم، سمع أنباء طيبة عن ثباتهم ووحدتهم وشجاعتهم وارتضائهم بتحمل الآلام.

«عيشوا» (أو "سيروا" حسب ترجمة اليسوعيين) أو "استوطنوا" كما يدل عليه الفعل فى الأصل اليونانى. لقد كانوا من رعايا روما، ومن الناحية الأخرى كانوا من رعايا أورشليم السماوية. فى نفس الرسالة يقول الرسول "ان سيرتنا هى فى السماوات" (٣ : ٢٠). ألا ينطبق هذا علينا أجمعين؟ ان كان لنا أن نفتخر بوطننا الأرضى فان لنا ما نفتخر به أكثر عندما نذكر اننا رعية لملك إلهى، واننا خاضعون لقوانين سماوية، وأن لنا حقوقاً فى مدينة

الله. اننا نطلب وطناً أفضل أى سماوياً، ونؤمن أن الله أعد لنا مدينة. إننا نعترف بأننا غرباء ونزلاء على الأرض، لأننا من بعيد نحي المدينة السماوية، وطن مختارى الله.

تشير هذه الكلمة أيضاً إلى نوع الحياة المحتمة على كل الذين قد أصبحوا بالإيمان أبناء أورشليم العليا. يجب أن نعيش كل يوم بكيفية تتفق مع دعوتنا العليا ومع ديانتنا السامية.

يجب أن نكون ثابتين: "إنكم تثبتون". من اليسير ـ نسبياً ـ أن نصعد بأجنحة، وأن نركض دون تعب، وأن نمشى دون إعياء (أش ٤٠ : ٣١). لكن العسير هو أن نقف ثابتين، أن لا نرجع إلى الوراء، ولا نستسلم لضغط الظروف، ولا نجبن أمام العدو، بل أن نقف ثابتين فى مركزنا بهدوء بعزيمة قوية. هذا ما يكرره الرسول فى كتاباته "لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق" (أف ٦ : ١٣ ، ١٤). وفى رسالة فيلبى هذه يأمر اخوته الأحباء قائلا "اثبتوا فى الرب" (٤ : ١). وواضح أنه كان يعتقد بأن الثبات لازم جداً فى بناء الأخلاق.

جميل جداً أن نبدأ، لكن الأجمل هو الثبات إلى النهاية جميل أن يتقدم الجندى فى الفجر شاهراً سلاحه مهيئاً للحرب، لكن الأجمل أن تراه بعد الظهر لا يزال ثابتا فى مكانه مقاوماً هجمات العدو المستمرة. قيل عن

دانيال انه "استمر" إلى السنة الأولى لكورش الملك (دا ١ : ٢١). لعل أفضل ما يوصف به أنه فى كل الحقبات التى مر بها لم ينحرف قط عن ولائه التام لله أو عن الحق، فى تأدية واجباتهم، فى التمسك بالمراكز التى عينتها لهم العناية الإلهية، هم الذين يتركون أعمق الأثر فى نفوس معاصريهم. ليست ومضات الشهب هى حاجة العالم الحقيقية، بل النور المستديم من النجوم الثابتة. إن عصفت عليك العواصف وبذلت كل الجهود لزعزعتك، وبدا كأنك تركت وحيداً فى مركز خدمتك، فاثبت حيث أنت، فقد يتوقف الموقف كله على ثبات عزمك، وقد يتقرر مصير الموقعة بثباتك فى مركزك دون أقل رجوع إلى الوراء. إن كان سيدك قد وضعك نوراً فى أحقر مكان فى البيت فلا تهجر ذلك المكان بسبب وضاعته، ففرصة الخدمة يندر أن تعود. إن أتى سيدك فى لحظة غير منتظرة ووجدك تؤدى عملك، كان هذا جزاء الانتظار والصبر طول السنين الماضية.

ويجب أن نحتفظ بروح الوحدة: "فى روح واحد مجاهدين (أو "مصارعين" حسب الترجمة الحرفية) معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل". إن فكرة الرسول مستمدة من الألعاب القديمة إذ كان الناس يصارعون جنبا إلى جنب مع غيرهم من مدينة أخرى أو مملكة أخرى. إننا نشدد عزائم بعضنا البعض عندما نجاهد معا جنباً إلى جنب. وفرقة الجنود التى تتألف من جند من مقاطعة واحدة تعطى أحسن النتائج فى الحرب. فيجب اتخاذ كل الحيطة لتجنب كل اثر لسوء التفاهم أو الغيرة أو الحسد، لأن هذه ــ أكثر

من غيرها ـ تؤدى إلى التفرقة التى هى أساس الفشل.

الوحدة في البيت: بين لنا الرب فى أمثاله أن البيت المتحد يبقى ثابتاً أمام كل الصدمات، أما المنقسم على ذاته فلا يمكن أن يثبت. هكذا الحال مع الجمعيات والهيئات والشركات، مع الجيش، مع مصالح الحكومات وإداراتها. حالما توجد روح الشكوك والغيرة والحسد، حالما يتبدد شمل الناس بسبب روح التحزب والدسائس، يعمل الجميع لصالحهم الشخصى لا للصالح العام، ويبدأ الفشل فى الحال.

الوحدة في الكنيسة: طبيعي أن يحتفظ كل فرد فى الكنيسة بشخصيته. يجب أن كل حجر فى أساس أورشليم الجديدة يلمع بضيائه الشخصى. يجب أن يلمع كل نجم بمجده الخاص. يجب أن تحتفظ كل شعاعة فى المنشور البلورى بذاتيتها وإلا استحال صدور النور. وان مجد الكنيسة العامة قائم فى تناسق الأمزجة المختلفة والصفات المختلفة والميول المختلفة. والخطر كل الخطر فى المماثلة البليدة. إن كان الأعضاء المختلفون فى كل كنيسة متماثلين، لهم وجهة نظر واحدة، يتكلمون كلمة واحدة، ينظرون إلى الحق من وجهة نظر واحدة، انعدمت الوحدة والتماسك، وكانت هنالك مجموعة من الذرات دون أى اتصال. لكن وسط كل هذه الإختلافات القائمة يجب أن تكون هنالك وحدة حقيقة، فالنغمات المختلفة تكون موسيقى جميلة، والفرق العسكرية المختلفة توحد بينها روح البطولة الواحدة، وجماعة الفرتيين والماديين والعيلاميين والساكنين مابين النهرين والكريتيين والعرب، اليهود

والدخلاء، يكونون كنيسة واحدة يحق أن يقال عنها انهم "كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، يكسرون الخبز في البيوت". في كل مانعمل كأعضاء في الهيئات المسيحية يجب أن نتمسك بالنواحي التي تتفق فيها كلنا معاً، ونحذر كل الحذر من روح التفرقة في النواحي الثانوية التي نختلف فيها.

يجب أن نظهر الشجاعة أمام أعدائنا: "غير مخوفين بشئ من المقاومين الأمر الذي هو لهم بينة للهلاك وأما لكم فللخلاص وذلك من الله". كان هؤلاء المقاومون يشملون اليهود الذين تعقبوا خطوات الرسول بحرارة محاولين تعطيل رسالته، وجماعة الأمم الذين حقدوا عليه أيضاً فجلدوه بقسوة وسجنوه هو وسيلا قبل ذلك بعشر سنوات.

ويدل الأصل اليوناني بكلمة "مخوفين" على تصرف الحصان إذا ذعر فهاج واندفع بتهور. إنها تعبر عن الذعر والفزع، كأن امرءاً يقول: من العبث أن تقاوم فالعدو أقوى منك.

والواقع أنه إن تنجح مقاومونا كثيراً، فإن نتيجة الأذى محدودة جداً. إن اقتربوا إلينا، كما اقترب جليات إلى داود، وهددوا بإيقاع الأذى بنا، فانهم عندما يتبينون أننا قد وقفنا ثابتين يرجعون إلى الوراء، يغطيهم الخزى كما تعود الموجات عن صخور الشاطئ. قد يتبين بعض الأحيان أن المياه في ثورتها سوف تفتت الصخور، لكنها في لحظة تظهر أنها لم تنتج سوى قليلا

من الرغاوى. هذا ما حدث لكل القوات العالمية التى تحدث أولاد الله وكنيسة الله فى كل الأجيال. "هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بها فروا. أخذتهم الرعدة هناك، والمخاض كوالدة بريح شرقية تكسر سفن ترشيس" (مز ٤٨ : ٤-٧).

الشجاعة تليق بخدام الله: يليق بخادم الله أن يتحلى بالشجاعة التى لاتلين. لقد لمعت هذه الشجاعة على وجوه الفتية الثلاثة الذين تحدوا الملك قائلين إنهم لن يسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه. ولمعت على وجوه الرسل عندما قالوا للسنهدريم إنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس. قال أحد الشهداء لزميله "تعز وكن رجلا فإننا بنعمة الله سنشعل اليوم فتيلة نثق أنها لن تنطفئ قط". بمثل هذه الكلمات تبينت الشجاعة التى كانت هى القوة الدافعة فى نفوس شهداء يسوع. إنها مستحيلة على اللحم والدم العاديين، لكننا بالإيمان ننال قلب الأسد من ذاك الذى ليس خروفاً مذبوحاً فحسب بل هو أسد سبط يهوذا.

يجب أن نقبل الآلام كهبة من الله: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله. إذ لكم الجهاد عينه الذى رايتموه فىّ والآن تسمعون فىّ". يا لعظم الشجاعة التى بعثتها هذه الكلمات فى نفوس مسيحيى فيلبى. لقد أدركوا أن الرسول ينظر إليهم كجنود زملاء له فى الحرب التى اشتبك فيها مدى الحياة. إن ثباتهم وانتصاراتهم فى فيلبى سهلت عليه مهمة المقاومة، كما أن بطولته فى روما بعثت الشجاعة

والرجاء فى تلك المدينة البعيدة ـ فيلبى. لقد كانوا رفقاء، زملاء فى الجندية، محملين بمسئولية مماثلة من أجل الرب العزيز الذى يقود المعمعة.

ونصرتنا هى نصرة الرب: كان هذا هو نفس فكر السيد حينما قال للسبعين لدى عودتهم بعد إخراج بضعة شياطين "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو ١٠ : ١٨). لقد شجعهم إذ ذكرهم بأن نصرتهم هى نصرته. وهذا هو الحال على الدوام. إن كان هنالك ولد يعير من زملائه لأنه يصلى بجانب سريره، إن كانت هنالك فتاة تعير من زميلاتها فى المصنع لأنها تقرأ كتابها المقدس فى ساعة الفراغ، إن كان هنالك صانع يضطهد من زملائه لتوبيخه إياهم بسبب أحاديثهم النابية، فإن هؤلاء وأمثالهم يشتركون فى ذلك الصراع الدائم بين السماء وجهنم.

الآلام من أجل المسيح هبة: إن الآلام محتمة فى ذلك الصراع. لكن لنذكر بأن الآلام من أجل المسيح هبة "قد وهب لكم لأجل المسيح". يهب المسيح للبعض ثروة، للآخرين علماً، لغيرهم موهبة الكلام أو التدبير، وللبعض ـ المقربين جداً إليه ـ يهب امتياز الآلام. فتقبل الآلام. فتقبل الآلام كهبة ثمينة من يده، واثقاً أنك بهذه الآلام تكمل مانقص من آلامه من أجل جسده أى الكنيسة. لقد سمح لك أن تدخل إلى جثسيمانى لتسهر معه، إن آلامك ثمينة فى عينيه، وسوف يكون لها أثرها فى التعجيل بمجئ ملكوته.

(٨)

. تضافر القلوب المسيحية

(فيلبى ٢ : ١ - ٤)

فان كان وعظ ما فى المسيح. إن كانت تسلية ما للمحبة. إن كانت شركة ما فى الروح. إن كانت أحشاء ورأفة.

فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيئاً واحداً.

لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم.

لاتنظروا كل واحد إلى ماهو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً .

الشركة ضرورية لنمو الأخلاق: منذ بدء الخليقة ليس جيداً أن يكون الإنسان وحده. فإنه لايطيق أن يعيش وحيداً. قد يكون هذا ضرورياً لكنه قد يتعذر عليه النمو الكامل. إنه فى حاجة إلى أن يعيش مع من هم أسمى منه، ومع المساوين له، ومع من هم أدنى منه، لكى يصل إلى النضوج الكامل.

وهذه الشركة يجب أن تكون داخلية أكثر من أن تكون خارجية: يجب أن تكون بالروح والعواطف لا بالمظاهر. إن شعر المرء أنه يعطف على

بعض النفوس فانه لايبالى كثيراً إن بقيت هذه النفوس صامتة. إن وجد هنالك فى هذه اللحظة ملاك جليل انتدبه القدير فى مهمة جليلة إلى أحد أطراف الكون، وهو فى هذه اللحظة يطير فى الفضاء لإتمام قصد العلى، يخفق صدره بالتسبيح وحيداً دون أى رفيق آخر من الملائكة ليتجاوب صوته مع صوت تسبيحه، فلعله لايحس بالوحدة أو الوحشة أو العزلة لأن قلبه ملئ بالعطف على ذلك الجيش العظيم من الكائنات التى تركها خلفه. إذاً فليس من الضرورى أن تكون لنا اتصالات خارجية مع الناس لنمو الأخلاق، لأنه إن كانت الاتصالات داخلية والقلوب مرتبطة، فإن هذا يكفى لإتمام القصد الإلهى.

وهذه الشركة تتم عن طريق واسطة مشتركة: طبيعى أنه توجد أنواع كثيرة من القرابة التى تجذب الرجل إلى الرجل. والمرأة إلى المرأة، والرجل إلى المرأة، بجاذبية داخلية وتقارب القلوب إلى القلوب. لكن هذه القرابة لا تكون فى غالب الأحيان قوية إلا إذا التقت القلوب عند مصلحة مشتركة. قد تتجمع حبات الرمل معاً إذا بللت وضغطت معاً، وعندئذ يبدو أنها متماسكة. لكنها إذا جفت فقدت تماسكها وتناثرت حباتها واحدة بعد الأخرى. أما إذا تجمعت حبات من برادة الحديد حول مغناطيس واحد فان المغناطيس يجذبها إلى نفسه وبالتالى يجذبها بعضها إلى بعض، وعندئذ لايكون هنالك أى مجال للتناثر، بل تماسك مستمر. هذا هو الحال مع البشر. قد يتجمع البعض معاً لأن عوامل خارجية تضغطهم معاً، لكن

وحدتهم إنما هى وقتية. وقد يعتنق الآخرون مبدأ مشتركاً فيصيرون كتلة واحدة. إذاً فالأفضل جداً أن نتماسك معاً مع غيرنا لأنهم متصلون بمركز مشترك أو واسطة مشتركة.

وهذه الواسطة قد تكون مشاعر مشتركة: خذ مثلا لهذا، أخاً وأختاً صغيرين فى عائلة واحدة. لقد ارتبطت روحاهما معاً، والله وحده يعلم كيف ارتبطتا. لقد التقيا فى هذه الدائرة العائلية الواحدة. هذه الحياة العائلية الواحدة بما فيها ومن فيها من الأب والأم والأجداد والأثاث والحديقة أو المزرعة ـ هذه كلها تخلق مشاعر مشتركة تقدم لهاتين الشخصيتين واسطة تجاذب غير عادية. هكذا يكون الحال إن وجد فنانان معاً. فإن مصالحهما المشتركة فى جمال الطبيعة أو فى أنهما يدرسان معاً أسرار المخلوقات ـ هذه المشاعر المختلفة تجذب الواحد للآخر. وربما يكونان قد التقيا فى قرية صغيرة دون أن يعرف أحدهما الآخر من قبل وقضيا فيها معاً أسبوعا واحداً، لكنهما منذ ذلك الأسبوع قد ارتبطا معاً بهذه المشاعر المشتركة.

أو قد يلتقى معاً رجلان من المصلحين أتيا من ناحيتين مختلفتين، يتكلمان لهجتين مختلفتين أو لغتين مختلفتين، فيجتمعان معاً فى مكان واحد ويتجاذبان أطراف الحديث، وعندئذ تربط المشاعر المشتركة قلبيهما برابطة لاتنفصم مدى الحياة.

والأفضل أن تكون الواسطة ولاء مشتركاً: أى ولاء مشتركا لشخص

معين. هذا هو الذى وحد القلوب عند مغارة عدلام. لقد أتى أتباع داود من كل أطراف. اسرائيل، كان الكثيرون منهم خشنى الطباع؛ كان البعض مثقلين بديون باهظة، والبعض طريدى العدالة. لكنهم حالما وصلوا ذلك المكان وتجمعوا حول شخصية داود السحرية تماسكوا فى شركة عجيبة. وأمام هذا التماسك سقطت مملكة شاول. لأنه لم يستطع مقاومة تلك الغيرة المتأججة فى حدود هذه الجماعة المتحدة التى اتحدت بعضها مع بعض لأنهم التفوا حول داود.

والأفضل من الكل أن تكون الواسطة هى الله نفسه: الرب يسوع المسيح. هذا ما تستطيع ان تتحقق منه فى لحظة إذا لاحظت التغيير العجيب الذى يدخل على الأسرة التى تدخلها المسيحية. قبل أن تدخلها المسيحية ربما كان الأب والأم والأولاد مرتبطين معاً برابطة معينة، لم يكن هنالك حسد أو خصام. لكن بعد أن حلت النهضة بالكنيسة وتجدد كل أفراد البيت وجد هنالك عمق جديد، بركة جديدة فى الحياة العائلية. أصبح اسم الله يذكر وقت تناول الطعام، بل حتى وقت اللعب ووقت الرياضة. وأصبح التفكير فى الله يسود كل أفراد البيت. فالشعور بحضور الله يعطى معنى جديداً لكل محبة، وكل سعى، وكل عمل. لقد انسكبت ثورة جديدة وجمال جديد على كل واحد منهم.

إذا ما انجذب شخصان الواحد للآخر بواسطة مشاعر مشتركة وبعد ذلك

صارا مسيحيين حقيقيين وبدأ يحبان الله ازدادت محبتهما الواحد للآخر وازداد ارتباط قلبيهما. لقد تعمقا إلى لب الصداقة التى لم يكن ممكناً أن تعيش في الجو البارد الذى كانت معرضة له من قبل. لقد غرساها فى جو محبة الله فاكتسبت جمالا جديداً لم يكن ممكناً أن تحصل عليه من قبل.

وهكذا ترى أنه مهما قويت العوامل التى تجذبنا بعضنا إلى بعض حول مركز معين من المصالح المشتركة أو المشاعر المشتركة فلن توجد شركة مثل تلك التى تبعث فينا عندما نتحد معاً فى محبة مشتركة ليسوع المسيح وولاء مشترك لملكوته. عندما ترتبط نفوسنا معاً برابطة التمسك بالله فى المسيح فهذا هو الأساس الراسخ لأقوى شركة.

* * *

وتبين لنا هذه الأعداد الأولى من الاصحاح الثانى أنه توجد خمس روابط للوحدة والشركة فى الإنجيل:

(١) **وعظ**(١): هذه هى الرابطة الأولى. إذن فمن الصواب أن تتصدر هذه الرابطة "إقناع المسيح" سائر الروابط فى الشركة المسيحية. واضح ن المسيح يهتم بكل شركة فى الكنيسة، لكننا قد لا ندرك فى كل وقت ماذا يفعله دواماً لإقناعنا بالاحتفاظ بالشركة. ألم تمر عليك أوقات فى حياتك

(١) أو "تعزية" حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين، أو "إقناع" حسب ترجمة أخرى. ولعل هذه الأخيرة أقرب إلي المعنى المقصود.

ثارت فيك عوامل الحقد والغيظ لكنك أدركت أن هنالك صوتاً يتكلم فى داخلك وتأثيراً رقيقاً يتملك مشاعرك وحنيناً نحو أخيك الذى حقدت عليه أو غتظت منه؟ هذا هو إقناع المسيح. إنه هو الذى منعك عن التلفظ بتلك الكلمة النابيه، أو كتابة ذلك الخطاب القاسى اللهجة، أو سلوك ذلك الطريق المر الذى كان يبدو لك أنه أنسب الطرق للانتقام من عدوك. إن المسيح هو الذى أقنعك للعدول عن استخدام سلاح الانتقام، ولمعاملته بروح الأخوة، وذلك لأنه أرادك الاحتفاظ بوحدة الروح سليمة فى رباط السلام.

(٢) **تسلية المحبة**(١): هذه هى الرابطة الثانية. احتفظ برابطة الشركة المسيحية بأن تقابل زملاءك المسيحيين بتسلية المحبة أو بوجه بشوش رقيق منبعث من المحبة. كلنا نعرف معنى الوجه البشوش لما يكون المرء مجهداً طول النهار ولا يطيق حتى نفسه. لما يخرج من كد النهار منقبض الصدر كئيب النفس ويعود إلى بيته فتفتح له الزوجة بوجه باش ويهرع اليه الطفل بطفولته البريئة، فإنه عندئذ تزول عنه كل كآبة وهم وغم، ويبدو له أنه خير للمرء أن يكابد التعب والنصب بسبب ما يقابل به من الترحيب الحار والبشاشة واللطف. فى كل مكان فى العالم يوجد عدد وفير من المسيحيين الذين خارت عزائمهم، وارتعشت أياديهم، وانخلعت ركبهم. فلنحرص على أن نبعث المحبة المسيحية فى قلوب هؤلاء، وذلك بابتسامة حلوة أو كلمة رقيقة.

---

(١) أو "راحة" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "بشاشة" حسب ترجمة أخرى.

(٣) **شركة الروح:** هذه هى الرابطة الثالثة وتعنى الكلمة الاشتراك فى الروح أو السير فى شركة مع الروح. إن الذين يعيشون بالقرب من الله هم الذين يعرفون معنى هذه الشركة، يعرفون أنهم فى شركة على الدوام، غير متروكين وحدهم لحظة واحدة، لايدخلون غرفة قط فى شعور بالوحدة أو الوحشة أو شعور بأن الغرفة خالية. إذا سافروا لن يشعروا بأن السيارة خالية أو أنهم فى عزلة ووحشة. لكنهم يشعرون على الدوام برفقة الروح القدس لهم. كل مسيحى يشعر بهذه الرفقة. وعلى قدر ما تعمقنا فى شركة الروح على قدر ما تلاشت حدة الطبع أو خشونة المعاملة مع إخوتنا.

(٤) **أحشاء رأفات:** هذه هى الرابطة الرابعة. أو "أحشاء ورأفة". وتعنى الكلمة اليونانية "إنسانية وشفقة". فى العبارة السابقة رأينا أننا يجب أن نظهر البشاشة التى تحيى الجندى المجهد لدى عودته من المعركة دون أن نستهين بمرارة قلبه، والتى تحيى الزملاء المساوين لنا الذين تعرف مرارة قلوبهم. أما فى هذه العبارة فنرى كيف نظهر شركة لأتباعنا ومرؤوسينا، للساقطين والضعفاء والمجهدين، للذين تصرخ أرواحهم فى ألم. بهذا نتعاون مع المسيح فى تعزياته ومع الروح القدس فى شركته، بهذا نبنى وحدة الكنيسة.

(٥) **رأى واحد وقصد واحد:** هذه هى الرابطة الخامسة. "حتى تفتكروا فكراً واحداً بنفس واحدة مفتكرين شيئاً واحداً". هذا يذكرنا بالعبارة التى وردت فى سفر أخبار الأيام الأول التى تقول إن أناساً كانوا يأتون يوماً فيوماً

من كل إسرائيل "بقلب تام" أى برأى واحد ليملكوا داود (١أى ١٢ : ٢٢، ٣٨) إن أعمق فكرة فى الشركة المسيحية ـ وهى التى تجعلنا واحداً بالحق ـ هى الرغبة فى أن نملك يسوع، أن نجعله محبوباً مكرماً ممجداً، لكى تجثو له آلاف الركب وتعترف به رباً. ليت هذه تكون هى الفكرة السائدة بيننا.

فى مثل هذا الجو، الذى يحب فيه كل واحد غيره، ويحيا الكل للغرض الواحد، وهو مجد يسوع، تنشأ ثلاث نتائج.

ثلاث نتائج:

(١) **انعدام روح التحزب:** "لاشيئاً بتحزب". لايستطيع الواحد أن يقول أنا لابولس والآخر أنا لصفا، لأن الجميع للمسيح.

(٢) **روح التواضع المطلق:** كل واحد يحسب غيره أفضل من نفسه. ولماذا؟ لأن كل واحد ينظر إلى أفضل ما فى غيره وإلى أسوأ ما فى نفسه. وعندما تقارن ماتعرفه عن نفسك بما تعتقده فى الآخرين فإن التواضع المطلق يخلق فى داخلك. عندما تقارن ماتراه من عيوب فى نفسك بما تمتدحه فى الآخرين، لاتجد صعوبة فى أن تحسب غيرك أفضل من نفسك. ومن ذلك تنشأ النتيجة الثالثة:

(٣) **تخلق فينا العادة أن لاننظر إلى ماهو لأنفسنا بل إلى ماهو لآخرين أيضاً:** تتسع فينا دائرة العطف. عندما نعرف الله نبدأ بأن نرى شيئاً منه فى غيرنا ممن تعودوا على أوساط أخرى غير أوساطنا. ونتحقق بأن الذين

ليسوا من حظيرتنا لايزالون من نفس الرعية. عندما تزداد محبتنا للمسيح فإننا نكتشفه بكيفية عجيبة فى من لايتبعون كنيستنا أو مذهبنا لكنهم يحبونه أيضاً مثلنا، يحبون نفس الحياة التى نحياها نحن، وممتلئون من نفس الروح. ولا نتراخى فى ولائنا لكنيستنا الخاصة بل تتسع دائرة عطفنا لكى تشتمل الكنيسة العامة التى هى جسد المسيح.

لعلك لم تدخل بعد حياة المحبة، لاتعرف بعد ما هى محبة الله، قد جعلتك خطيتك أنانياً. لكن إن كنت مستعداً أن تتخلى عن أنانيتك، عن حياتك الخاطئة، وأن تجثو عند الصليب طالباً الغفران والخلاص، فإنك تدخل خطوة فخطوة إلى ذلك الاختبار السابق التحدث عنه، والذى يعتبر واحة وسط برية هذا العالم القاحلة الجرداء.

(٩)

أخلى نفسه

(فيلبى ٢ : ٥– ٨)

"فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً.

الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد سائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب".

امتزاج العظمة والتواضع: تسمو هذه الآيات سمواً لا تدانيه أية فقرة أخرى فى كل الكتاب المقدس. فإنه لاتوجد فقرة أخرى اقترنت فيها أقصى حدود عظمة المسيح مع أقصى حدود تواضعه. لأن الرسول إذ استرشد بروح الله نراه يفتح "برجل" خياله وإيمانه الذهبى ويضع أحد طرفيه على عرش الله الأزلى والطرف الآخر على صليب الخزى الذى مات عليه يسوع، ويبين لنا الخطوات العظيمة التى بها اقترب يسوع ويقترب دواماً إلى حاجات البشرية وأخطائها، لكى إذا ما عانقنا فى حالتنا الوضيعة حملنا معه إلى حضن الآب، ولكى إذا ما حمل خطايانا وآلامنا حملنا إلى المجد الذى كان له عند الآب منذ تأسيس العالم.

وهذا الوصف البديع عن تنازله إلى خزينا وآلامنا قد ذكره الرسول ليكون حافزاً لنا على أن لاينظر كل واحد إلى ماهو لنفسه أو يتمسك به بل أن

يتنازل إلى حد الخزى والآلام والبصق من أجل الآخرين، متمما قصد الله فى رحمته للعالم كما فعل المسيح. "فليكن فيكم هذا الفكر". فكروا هذه الأفكار. لاتنظروا فقط إلى مصالحكم الشخصية، لاتدعوا شيئاً مما لكم يقف فى طريقكم، بل كونوا دواماً مستعدين لانكار ذواتكم إلى أقصى حدود انكار الذات، لكى ينتقل عن طريق حياتكم قصد الله الفدائى للذين هم فى أشد الحاجة إلى معونته. أليس رائعاً وعجيباً أننا نستطيع ـ فى حدودنا المحدودة الضعيفة ـ أن نكرر قصد وعمل يسوع المسيح عمانوئيلنا يوماً فيوماً.

لاتستطيع أبلغ أو أفصح كلمات أن تضيف شيئاً إلى جمال وعظمة هذه الكلمات، بل لتقف أقدامنا فى بساطة تامة على هذه اللوحات السبع المتتابعة المصنوعة من زبرجد.

* * *

(١) **المسيح هو صورة الله:** إن الكلمة اليونانية المترجمة "صورة" تعنى شيئاً أكثر من مجرد الصورة الخارجية. إنها تعنى جوهر طبيعة الله، وهكذا نستطيع القول أن ليسوع المسيح جوهر طبيعة الله وصفاته منذ الأزل. هذا يتفق تماماً مع عبارات الكتاب الأخرى. فمثلا قيل عنه انه "هو صورة الله غير المنظور" (كو ١ : ١٥) "وبهاء مجده" أى شعاع مجد الآب اللامع "ورسم جوهره" أى طابع جوهره (عب ١ : ٣). وقيل أيضاً "الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" و "كل شئ به كان". وعندما نتأمل فى تلك

المناجاة الرائعة بين الله الابن والله الآب فى (يو ١٧) نلاحظ إشارته إلى المجد الذى كان له عنده قبل كون العالم. كل هذه الكلمات العميقة تبرهن أن يسوع المسيح مساو للآب فى الأزلية والقداسة، فهو واحد معه كما أن الروح والنفس واحد فى تكوين طبيعتنا.

* * *

(٢) **ليس هنالك اختلاس:** لم يكن هنالك اختلاس عندما قال بمساواته مع الله. "لم يكن يعتد مساواته لله اختلاساً" (حسب ترجمة اليسوعيين) إذ كان واثقاً من هذه الحقيقة. كانت المساواة أزلية، فلم يحسب ذلك اختلاساً. لم ير انه قد انتقص شيئاً من مجد الآب عندما وقف فى مساواة تامة معه. وجميل أن نلاحظ كيف أثبت هذه الحقيقة فى الدوائر الأربع من حياته على الأرض. ولكل واحد منا أربع دوائر.

١ - الأولى دائرة اخصائه. فى الطريق إلى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه عمن يقول الناس انه هو فصرخ بطرس قائلا "أنت هو المسيح ابن الله الحى". هذه لايمكن أن تعنى أن بنوية الرب يسوع المسيح مثل بنويتنا نحن. وإلا كانت إجابة بطرس بلا معنى. بل كان هنالك معنى أعمق، وقد زاده الرب تأكيداً إذ قال "إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات". فى هذه الكلمات أعلن امتيازه الذى انفرد به، وهو مساواته للآب. ولعلك تتذكر كيف قال بعد ذلك "أنتم تؤمنون بالله" فاعطونى نفس

الإيمان "فآمنوا بى". لم يحسب اختلاساً أن يقبل الإيمان الذى يعطيه الإنسان لله. لقد قال بكل صراحة "أبى وأنا"، "إليه نأتى وعنده نصنع منزلا". لم يحسب اختلاساً أن يدخل النفس البشرية ويشارك الآب فى احتلالها. لقد تحدث كثيراً مع اخصائه عن نفسه بأنه واحد مع الآب، فى وحدة سرية غير مدركة لكنها وحدة جوهرية.

٢ - الثانية دائرة الرأى العام. لقد قال "أنا والآب واحد" ونطق بهذه بلهجة التأكيد مما جعل اليهود يرفعون حجارة ليرجموه، لأنه وهو انسان يجعل نفسه إلهاً على حد تعبيرهم (يو ١٠ : ٣١). ثم انه قال لهم أيضاً إن الجميع سوف يكرمون الابن كما يكرمون الآب (يو ٥ : ٢٣). وهو لم يحسب اختلاساً لله أن يقبل الاكرام الذى يقدمه البشر لله.

٣ - الثالثة دائرة محكمة العدالة. اننا نعرف كيف تحداه رئيس الكهنة وطلب منه الافصاح عن حقيقة طبيعته وقال "هل أنت المسيح ابن الله" مستعملا كلمة "ابن" بالمعنى الذى استعمله اليهود دواماً للافصاح عن اللاهوت. أما هو فأجاب قائلا "أنت قلت. وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (مت ٢٦ : ٦٣، ٦٤) ذلك لأنه لم يحسب اختلاسا أن يشارك الله فى امتيازه ومكانه.

٤ - وأخيراً دائرة الموت. عندما أتى الموت، وعلق الرب فوق صليب العام

لم يتراجع لحظة واحدة ليسحب كلمة واحدة مما قاله، بل فتح الباب للص التائب، وأكد له أنه سوف يكون معه ذلك اليوم في الفردوس. ذلك لأنه لم يحسب اختلاساً لله أن يتخذ حق فتح باب المغفرة والحياة. في كل أيام حياته على الأرض نراه يؤكد مساواته لله، وأنه هو والآب واحد.

* * *

(٣) أخلى نفسه: "واضح أن هذا كان بإرادته واختياره.

أخلى نفسه من مجده. كما وضع موسى البرقع على وجهه ليخفى المجد الذى كان يتألق منه، هكذا حجب عمانوئيل المجد الذى كان يشع من شخصه. يقول لنا الكتاب أنهم لايحتاجون إلى شمس في السماء لأن حضرته هي شمس. أي بهاء من النور شع من يسوع ـ الأقنوم الثانى فى الثالوث المقدس ـ فى تلك الدهور السحيقة قبل التجسد، بل قبل خلقة العالم. لكنه لما نزل إلى الأرض حجبه. الكلمة صار جسداً وحل بيننا. حجب مجد الله فلم يستطع أن يخترق الحجاب إلا على جبل التجلى حيث رفع المسيح برهة وجيزة هذا الحجاب الذى حجب به مجده باختياره فتألق المجد بكيفية رائعة عجيبة.

لكن لعل القصد هنا أن يبين الرسول أنه أخلى نفسه من استخدام كل صفاته الإلهية. هذه حقيقة جوهرية يجب فهمها أن أردت دراسة حياة مخلصنا دراسة صحيحة. فاننا نقرأ عنه انه جاع وتعب وتألم وجرب مع انه

كان قادراً بقوة لاهوته أن يتفادى كل هذه.

* * *

(٤) **المسيح فى صورة عبد**: ب"آخذاً صورة عبد" أراد الله اللانهائى ـ الذى هو واحد معه ـ أن يتمم بعض المقاصد فى عالمنا، فتنازل الأقنوم الثانى فى الثالوث أن يأتى لكى يعلن لنا الآب. وكما أن الكلمات التى تخرج من أفواهنا مطبوعة بطابع عقولنا، والهواء المحيط بنا يخضع لحركات الحنجرة ويحمل ما فى عقولنا إلى الآخرين الذين يصغون، هكذا كان يسوع المسيح كلمة الله المطبوعة بفكر الله وعقله وقصده، وهكذا استطاع الآب أن يعلن ذاته فى الابن. لقد أعلن المسيح لنا الله الذى لم يره أحد ولا يستطيع أحد أن يراه.

فمن السخافة إذاً فصل يسوع عن الآب. يخطئ الوعاظ خطيئه فاحشة عندما يتحدثون عن الكفارة كأن يسوع توسط لإرضاء الآب، لإشباع شئ فى الله لم يكن ممكناً إشباعه فقبل أن يحب. فالأمر على العكس من ذلك لأن كل الكتاب المقدس يؤكد هذه الحقيقة أن الله كان فى المسيح، وأن مافعله المسيح كان الله هو الفاعلة، وأن موت الصليب كان عملا تممه كامل اللاهوت. فأى عجب إذاً إن قال الآب "هوذا عبدى الذى أعضده. مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى.عليه فيخرج الحق للأمم" (أش ٤٢ : ١).

(٥) **في شبه الناس:** "صائراً في شبه الناس" لقد جاز كل اختبارات الجسد البشري. جاز الطفولة والحداثة والرجولة. كان ضرورياً أن يتحد تماماً بالإنسان كاتحاده تماما مع الله "لكي يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب ٢ : ١٧ ، ١٨). من أجل كل هذه الأسباب لم يحتقر بطن العذراء، بل تأنس. فينبغي أن لانرهب كثيراً أثقال الحياة البشرية، لأن ربنا ومعلمنا قد جاز هذا الطريق قبلنا، وترك لنا آثاراً وراءه، كما يفعل الذين يعبرون الغابة الأسترالية إذ يكسرون أغصان الأشجار كل الطريق لكي ترشد الذين يتبعونهم. جميل أن نعيش هنا في هذا العالم لكي نصبح شركاء الطبيعة التي لبسها الرب يسوع.

* * *

(٦) **المسيح يطيع حتى الموت:** لقد مات. لم يكن هنالك مبرر شخصي أن يموت لأنه بلا خطية، والموت هو نتيجة الخطية فقط. فآدم أخطأ ولذلك مات. لكن يسوع لم يخطئ ولذلك فلم يكن هنالك مبرر أن يجوز طريق الموت. كان ممكنا لآدم أن يختطف إلى الله لو أنه لم يأكل من ثمر الشجرة. كان ممكناً للرب يسوع وهو على جبل التجلي أن يخطو خطوة إلى السماء وينتقل جسده في لحظة، في طرفة عين ... إلى التجلي الأعلى. لكن لو تم هذا لما أمكن أن يجبر الناموس المقدس الذي كسره الإنسان.

لهذا نزل من الجبل، وأسلم نفسه للموت بكل هدوء، وهو مدرك تمام الإدراك كل ما كان ينتظره. لقد بذل حياته على الصليب. وأحنى رأسه الوديعة لسلطان الموت. كان له سلطان أن يضع حياته كهبة اختيارية وذبيحة عن جنسنا. ولقد استخدم فعلا هذا السلطان. مع أنه رب الكل إلا أنه أطاع حتى أقصى عقوبة بشرية، وبالموت أباد ذاك الذى له سلطان الموت.

* * *

(٧) **حتى موت الصليب**: لقد اختار أشر أنواع الموت عاراً وألماً. كانت هنالك طرق كثيرة للموت كقطع الرأس أو إيقاف حركة القلب.أو شرب السم وما إلى ذلك. كان موت الصليب هو موت العبيد، أشر أنواع الموت خزيا وعاراً. قال شيشرون (أعظم خطباء وفلاسفة الرومان) : هذا النوع من الموت ليس بعيداً عن أجساد الرومانيين فحسب بل عن تخيلهم. ولأنه كان أشد أنواع الموت خزيا وأشدها ألما فقد اختاره المخلص. لم يكن هنالك ماهو أدنى منه.

يدور بخلد المرء أحيانا أنه كان ممكناً أن يموت المسيح فى بيت عنيا مثلا، فى بيت لعازر وقد انفتحت نافذته نحو أورشليم، فتمسح مريم عرق الموت من جبينه، وتلبى مرثا كل طلباته، ويقدم إليه لعازر كل معونة أخوية. لكن الرب لم يختر هذا النوع لأنه أراد أن يذوق الموت نيابة عن كل إنسان ويصير لعنة ويضع أذرعه الأبدية تحت كل اتباعه الذين ماتوا أشر الميتات

وأشدها عاراً.

فليكن فينا هذا الفكر: يجب أن نكون مستعدين للتخلى عن مطامعنا وأمجادنا، عن عروش الراحة والتبجيل والقوة، إن كنا بهذا نستطيع أن نكون أكثر نفعا وخدمة للآخرين. يجب أن نكون مستعدين بأن نأخذ صورة العبيد، أن نغسل أرجل بعضنا بعضا، أن نخضع حتى للعار والبصق، لسوء الظن والتشهير، إن كنا بهذا نستطيع أن نزيد العالم اقترابا من الله. ليس هنالك طريق آخر للجلوس مع يسوع فى عرشه، ليس هنالك طريق آخر لخدمته ومساعدته ـ ولو مساعدة ضئيلة ـ فى خدمة خلاص الآخرين.

يوجد بيننا الكثيرون الذين يشتهون مثل ابنى زبدى الجلوس عن اليمين واليسار فى الملكوت، لكنهم لن يصلوا إلى هذا لأنهم لايريدون دفع النفقة، أى شرب كأسه والاصطباغ بصبغته. لايريدون الجلوس على المقاعد الواطية أو قبول الأعمال الوضيعة. بل يحبون الإكرام الذى يأتى من مدح الناس والشهرة التى تأتى عن طريق الإعلانات البارزة فى الصحف اليومية. ليت الله يسامحنا ويخلصنا من الخضوع لهذه التجارب الخداعة، ويهبنا روح ربنا ليكون فينا هذا الفكر الذى فيه. عندما أدار "كبلر" المرقب "التلسكوب" فى بداية الأمر ليحدد السديم قال "إننى أستعيد أفكار الله الأولى" لكننا يقينا قد أعطينا أن نستعيد أفكاراً أسبق من الخليقة، تلك التى كانت فى قلب الخروف المذبوح قبل تكوين العالمين.

لا أستحي بربي بل أقف مناديا

ولا أن أقف له محاميا

نى الصليب في الصليب بدا لي نور عجيب

حتى زال حزن قلبي الشديد

عيني أبصرت ذا الفادي الحبيب

فامتلأت سروراً مجيد

(١٠)
أسمى الأسماء

(فيلبى ٢ : ٩- ١١)

"لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم

لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض.

ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب المجد الله الآب" .

اسم فوق كل اسم: هذا هو الجانب الآخر من موضوعنا السابق. فى ذلك الموضوع تأملنا فى النزول، والآن لنتأمل فى الصعود. فى ذلك الموضوع تأملنا فى تواضعه، والآن لنتأمل فى المجد الذى ارتفع إليه. يجب أن نضع هذه الآيات بجانب تلك التى وردت فى (أف ١ : ١٥-٢٣) التى فيها يؤكد الرسول أن الله أعلن فى شخص يسوع عظمة قدرته الفائقة إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى الدهر الآتى أيضاً. والواقع إنه فى كل العهد الجديد يتضح عمل الاب فى رفع ابنه، وهذا يذكرنا على الدوام بالفارق بين عمل البشر الذين بأيد أثيمة صلبوه وقتلوه، وبين عمل الله الذى أقامه من بين الأموات.

هنالك تفسيران لهذه العبارة توحي بهما ترجمتان لها. تقول الأولى إن الله قد رفعه وأعطاه "الاسم" الذى هو فوق كل اسم لاتقول "اسماً" بل "الاسم"، وهذه تحمل المعنى بأن الله اللانهائى أعطي يسوع اسمه "يهوه" الذى لاينطق به. واضح أن الاسم الذى فوق كل اسم هو اسم يهوه الذى كان اليهود يعتقدون أنه اسم مقدس فلم يذكروه قط ولم يكتبوه قط. إنه من الضرورى لنا أن نتأكد بأنه فى يسوع المسيح يمتزج فى هذه اللحظة جمال الناسوت بمجد يهوه الفائق، المجد الذى كان له عند الآب قبل كون العالم هذه حقيقة عميقة ومباركة يتضمنها المعنى هنا لأن مخلصنا هو الله.

لكن بعد التأمل الدقيق فى الموضوع من جميع الوجوه يبدو أنه من الأفضل التمسك بالترجمة الأخرى "وأعطاه اسماً"، فإن اسم يسوع الذى أطلق عليه وقت الولادة يعتبر أسمى كائن وجد فى كل الكون، وأن الاسم، أو بالأحرى الطبيعة التى يمثلها الاسم، تعتبر أسمى كل الصفات، ويسمو سمواً فائقا عن كل الصفات الأخرى وعن كل أنواع الكائنات.

اسم يسوع: اسمه اسم غالب منتصر، اسم سوف يظل غالبا منتصراً. اسم سام وسوف يظل ساميا. لقد أطلق عليه أولا بواسطة جبرائيل الملاك عندما حمل البشارة إلى أمه المباركة وقال "ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع". وعندما كان يوسف يفكر فى تخلية مريم خطيبته أو فى عدم تخليتها "إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا لاتخف أن تأخذ

مريم امرأتك. لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع". حمل ربنا هذا الاسم "يسوع" طيلة أيام حياته على الأرض، وطالما استعمله رسله بعد قيامته ـ كما لو كان تعويذة للنصرة ـ عندما صنعوا معجزات باسمه. وطالما أشير إليه فى الرسائل، سيما فى الرسالة إلى العبرانيين. وواضح إنه قد أطلق على أسمى كائن وجد. فى كل دائرة الوجود هذا هو الاسم الذى فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع المخلص كل ركبة فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض.

(١) **هنا نجد بعض التعاليم:** كلنا نعرف ذلك الاصطلاح "بقاء الأصلح". وهو يعنى أنه وسط تزاحم الخليقة توجد أنواع من المخلوقات أقوى من غيرها تندفع إلى الأمام فتسحق الضعيفة. يحدثنا التاريخ أنه وسط الصراع العالمى هبطت إلى أسفل أجناس من البشر بينما ارتفعت أجناس أخرى واحتلت مكان الصدارة. كذلك الحال فى حياة العالم المحيط بنا، حيث يمحص كل شئ بمحك الزمن والاختبار، تهبط أنواع من الصفات أو يطرح بها إلى أسفل، بينما تسمو أخرى وترتفع. وهكذا يعترف العالم بكيفية مستمرة بأنواع من الصفات كمثل عليا.

وإذ نتطلع حولنا فى مسرح الحياة كثيراً مانتوهم بأن الصفة التى تمثلها القوة البدنية، قوة العضلات، هى الصفة السامية الغالية. وفى أحيان أخرى نتوهم أن العالم أو الفيلسوف، الرجل المتوقد الذهن ذا الآراء الصائبة

الرشيدة، هو المثل الأعلى. وفى أحيان أخرى نتوهم أن الرجل الغنى الذى استطاع بذكائه أن يجمع ثروة طائلة أو يؤسس عملا تجارياً موفقاً، هو المثل الأعلى. وهكذا تختلط علينا الأمور وسط مفارق الطرق فى هذا العالم، لأننا عندما نتأمل فى حياة يسوع المسيح، تلك الحياة الحلوة الرقيقة المنكرة لذاتها المتسامحة، التى بدت كما لو كانت لم تستطع أن تصمد أمام عداوة وحقد البشر، قد يستنتج البعض أن هذا النوع من الحياة رقيق أكثر من اللازم، ولين أكثر من اللازم، ومحتشم أكثر من اللازم، ولايمكن أن يكون هو النوع السائد. نعم إننا نقول بأن السعى للقوى، والصولجان للحكيم، والعرش للغنى، لكن الصليب هو لمن يحيا لكى يحب ويغفر ويخلص. فجميل إذاً أن ندخل مقادس الله، أن نترك وراء ظهرنا صحفنا وكتبنا، مقاييس الأسواق والمحاكم، وأن نخضع عقولنا لهذه الكلمة التى تضع خلودها فوق الزمن، التى تجعل نور عرش الله أن يشرق علينا. وإذ نتطلع إلى هذه الأمور برهة وجيزة، لا من وجهة نظر زملائنا بل من وجهة نظر الملائكة، دون أن نحكم بمقاييس هذا العالم بل بمقاييس العالم الآخر الذى سوف نقبل إليه عن قريب، فإننا نتبين أن نوع الصفات التى تسود وتدوم بينما تزول كل الصفات الأخرى التى عبدها البشر وألهوها كما يزول ضباب الشتاء أمام حرارة الصيف، هو اسم وطبيعة يسوع المسيح مخلص البشر وفاديهم.

هذا الاسم هو الذى اختاره الله. هنا البقاء للأصلح. هنا النظرة السامية

للصفات. هذا هو الذى تمجده الأبدية. هذا هو الذى يسمو فوق الملائكة وسائر المخلوقات. هذه هى الطبيعة التى تتنازل وتحب وتغفر وتخلص. هذا هو المثل الأعلى. لقد أعطاه الله اسماً فوق كل اسم، اسم يسوع، المخلص.

(٢) **وهنا نجد تشجيعاً عظيماً**: إنه لأمر جوهرى جداً أن نعرف ماذا يحبه الله أكثر. المفروض إننا سوف نحيا معه إلى الأبد، نراه وجهاً لوجه، ونكون فى حضرته إلى الأبد. إذاً فمن الضرورى جداً أن نعرف مثله الأعلى لكى نبدأ بأن نصوغ أنفسنا بموجبه، ونقتدى به ونبلغ إليه، وبذلك نحمل بعد انتهاء هذه الحياة إلى حضن الله كبنيه المختارين وأحبائه المعززين. إن أردنا أن نعرف إنساناً، وجب علينا أن نعاشره، ندخل إلى غرفة دراسته، ونتطلع فى كتبه، ونتفرس فى الصور المعلقة على جدرانها التى اختارها لتزيينها.

إذا عرفنا المثل الأعلى للمرء عرفناه هو شخصياً. وإذا عرفنا مثل الله الأعلى عرفناه هو. وأين نجد ذلك المثل الأعلى؟ هل فى الخليقة؟ كلا، ليست هذه هى أعماق الله. هل فى الأمثال والنبوات؟ كلا، ليست هذه هى أعماق الله. هل فى الملائكة الفائقة القدرة؟ كلا، ليست هذه هى أعماق الله. هل فى كمال الصفات الأدبية؟ ليست هذه هى أعماق الله ولو إنها قريبة منها. إن أعز اسم عند الله هو اسم يسوع. وأعز صفة عنده هى التى تحتمل وتغفر وتحب حتى الموت لكى تخلص. إن ما يضع عليه

الله قلبه إلى الأبد هو المحبة الفادية، هذه هي التي يمجدها ويرفعها إلى أعلى السماء.

آه إننا لن نعود نخاف منك يا إلهنا. لقد وقفنا تحت قصف الرعد فزعين ومرتعبين. لقد رأينا نور البرق يعلن خطايانا ويجعلنا نصرخ طالبين ملجأ. لقد راقبنا طريقك فى التاريخ وإذا هنالك آثار دماء ودموع فى اثرك. وإذ نتطلع إلى الأبدية تصمت قلوبنا. لسنا إلا أوراق أشجار فى غابة الوجود الفسيحة الأرجاء. لسنا إلا فقاعات هواء فوق مياه محيط الوجود الفسيح. لكن عندما نتقدم لنرى أن مثلك الأعلى هو ابن الإنسان الذى مات عنا فاننا لانخاف منك فيما بعد بل نقترب بثقة الأطفال الصغار. لأنك إن كنت تحب ابن الانسان الرب يسوع المسيح ونحن نحبه أيضاً فاننا نلتقى هناك فى الصليب. إنه لتشجيع عظيم لنا أن ندرك بأن مثل الله الأعلى هو ابن الإنسان الذى مات.

يبدو فى بعض الأحيان كأن الله يقترب منا ويقول: إن كل نفس تتواضع وتخلى نفسها فتغسل أقدام الآخرين، كل نفس تسكب الدموع بسبب هلاك الذين تحبهم كما فعل يسوع فوق جبل الزيتون إذ بكى على أورشليم، كل نفس تسكب نفسها حتى الموت، كل نفس تنكر ذاتها إلى أقصى حد ــ كل هذه النفوس عزيزة جداً فى عينى. إن تجاهلها العالم فأنا لن أتجاهلها. إننى أشفق على كل من يسلكون على الأرض فى نفس الطريق الذى سلكه ابنى الحبيب. وإن تكاثفت الظلمة الحالكة حول النفس

فصرخت قائلة "إلهى إلهى لماذا تركتنى" فإننى لن أنساها ولن أتركها. وحالما تزول الأرض فإننى أجمع هذه النفوس وأمثالها وأنقلها إلى فوق وآخذها إلى حضنى وأجلسها عن يمين ويسار ابنى. إن من يشرب الكأس التى شربها يسوع ويصطبغ بالصبغة التى اصطبغ بها فإنه يجلس بجانب ابن الإنسان فى ملكوته حتى ولو كان العالم قد تجاهله وسحقه وداسه بالأقدام.

فلنتشجع كلما تأملنا فى مثل الله الأعلى. لنتشجع لأننا الآن نعرف الله ونعرف أنه سوف يعلن عمل إيماننا وتعب محبتنا وصبر رجائنا.

(٣) **وهنا نجد نصحاً:** إذاً فأسم يسوع عزيز جداً عند الله. فليكن إذاً حجتنا، لأنه قيل إن كل من يؤمن بهذا الاسم ينال مغفرة الخطايا. أيها الخاطئ الذى تتوق أن تجد مخرجاً من ورطتك، اذهب فى هذه اللحظة إلى الله العظيم وتقدم إليه باسم يسوع. لتكن صرختك الوحيدة مؤسسة على ذلك الاسم، وحالما تنطق بالاسم بروح الاسم فإن الله يقبلك، ويغفر لك ويخلصك.

اتبع المسيح: عش فى ذلك الاسم، مقتدياً بيسوع يوما فيوماً. لتصطبغ صفاتك وتتشرب بإنجيله. ليكن هدفك الاقتداء بحياة يسوع. لايوجد حل آخر للغز الحياة وسط آلام العالم ونكباته. قد يبدو عسيراً فى بعض الأحيان أن نذكر بأن الأطفال يضحكون، وأن الشمس لازالت مشرقة، ذلك لأننا نعيش وسط غموم العالم وهمومه التى لاتنتهى، العالم المظلم بخطيته وآلامه

ونكباته، وحياة كل امرئ محطمة فيه، وفيه تبدو أعمال الله غامضة محيرة فيه لايمكن أن نجد حلا سوى باتباع مثل المسيح الأعلى فنحيا لكى نخلص الآخرين، نسعى كل يوم بالصبر والاحتمال لإسعاد الآخرين، ورفع الأثقال عن كاهلهم، وإرسال شعاعة من النور إلى القلوب المظلمة، لايوجد حل آخر للحياة المحيرة المربكة.

تحدث عن المسيح: يا معلم مدارس الأحد لاتدع درساً يمر دون التحدث عن اسم يسوع المسيح. أيها الواعظ احرص على ترديد ذلك الاسم فى كل حديثك، فى بداية الحديث وفى ختامه. هو التعويذة الوحيدة للنصرة. هو الاسم الوحيد الذى ينتصر على قوة الشيطان فى وقت التجربة، هو الاسم الوحيد الذى تهرب من أمامه الأرواح الشريرة التى تحيط بنا فى وقت الضعف وانقباض النفس. هو كلمة السر للذين يقتربون من أعتاب الأبدية، هو تعويذة النصرة فى ساعة الموت.

حالما تنطق باسم يسوع يصل صوتك إلى أذن الله. لذلك فانطق به فى أذن الله فى كل صلاة قبل أن تبدأ التسبيح أو الاعتراف أو التوسل. أذكر أن يسوع قال "كل ماطلبتم من الآب باسمى يعطيكم" (يو ١٦ : ٢٣). باسمى، أى وفق مثال حياتى. دعوا اسم يسوع ينقى من صلواتكم كل أثر لروح الكبرياء ومحبة الذات والحقد، دعوا صلواتكم تصاغ ـ كالسائل أو كالمعدن البراق ـ فى ذلك القالب النفيس.

يجّل اسمه: "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة". يجب أن لاننطق به قط دون أن نسبقه بكلمة "الرب" فنقول دوماً "الرب يسوع" إن كان الله يذكر اسمه بتأكيد ملحوظ وجب علينا نحن أن نذكره بتوقير وتبجيل. إننى لاأحب أن يجرى هذا الاسم الكريم على ألسنتنا بكيفية عادية مألوفة. على المرء أن يكون قريبا جداً من ذلك الصديق الأعظم لكى يدعوه الرب باسمه بدالة الألفة.

اعترف به: "ويعترف كل لسان". لنعترف بأنه رب. لقد جعله الله الاب مثله الأعلى، فأجعله أنت أيضاً مثلك الأعلى. لقد وضع الله الصولجان فى يده، فضع الصولجان فى يده أنت أيضاً. لقد أجلسه الله على عرشه فهل أجلسته أنت على عرش قلبك، وقل له الآن: من الآن يايسوع المبارك سوف تكون لى رباً وملكاً، رباً لحياتى وملكاً لعقلى وقلبى، ربى وإلهى.

واذكر أن هذا هو رجاء المستقبل الوحيد. لقد نطق جبرائيل بهذا الاسم أولا لمريم ثم ليوسف، ثم انتقل إلى دائرة صغيرة من أتباعه. لكن الروح القدس نطق به عالياً كالرعد فى يوم الخمسين. وهو منذ ذلك الوقت يتزايد فى الانتشار فى كل أرجاء العالم، وسوف يأتى الوقت الذى نرى فيه الملائكة تجثو تحته، وكل البشر يعترفون به، بل تعترف به حتى الشياطين. "أما يسوع فأنا أعرفه وبولس أنا أعلمه" (أع ١٩ : ١٥) هذا ما اعترف به الروح الشرير منذ عدة أجيال.

هذا الأسم، اسم ربنا، هو آخر الأسماء التى ذكرت على الأرض، وأول الأسماء التى ذكرت فى السماء، هو الاسم الذى تنبعث منه النعمة، الذى يكلل بالمجد، لأنه انطلق لكى يعد لنا مكاناً. إننا نجوز أقصر الأيام، أما هناك فيوجد ربيع وصيف أرض النور. ونحن ننتظر الوقت الذى سوف نجلس معه حاملين ذلك الاسم معه. فلنخرج إلى كل المسكونة لنبشر به ونلهب القلوب به، ونعلن المعنى الكامل لاسم يسوع وأهميته.

اذكروا لى اسم يسوع ... باطل كل سواه
اسمه حلو عزيز ... لست أهوى ما عداه
اذكروا لى اسم يسوع ... فى الرزايا والمصائب
فهو يكفينى عزاء ... فى شديدات النوائب
اذكروا لى اسم يسوع ... مابدا لى سمع صوت
هو يعطينى خلاصاً ... ويعزى عند موتى

(١١)

عمل الله فى القلب

(فيلبى ٢ : ١٢، ١٣)

"إذاً يا أحبائى كما أطعتم كل حين ليس كما فى حضورى فقط بل الآن بالأولى جداً فى غيابى تمموا خلاصكم بخوف ورعدة.

لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" .

توسطت هذه الآية الأخيرة بين وصيتين جوهريتين: الأولى شخصية "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة"، والثانية نسبية "افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة. لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب".

وصية شخصية: "تمموا خلاصكم" صحيح أننا نخلص من الإثم ومن غضب الله حالما نأتى إلى الصليب، وصحيح أيضاً أن خلاصنا من سلطة الخطية لايكون كاملا إلا إذا وقفنا أمام الله فى جمال كامل، وبهذا المعنى ينبغى أن نتممه. الله يمنحنا بذرة الخلاص لكن نمو شجرة حياتنا هذه يجب أن ينمى هذه الفكرة البدائية.

وهذا يجب أن نفعله "بخوف ورعدة" لأن العمل إذا ترك ناقصاً سبب نتائج خطيرة على أنفسنا وعلى الآخرين إلى الأبد. إن إتمام خلاص نفوسنا (تعاوننا مع الله فى إتمامه) هو الهدف العظيم الذى ينبغى أن يتقدم سائر

الأهداف. كما يتعاون الفلاح مع الله للحصول على الحصاد، وكما يتعاون عامل المناجم مع الله لتوفير الفحم لبيوتنا ومصانعنا، هكذا ينبغى أن نتعاون مع الله لاتمام مقاصده كاملة نحو بركتنا فى إتمام خلاص نفوسنا من كل شر. هذا عمل جوهرى جداً فهل أنت تعمل فيه؟

وصية نسبية: أى علاقتك مع الآخرين: "لكى تكونوا بسطاء" (أو "لاتؤذون أحداً" حسب الترجمة الانكليزية) لكى لاتؤذى حياتكم أحداً، "بلا لوم" لكى لاينسب اليكم أحد أى لوم، "بلا عيب" أى فى نظر الله. وهذا ليس فى السماء بل "فى وسط جيل معوج وملتو". ذهب سائح إلى بلاد اليابان فدهش إذ رآها يغمرها شتاء المنطقة المتجمدة الشمالية بينما تكثر فيها أشجار البرتقال والخيزران التى تنمو فى المنطقة الحارة. دهش إذ رأى الريح الباردة تلفح سهول اليابان المغطاة بالثلوج ومع ذلك كانت لا تزال هنالك هذه الأشجار التى تنمو فى المنطقة الحارة. لكنه استطاع أن يعلل السبب إذ أدرك أن البلاد بركانية وأن النار الكامنة تتأجج تحت تربة الأرض، ولهذا فإن الشتاء إن كان يسود الجو لكن الصيف يسود باطن الأرض فتستطيع أشجار المنطقة الحارة أن تعيش. ونحن الذين نعيش فى عالم بارد، قارص البرودة، متمرد، قد دعينا لكى نحيا حياة حارة، حياة الأبدية، لكى نكون بلا لوم، بسطاء، بلا عيب.

قد يقول المرء لنفسه: من المستحيل أن أتمم هاتين الوصيتين، لكن الآية

موضوع تأملنا تتوسطهما وتقول: لا تيأس، لاتفقد الأمل بأن تكون بلا لوم، بسيطاً، بلا عيب، لأن الله سوف يتكفل بالمسئولية لكى يجعلك مطيعاً لمثله الأعلى "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة. تمم أنت ما يعمله هو فى الداخل.

ست ملاحظات جوهرية: فى هذه الآية نجد ست ملاحظات جوهرةى: (١) شخصية الله: "الله" (٢) حلول الله "فيكم" (٣) عمل الله "هو العامل فيكم" (٤) سمو قصد الله "أن تريدوا" (٥) قدرة الله "أن تعملوا" (٦) مرضاة الله "من أجل المسرة" (أو "على حسب مرضاته" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية).

* * *

(١) **شخصية الله:** "لأن الله هو". الله هو الجواب لكل سؤال يخطر بالبال، لكل انزعاج خاطر، لكل ضعف، لكل تجربة. إن النفس وهى لاتعلم من أين أتت ولا تعلم إلا القليل إلى أين تذهب، وتواجه مشاكل الضعف والخطية والموت والأبدية ومشكلة الشر الأدبى العويصة، لاتستطيع أن تجيب على كل هذه المشاكل إلا بكلمة واحدة صغيرة هى "الله" وفى هذه كل الكفاية. هذه هى مرساتنا الكبرى الوحيدة أن الله خلقنا وعرف تكويننا وعرف الوسط المحيط بنا وعرف تجربتنا، وعرف التجارب التى سوف تهجم علينا، ومع ذلك فإنه فدانا لنفسه وجعلنا لنفسه شعباً خاصاً بدم المسيح. فإن

كان إلهاً محسناً إحساناً مطلقاً فإنه لايمكن أن يكون قد فعل كل هذا دون أن يأخذ على نفسه مسئولية تحقيق أغراض الدموع والأشواق والصلوات التي وضعها هو بنفسه بيده في طبيعتنا. ولذلك وجب علينا أن نطرح عليه مسئولية جعلنا بلا لوم بسطاء وبلا عيب قدامه، على أن نقوم نحن بالواجب الذي علينا.

* * *

(٢) **حلول الله**: لاحظ الفرق بين التبرير والتقديس. في التبرير ـ وهو عمل سريع من جانب الله ـ حالما يثق المرء بالمسيح يهبه الله بر يسوع المسيح، وبهذا يقف أمام الله مقبولا ومحبوباً في المسيح. لكن ان اقتصر الأمر عند هذا الحد كان بمثابة بعض الاحتفالات الشرقية حيث يجمعون كل شحاذي الأسواق ويطرحون على أكتافهم أثواباً بيضاء أو أرجوانية مطرزة بالذهب، وهكذا يكون الاحتفال مكوناً من جماعة هي أقذر وأتعس وأبلد من في البلاد، لاتظهر بمظهر الاحترام سوى ساعة واحدة. وهكذا إن اقتصر الأمر عند حد التبرير لكان كل ما في الأمر أن الله قد طرح علينا ثياباً بيضاء وبقيت قلوبنا متقيحة نتنة. ولكنه إذ بررنا بعمل نعمته السريع فإنه يتعهد بتقديسنا بحلوله فينا.

لقد وضع الله فينا الروح، وهي أعمق من الجسد، أعمق من النفس مع ما لها من مواهبها العقلية ومواهب التفكير والإرادة. وإلى روح الإنسان يأتي

روح الله حاملا طبيعة المسيح المقام من بين الأموات، وبهذا يعيدها الروح القدس فى داخلنا. وهذا هو معنى حلول الله فينا. هذا هو امتياز ديانتنا الطاهرة: إن الله يمكن أن يكون فينا دون أن يسلبنا شخصيتنا، بل يتمشى جنباً إلى جنب معها. وهكذا نرى أنه كما كان فى اشعيا لكن اشعيا اختلف اختلافاً بيناً عن ارميا، وكما كان فى يوحنا لكن يوحنا اختف اختلافاً كبيراً عن بطرس، كذلك يدخل الله روح الإنسان، ودون أن يسلبنا قوة الإرادة أو شخصيتنا، يبقى فى داخلنا محاولا أن يعلن شخصه فينا بكل جمال ومجد طبيعته. فلنتوارَ نحن لكى يظهر الله فينا مثله الأعلى.

* * *

(٣) **عمل الله**: "هو العامل". إنه ليس بعيداً عن الخليقة، ولا بعيداً عن روح الإنسان. لكنه يعمل أبداً بهدوء حتى أننا لاندرك ولا نشعر كل حين بالقوى الجبارة التى تعمل فى داخلنا. اجتمع مرة فرود وكارليل فى بيت كارليل وجرت بينهما مناقشة حول عمل الله. فقال فرود إن عمل الله فى التاريخ مثل عمله فى الطبيعة، هادئ ولطيف. وأجاب كارليل بكآبة وحزن إذ كان فى ذلك اليوم كئيب النفس: نعم يا فرود، لكن يبدو أن الله لا يعمل إلا قليلا. وكأنه كان يتوقع أن الله يشبه محارباً صنديداًيلفت أنظار الجميع اليه دواماً بشخصيته الجبارة.

قال ميلتون: لو أنك كنت موجوداً وقت الخليقة لسمعت موسيقى

شجية فقط. ما كنت تسمع الصوت الذى قال "ليكن نور" أو الصوت الذى أمر المياه بأن تتخذ لها مجارى. ما كنت ترى الأيدى المقتدرة تشكل الأرض. بل كنت ترى الكل يصنع وفق إجراءات الطبيعة بكل بساطة وبكيفية عادية، ولما كنت تلاحظ عظمة الخالق إلا بصعوبة.

هكذا الحال فى قلوبنا. أيها القارئ العزيز إنك لم تدرك أن الله كان حالا فى روحك كل تلك السنين الماضية. إن دموعك وتنهداتك وتأسفاتك وحنينك ويقظة ضميرك - هذه كلها التى طالما أسأت إليها إنما تبرهن على أن الله المقتدر القدوس المحب حال فى روحك يقاوم الشر ويتوق أن يجعل قلبك طاهراً نقياً إن أنت سلمت أمرك له.

* * *

(٤) **سمو قصد الله:** إنه يعمل فينا لكى نريد "أن تريدوا". أى أنه لايعاملنا كآلات ميكانيكية. إنه يعاملنا كمخلوقات عاقلة تستطيع أن تقول نعم أو لا. إنه لايرغمنا بأن نكون قديسين، ولا يلزمنا بأن نكون أطهاراً. إن أردت فإنه بالأحرى يريد. وأنت إنما تريد لأنه أراد من قبل. إن إرادة الله تريد أن تسمو بك إلى فوق إلى نفسها كالريح الذى يهب فوق مدينة ويأخذ الدخان المتصاعد من الاف المداخن ويحمله فى حضنه فى أرجاء السماء.

تستطيع أن تدرك دواما ذلك الوقت الذى فيه يريد الله فى داخلك. (أولا) بعاطفة مقدسة هى عاطفة عدم الرضاء عن نفسك. إنك لاترضى

بكل مافعلته. (وثانياً) بعاطفة الطموح. إنك ترى فوقك قمم الجبال العالية فتتوق أن تتسلقها وتقف فوقها. (ثالثاً) وهاتان يتلوهما تقديرك لإمكانية أن تكون بلا لوم بسيطاً وبلا عيب. إذا رفض أى امرئ أن يصدق بأنه فى إمكانيته أن يكون قديساً فإنه لن يكون كذلك. إن قال امرؤ: "لن أعتقد بأنه سوف يعظم انتصارى"، فإن الله لايمكن أن يخلصه. لما يكون روح الله فى داخلك يخلق الشعور بأن فى إمكانيتك الوصول إلى أسمى درجات الكمال، لأنك خلقت على صورة الله وافتديت على صورته أيضاً، ولأنه قد غرست فى روحك بذرة طبيعة المسيح. يذهب رجلان إلى معرض للصور ويشاهدان صورة رائعة واحدة. فيقول أحدهما: إننى لا أتصور كيف يمكن أن ترسم هذه الصورة. أما الآخر فيقول: أنا أيضاً فنان. هذا الرجل الثانى فى إمكانيته أن يرسم صورة رائعة أيضاً. يجب أن تعتقد بأنه فى إمكانيتك أن تكون قديساً، أنت بالذات. يجب أن تتجاسر على تصديق هذه الحقيقة لأن بذرة طبيعة المسيح قد غرست فى داخلك، ولأن الله يعمل فيك أن تريد وأن تعمل. (رابعاً) بالعزيمة "إننى أريد" يجب أن تكون هنالك لحظة فى حياة كل واحد منا فيها يقول: سوف لا أستسلم للخطية مرة أخرى مهما كلفنى ذلك من نفقة، أقوم وأكون مايريده الله منى، أسلم ذاتى له، سوف أعتبر نفسى ميتاً حقيقة عن الخطية وحياً لله بيسوع المسيح، سوف أسلم نفسى للقوة التى تعمل فى داخلى.

إذن فنحن بعاطفة عدم الرضا عن أنفسنا، بعاطفة الطموح، بتقديرنا

لامكانيات القداسة، وأخيراً بالعزيمة، نستطيع أن ندرك الوقت الذى فيه يريد الله فى داخلنا.

إن إرادة الله تعمل فى داخلك اليوم. فهلا تريد أن تخطو هذه الخطوات الأربع؟ هل تعود فتحيا حياة الانغماس فى الخطية؟ إن كان هذا هو الحال فسوف تكون هذه الكلمات لعنة لك، لأنه لا شئ يؤذى النفس بقدر معرفتها للحق ثم سقوطها ثانية فى الحفرة.

* * *

(٥)**قدرة الله**: "أن تعملوا" هل يرتب الله للطفل أن يحتاج إلى اللبن ثم يرتب الأمور بحيث لاتقدم له لبناً؟ ألا تنم أشواق الطفل على أن هنالك لبناً فى ثدى الأم؟ هل تزمجر الأشبال فى الشتاء لطلب الطعام دون أن يقدم لها الله كفايتها؟ هل تتوهم أن الله يخلق فينا هذا الشعور بعدم الرضا عن أنفسنا، وهذا الحنين إليه، ثم يسخر بنا؟ هذا خليق بالشيطان. إن كنت تعتقد بأن الله صالح ومحب وقدوس فان عاطفة الطموح التى فى داخلك دليل على أن من يعمل فيك لكى **تريد** مستعد أن يعمل فيك لكى **تعمل**. لكننا إلى الآن تصرفنا تصرفات خاطئة جداً بحيث أننا لم نسمح له بأن يعمل فينا. إن كنا نكف عن مجهوداتنا للتقديس، كما كففنا عن مجهوداتنا للتبرير، إن قلنا له: أيها الإله العظيم تمم مثلك الأعلى فى طبيعتى الضعيفة، فانه لابد أن يريد وأن يعمل. إن سمو قصد الله وقدرة الله

صنوان متلازمان.

* * *

(٦) **مرضاة الله:** "من أجل المسرة" أو "على حسب مرضاته" (وفق ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية). عندما خلق العالم قال إنه حسن جداً. بعد ذلك جاءت الخطية ثم الأنانية. بعد ذلك مرت الأجيال المظلمة حتى جاء يسوع وأخذ طبيعتنا لكي يهبنا طبيعته. فأعلن الآب من السماء مسرته "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت". إنه من اليسير علينا أن نسلك الحياة التى ترضى الله. من اليسير أن نحصل على هذه الشهادة ـ حتى فى حياتنا المائتة ـ أننا قد أرضينا الله. فى نهاية كل يوم إذ نضطجع لننام يمكن أن نستمع إلى صوت الله يهمس فى آذاننا: يا ابنى العزيز إننى مسرور بك. لكنك لن تستطيع هذا إلا إذا سمحت له ـ فى هدوء وفى عزلة وفى طاعة ـ أن يعمل فيك بأن تريد وأن تعمل مرضاته.

* * *

نداء موجه لك: هل تبدأ الآن؟ ربما يكون هو الآن يعمل فيك لكى تعترف لأخيك بأنك أسأت إليه بالقول أو بالفعل. فاعترف له. ربما يكون يعمل فيك لكى تكف عن تلك العملية التجارية التى كان ضميرك متشككا من جهتها أخيراً. كف عنها. ربما يكون يعمل فيك لكى تكون أكثر لطفاً فى بيتك وأكثر عذوبة فى كلامك. ابدأ ذلك الآن. ربما يكون

يعمل فيك لكى تغير علاقتك مع أشخاص ترى أن تصرفاتك معهم ليست كما ينبغى أن تكون. غيرها. اسمح لله اليوم، الآن، أن يبدأ بأن يتكلم ويعمل ويريد. وبعد ذلك تمم ما قد بدأه فى داخلك. إن الله لايعمل بمعزل عنك، لكنه يريد أن يعمل بك. فاسمح له. سلم له. وليكن هذا اليوم هو الذى تبدأ فيه بأن تحيا فى قوة القدير الحال فيك.

(١٢)

نجوم تتلألأ وأصوات تتكلم

(فيلبى ٢ : ١٤- ١٦)

"افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة

لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله

بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار فى العالم.

متمسكين بكلمة الحياة لافتخارى فى يوم المسيح بأنى لم أسع باطلا ولا تعبت باطلا".

نظرة إلى الماضى: كلما تأملنا فى الماضى امتلأت نفوسنا بشكر الله من أجل الطريقة العجيبة التى بها قادنا. لكننا إذ نشكره نمتلئ أسفاً وحسرة لأننا وسط المراحم الكثيرة التى نذكرها نذكر رواية سقطاتنا المتكررة وتقصيراتنا التى لايمكن أن ننساها. ومع ذلك فإنه مع الشكر والألم يختلط الرجاء والعزيمة بأن يدفن الماضى مع الماضى وبأننا سنتقدم إلى حياة جديدة، حياة الصلاة والتكريس والولاء. إن هذه الكلمات الثلاث: الشكر، والاعتراف والعزيمة، تمثل يقيناً شعور كل شخص زكى مفكر انفصل عن هذا الجيل الخاطئ الدنس، وأحصى ضمن أولاد القيامة، وأصبح وارثاً لله ووارثاً مع المسيح، وذلك بتجديد الحياة بواسطة الروح القدس الذى استخدم كلمة الحق، وبالتبنى ضمن عائلة الله.

تأتى بنا هذه الآيات الثلاث إلى المثل الإلهى الأعلى، ذلك المثل الذى لم نحققه كاملا إلى الآن مع الأسف الشديد، لكنه سوف يتحقق من الآن فصاعداً برجاء جديد. هنا أيضاً نتبين مصادر القوة اللانهائية التى لم نتحقق منها بصفة مستمرة، وهى أن الله يعمل فينا. وهنا أيضاً نتعلم ذلك الدرس وهو أننا ينبغى أن نكرس أنفسنا بعزم جديد لاتمام ما يعمله الله في داخلنا.

* * *

مثلنا الأعلى كأولاد لله:

(١) **الناحية السلبية:** إذا تتبعت هذه الآيات خطوة فخطوة، وحلقة فحلقة، وجدت أن هنالك ناحية سلبية وأخرى إيجابية. أما الناحية السلبية فتقول "افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة لكى تكونوا بلا لوم أولاداً لله". إن المثل الأعلى للحياة المسيحية دائما هو أن نكون بلا لوم. لقد "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة" (أف ١ : ٤). "لكى تكون (الكنيسة) مقدسة وبلا عيب" (أف ٥ : ٢٧). "ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١ : ٢٢). كان حمل الله بلا لوم، ونحن قد دعينا لنكون مثله.

هنالك باعث أقوى لكى نسمو إلى مستوى دعوتنا العليا، هو أننا قد وضعنا فى وسط جماعة شريرة فاسدة "وسط جيل معوج وملتو". ينطبق هذا الوصف على المجتمع الآن كما كان من قبل بصفة مستمرة. أينما تلفتنا،

في السياسة أو فى الحياة الإجتماعية، فى الصحف أو فى الشوارع، فى لهجة الحديث فى الاستقبالات العامة، فى البيوت أو فى السفن التجارية، وجدنا كل شئ ينطبق عليه وصف الرسول.

أما الطريقة المثلى لكى نكون بلا لوم فهى أن نفعل كل شئ "بلا دمدمة ولا مجادلة". لاتسمح لنفسك بأن تسقط فى خطية **التذمر**، ولا تتشاحن مع الآخرين بمرارة. يشمل **التذمر** كل أنواع الشكوى. إنه ينم عن أن الإنسان محمول فى داخله بروح الضجر وشعور عدم الاستقرار.

أما «**المجادلة**» فهى التذمر طافح على وجه الماء، التذمر الذى يظهر فى المناقشات الحادة المتحاملة. فاحفظوا القلب واللسان مستقيمين بنعمة الله تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب.

«**بلا لوم**» أى بلا زلة وبلا دنس، إستقامة فى كل مظاهر الحياة كزكريا واليصابات اللذين "كانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه **بلالوم**".

«**بسطاء**» وهذه تشير إلى الطهارة الجوهرية والبساطة والاخلاص، هذه التى يجب أن تلازم جميع أتباع المسيح لأن الأفكار الشريرة والرغبات الأثيمة لاتختلط مع أهدافهم أو تصرفاتهم.

(٢) الناحية الإيجابية: قال أحدهم: إن اقتناعى الداخلى العميق هو أنه

إن كان الإيمان المسيحى لايبلغ أوج الكمال ولا يكمل نفسه بالمجهود الذى يبذله لكى يعرف نفسه لكل العالم بدا ذلك الإيمان فى نظرى أمراً تافهاً غير حقيقى خال من القوة لنفس واحدة، عاجزاً على أن يبرهن بأنه حقيقى. وقال أيضاً، كلما ازداد الإيمان انتشاراً أصبح أحب إلى القلب، وتقديم المخلص إلى الآخرين يزيدنا تمسكاً به.

١ – نجوم تتلألأ: كانت هذه هى الأفكار التى تجول بخاطر الرسول عندما حث أتباعه على أن يضيئوا ويتمسكوا بكلمة الحياة. إن كانوا مسيحيين حقاً وجب أن يضيئوا وسط ظلمة العالم. كانت الصورة التى ارتسمت فى مخيلته صورة نجم جديد هائم ليتخذ مكانه وسط مجموعات النجوم السديمية، ويرسل أشعته لكى يبعث بضيائه فى أوسع دائرة ممكنة ولو كان ذلك بهدوء وسكون دون صوت مسموع أو كلام منطوق. هنا جمال وتوافق النفس المقدسة التى تسعى لكى تعكس نورها على نفوس الآخرين ليكونوا هم أيضاً نوراً فى الرب.

عندما نتأمل فى الطبيعة نجد أن الغاية التى من أجلها تبسط كل زهرة لونها الزاهى ورائحتها العطرية هى لكى تجذب أنظار النحلة إليها، وبذلك تنمى جنسها، يجب أن تتوالد الزهرة وإلا اظهرت نفسها غير خليقة بعناية الخالق الذى خلقها لا لنفسها وحدها. وكل كائن حى إنما وجد لكى يتكاثر. ويقيناً ان النفس المسيحية لايمكن ان تقنع إلا إذا تكاثرت فى حياة الآخرين وفى الأجيال القادمة.

من ألذ الدرسات دراسة الكهربائية بالتأثير، عندما يكون هنالك سلكان جنباً إلى جنب ويرسل تيار كهربائى بواسطة أحدهما تظهر على الآخر اهتزازات خفيفة جداً إذ ينتقل إليه التيار. هذه هى الطريقة التى تستطيع بها أن ترسل إشارة برقية من القطار المتحرك إلى المدينة التالية على خطوط السكك الحديدية الأمريكية الطويلة. فإن الأسلاك التى تسير محاذية لخط السكة الحديدية حساسة مع جهاز الإرسال الذى فى القطار. وهذا هو السبب الذى من أجله يسمع المرء لغط أسلاك أخرى عندما يتحدث فى التليفون. ليس لأن أسلاك التليفون تلمس تلك الأسلاك الأخرى بل لأن حساسيتها دقيقة جداً.

تأثيرنا على نفوس الآخرين: هنالك ما يماثل هذا فى تأثيرنا على نفوس الآخرين. هنالك تيارات مؤثرة للخير أو الشر. أنت كابن لله لايمكن أن تحتك بأشخاص آخرين من هذا الجيل المعوج الملتوى دون أن ترسل فى وسطهم ذبذبات قداستك، والشوق إلى أفضل مما هم عليه، والجوع والعطش نحو غير المنظور الأبدى، وعدم الرضاء عن خطيتهم، وخلق ذبذبات وتيارات فى داخلهم للرغبة فى تجديد حياتهم. ومما هو حقيقى أيضا أنك لن تحتك بشخص شرير منغمس فى الرذيلة تسفلت حياته إلى أحط الدرجات دون أن تشعر بأنه سرى فيك تيار بالتأثير. إننا على الدوام نؤثر ـ بالخير أو بالشر ـ على من يحتكون بنا، وهذا أمر خارج عن إرادتنا، لكنه إنما يرجع إلى قوة الأخلاق.

لهذا قال " رختر " (احد مفكرى الألمان) : إن كنت تدرك كيف أنك كلما فكرت فكرة مظلمة وكل فكرة من أفكار الحسد والغيرة فانها تتأصل خارجاً عنك، وتهيم على وجهها مدة نصف قرن، وتنفث سمومها فى الأرض، لحرصت كل الحرص على الكيفية التى بها تسلك، وحرصت كل الحرص على الكيفية التى بها تختار وتفكر. وقال آخر: هنالك تأثيرات خفية تنبعث من أتفه الأشياء فى خليقة الله، وهى تغير وتشكل ـ حسب طاقتها ـ كل رجل وامرأة وطفل.

مسئولة خطيرة: إنه لأمر مروع جدا أن يحيا الإنسان وهذه الأفكار تضغط على قلبه وهى: أن المرء لن يتكلم كلمة، أو يؤدى عملا، أو يرى وجهه يلمع بنور الله، أو يقطب جبينه يأساً وقنوطاً، دون أن يؤثر على الآخرين للخير أو للشر. إما أن يكون كل واحد منا فى كل يوم مثل يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ، أو أن يرفع غيره إلى النور والسلام وفرح الله. ليس أحد يعيش لنفسه، وليس أحد يموت لنفسه، لكن حياة كل واحد تذيع رسالة لعدد متزايد من البشر. إذا فيالها من مسئولية خطيرة أن نحيا فى هذا العالم. وياللندم الذى يضغط على نفوسنا عندما نتبين أننا قد أحزنا نفوساً كثيرة كان يطلب منا الله أن نضع أمامها حجر معونة، وأن حياتنا كانت لخزى وحزن الذين حولنا بدلا من رفعها وتعزيتها.

لا يمكن أن يكون نورنا هو النور الذاتى مثل نور الشمس. وكل ما

نستطيعه هو أن يكون نورنا انعكاسياً مثل نور النجوم. إننا نستطيع أن نضئ وسط ظلمة الليل التى جثمت فوق البشرية منذ غربت الشمس فوق الجلجثة، وسط السماء المحمرة. سوف ينبثق الفجر عن قريب، وعندئذ نتوارى نحن وسط نور مجئ الرب.

٢ـ **أصوات تتكلم من أجل الله**: علاوة على أننا نجوم يجب أن نكون أصواتاً، يجب **أن نتمسك بكلمة الحياة**. ونحن لا يمكننا أن نتمسك بكلمة الحياة ونبقى صامتين. فواجبنا يقضى علينا أن نتكلم مع من يحيطون بنا، لكى لا يكون، هنالك أسف أو ندم فى نهاية الحياة. وهذه الموهبة العجيبة، موهبة التكلم التى هى أعجب ما منح للانسان، يجب أن تستخدم لاذاعة رسالة الملكوت. تقدم أمام الله وضع فمك فى التراب، واطلب لكى يستلم الروح القدس شفتيك ويشعلهما بالنار من أجل نفسه، لكى تستطيع لا أن **تضئ** فقط بضياء هادئ يتسم بجمال الأخلاق الطاهرة، بل أن **تنطق** بكلمة الحياة للذين لم يصغوا اليها قط.

يقيناً أن التأمل فى مثل أعلى كهذا يجب أن يملأنا بروح الأسف والندم. أينما تلفتنا وجدنا أننا مقصرون فى كل ناحية. فنحن لسنا بلا لوم، لسنا خالين من التذمرات والمجادلات، لم نكن بسطاء وبلا عيب. عندما نتطلع إلى مثل الله الأعلى نبغض أنفسنا. عندما نصغى إلى الموسيقى الكاملة نأسف بسبب نغماتنا غير المتوافقة. عندما نبصر جماعة القديسين

فى السماء ندرك فظاظة وخشونة طباعنا. لا يحل مساء أى يوم من أيام حياتنا دون أن نشعر بأننا فى حاجة إلى دم المسيح الثمين إذ نتأمل فى النهار المنقضى.

* * *

القوة التى تجعل تحقيق ذلك المثل الأعلى ممكناً: لقد انقضى الماضى ولن يعود. وإذا اتكلنا على ذواتنا فتكرار السقوط محتم. لكن الكتاب يقول هنا أن الله فينا، وأن الله الذى يجعل المسكونة بيته قد أتى ليحل فى قلوبنا، لا كغريب يقضى ليلة بل كضيف حال مقيم، وأن إلهنا فينا لكى نريد ولكى نعمل مرضاته. كثيراً ما مرت علينا أوقات شعرنا بهذا. ألم تمر علينا أوقات شعرنا فيها بتيارات الكهربائية الإلهية تعمل فى داخلنا، بالأشواق والرغبات نحو عدم محبة الذات، نحو الطهارة، نحو حياة التكريس، لكننا مع الأسف قد قاومناها مراراً؟ تأمل ثانية فى هذه الرسالة العجيبة.

الله يعمل فينا لكى نريد: إنه لا يتسلط على إرادتنا، ولا يعاملنا كآلات ميكانيكية يحركها كما يريد. لكنه يقترب منا ككائنات عاقلة لها مطلق الحرية لكى ترفض وتعاند أو تقبل وتخضع. إنه إنما يوحى الينا بخطط السير ويترك لنا الحرية بقبولها أو رفضها. ألم تشعر يوما ما بأنه قد قامت فيك رغبات قوية ملحة وتمنيات بأن تكون أفضل مماأنت عليه؟ هذا هو الله العامل فيك أن ترغب وأن تريد. أشكره لأن ذلك معناه أنه يهتم بك، وكل

ما هو مطلوب منك أن تلبى النداء كاملا.

الله يعمل فينا لكى نعمل: إن الله لن يعمل فينا أن نريد دون أن يمدنا بالقوة التى بها نتمم ما يوحى إلينا به. إن لديه قوة تكفى لحاجتنا. وإن التفتنا اليه أعاننا لكى نتمم كل إيحاءات إرادته. قد لا نتذكر اللحظة التى دخل فيها، ربما لم نستمع إلى وقع قدميه فى طريق قلوبنا، ربما يكون قد تسلل إليها فى نور الصباح، فى هبات النسيم، أو فى رائحة الزهور العطرية، لكنه فى نفسك وفى نفسى. لقد أتى لكى يعيننا على مقاومة الخطية، ينتظر الآب السماوى أن يجعل أولاده يتمثلون به، أولا بأن يوحى اليهم أن يريدوا الصالحات، وثانياً بتمكينهم من أن يعملوا ما يريد. هذا هو رجاؤنا. ورجاؤنا الوحيد للأيام القادمة هو بأن تكون أفضل من السابقة، هو أن ندرك بأن مثلنا الأعلى هو الذى قصده لنا الله، وأنه ينتظر بأن يجعله حقيقة حية.

* * *

وواجبنا هو أن نتمم ما يعمله هو فى داخلنا: هل يوجد فى حياتك أو فى قلبك ما قد سبب لك أخيراً بعض الجزع؟ هل تخامرك الشكوك من جهة ناحية معينة من تصرفاتك؟ هل فعلت شيئاً فى الماضى وقد مثل أمامك الآن فجعلك تشعر بأنك يجب أن تدفع بعض التعويض أو ترد إلى كل ذى حق حقه؟ هل هنالك عادة واحدة أو مسلك معين، أو صنم داخلى، أو ركن فى القلب لم يكرس بعد تكريساً كلياً لله؟ هل تشعر بأن

هنالك قوة خارجة عن نفسك تضغط ضغطاً مستمراً محاولة اصلاح كل عيب فيك؟ هل تنصت إلى حركة يد مقتدرة تعمل فى كل كيانك بصفة متواصلة؟ قدم الشكر لله لأنه قد أتى لكى يحارب كل شر فيك كما تجلس الأم بجوار سرير طفلها لكى تحارب المرض الذى يحاول أن يفتك به.

لكن جهود الله من أجلنا تصبح عقيمة إن كنا لا نتمم ما يعمله هو فى الداخل. إن كان يريد فى داخلنا أن يقضى على عادة شريرة وجب أن نريد نفس الشئ. يجب أن تخضع إرادتنا لإرادته كما يستسلم القارب للتيار الذى يحمله. إن أمرنا أن نحمل سريرنا ونمشى وجب أن نجرؤ على الاعتقاد بأننا نستطيع ذلك، وأن نقوم فى الحال ونمشى معتمدين على قدرته. إن أرسلنا فى أية مهمة وجب أن لا نتمرد أو نتذمر أو نتردد. إن خلاصنا يتوقف على إتمام الانقاذ من كل صور الخطية، ونحن لا نتعلم كل ما تعنيه الخطية إلا تدريجياً.

بخوف ورعدة: يجب أن نفعل هذا بخوف ورعدة. إن صرف فنان ماهر نهاراً كاملا مع أحد تلاميذه ليساعده على تكميل صورة بذل فيها مجهوداً طويلا غير موفق فان الشاب لا يخاف الفنان لكنه يرتعد لئلا يفشل فى الانتفاع من عطفه إلى أقصى حدود الانتفاع. هكذا الحال يانفسى، فانه عندما يأتى اليك الله العظيم ويقول: سأخلصك من خطيتك، وجب أن تحرصى كل الحرص لكى تكتنزى كل مساعداته الرحيمة وأن تخشى لئلا

تقصرى فى أقل ناحية. إنه مستعد أن يتمم عمله كاملا دون أى نقصان. فقدمى له المجال كاملا وعندئذ تحصدين الثمر كاملا.

إيه يا من تعمل فى كل الكون، يا من تتمم قصدك السامى فتمتلئ بك السارافيم والملائكة وكل الكائنات المقدسة، تعال اليوم واملأنا، امتلك كل كياننا، عندئذ تدب الحياة فى الروح والنفس والجسد وتتمم مثلك الأعلى.

(١٣)
ناحية التضحية فى الحياة المسيحية

(فيلبى ٢ : ١٧ – ١٨)

"لكننى وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أسر وأفرح معكم أجمعين.

وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معى".

هنا أيضاً يشير الرسول إلى "يوم المسيح". لقد كان بصفة مستمرة يتوقع مجئ الرب. فرسائله الأولى بصفة خاصة مليئة بالأشارات إلى ذلك الحادث الذى "سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كو ٤ : ٥). لقد تحدث عن بقائه حياً إلى مجئ المخلص، ورأى مقدماً أن هذا المائت يبتلع من الحياة (٢كو ٥ : ٤). ولابد أنه كثيراً ما أصغى أثناء سجنه إلى صوت بوق الله والترنيمات التى تقترن بمجئ الرب. عاش وجاهد على هذه الحال دون أى تغيير، حتى إذا ما جاء ذلك اليوم، اما لكى ينهى حياته الأرضية، أو بعد ذلك، نال أجره الذى سيكون له بمثابة اكليل الغار للفائز فى الألعاب الأولمبية.

* * *

خوف بولس الشديد: كان خوف بولس المستمر أن يكون قد سعى

باطلا أو تعب باطلا. وما أكثر المواضع التى يعبر فيها عن هذا الخوف. ففى أحدها يتحدث عن خوفه لئلا يحترق كل العمل الذى بناه على الأساس الذى سبق أن وضعه الله، وعندئذ تكون خسارته جسيمة (١ كو ٣). وفى موضع آخر يتحدث عن خوفه لئلا يكون مرفوضاً كمن لا حق له فى المكافأة (١ كو ٩: ٢٧). وهنا يستخدم هذه الكلمة "باطلا" (أى بلا جدوى) كأنه خشى أن أى خطأ من جانبه يمحو كل نتائج عمله الذى كافح فيه لاتمامه من أجل ربه.

ما هو الحال معنا: هذا سؤال خطير جداً موجه لنا جميعاً. هل نحن نسعى باطلا ونتعب باطلا؟ إن الحياة مليئة بالسعى والكفاح. لكن يحق لنا أن نتساءل بكل اهتمام عما إذا كنا سوف نستطيع أن نقدم فى النهاية شيئاً يتناسب مع الجهود التى بذلناها. يالكثرة الأيام التى عشناها باطلا، يالكثرة الكتب التى كتبناها باطلا، يالكثرة العظات التى ألقيناها باطلا، يالكثرة الأعمال الخيرية التى عملناها باطلا.

شرط للنجاح: قبل أن تكون أية خدمة لله أو للانسان دائمة النفع يجب أن تكون متشبعة بدم القلب. وتلك الخدمة التى لاتكلفنا شيئاً لاتجدى الآخرين نفعاً، إن لم تكلفنا خدمتنا الدموع والصلاة، إن لم تتوفر تلك المحبة المضحية التى تحدث عنها الرسول فى موضع آخر. فقد نتكلم بألسنة الناس والملائكة باطلا، ونعرف كل الأسرار وكل علم باطلا، وننفق

كل أموالنا لإطعام الفقير باطلا. فخليق بنا بالأحرى أن ننسكب كسكيب، فذلك أجدى من أن نعمل كثيراً دون أن نشعر بأقل تعب فى النفس. وكما أن خصوبة أرض مصر فى أية سنة تتناسب مع مقدار ارتفاع مياه النيل فى مقياس النيل، كذلك يتناسب مقدار ثمارنا الحقيقية فى العالم مع النفقة التى ننفقها من قوانا الروحية.

لأن موسى كان مستعداً أن يمحى اسمه من سفر الله لأجل شعبه فقد حملهم أربعين سنة فى البرية وأتى بهم إلى حدود أرض الموعد. ولأن يسوع بكى على أورشليم فقد أرسل المعزى إلى تلك المدينة العاصية. ولأن بولس كان مستعداً أن يكون محروماً من المسيح لأجل اخوته حسب الجسد فقد استطاع أن يرد الكثيرين من الظلمة إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله. عندما تتمخض صهيون فانها تلد بنيها. إذاً فلن تكون هنالك ثمار روحية دون وجع القلب.

الدعوة للذبيحة: يجب أن تكون الحياة المسيحية ذبيحة أى حياة تضحية. إذا كان الإيمان بالمسيح حقيقة حية جعل الحياة لا مجرد خدمة آلية بل ذبيحة. " فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية " (رو ١٢ : ١)

هنالك ذبيحة واحدة فقط تستطيع أن ترفع الخطية، تلك هى التى قدمت مرة واحدة. " وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس

إلى الأبد عن يمين الله " (عب ١٠ : ١٢) " لأنه بقربان واحد (تقدمة واحدة) قد أكمل إلى الأبد المقدسين " (عب ١٠ : ١٤)

لكن كنيسة الله بأكملها مدعوة لاتباع خطوات السيد في بذل حياتها من أجل البشر. يجب أن تكمل نقائص شدائد المسيح (كو ١ : ٢٤). يجب أن تكون مستعدة أن تتألم معه. يجب أن تتنازل عن السرور الموضوع أمامها، سرور الراحة والترف والقوة الأرضية، لكى تخرج إلى ربها خارج المحلة حاملة عاره (عب ١٣ : ١٣). هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم، وبذبيحة نفسه الواحدة فتح الطريق إلى السلام. لكن هناك ذبيحة أخرى يحتاج إليها العالم لخدمة مصالح البشرية، ليست هى ذبيحة الكنيسة كمجموع بل ذبيحة كل فرد بالذات.

هل لنا ذبيحتنا؟ هل هنالك ذبيحة فى حياتى وفى حياتك؟ إننى أروى مثالاعن فتاة صغيرة أعرفها، وعدت أمها وهى تحتضر أنها لن تتزوج إلا بعد أن يستقر فى حياته كل واحد وواحدة من اخواتها الأصغر منها، وبعد أن تؤدى آخر خدمة يحتاج إليها أبوها. لست أقصد هنا التحدث عن حماقة الأم إذ طلبت هذا التعهد من ابنتها، لكننى أروى فقط ما حدث. بعد ثلاث سنوات من وفاة الأم جاء لتلك الفتاة شاب يليق بها وطلب يدها وأحبته. لكنها رأت على نفسها ملتزمه أن ترفض، وهكذا ظلت أمينة للعهد الذى قطعته على نفسها إلى أن تزوج كل أفراد العائلة. كانت هذه تضحية سامية

جداً وهى أسمى وأنبل ما يمكن لفتاة أن تضحيه.

ألا يُطلب منا بصفة منستمرة تضحيات من هذا القبيل؟ ألا يطلب منا أجمعين أن نترك أمجاد جبل التجلى لكى ننزل إلى الوادى حيث ينتظرنا صليب إنكار الذات؟ حيثما كانت هذه هى الحال فإننا يدفعنا إلى التضحية، وطاعتنا لإرادة الله تمكننا من التنازل عن كل شئ فى سبيل إتمام عمل يسوع من أجل الآخرين. مالم يوجد أثر للصليب فى حياتنا، سواء كان معروفاً للناس أم للمسيح فقط، فإنه يحق لنا أن نشك فى أننا تابعون حقيقون للمصلوب، أو فى اننا نتمتع حقا باختبارات ديانته.

ادعى رجل مضلل بأنه هو مسيح اليوم. فطلب منه الشعب الساخط الملتف حول أبواب كنيسته أن يريهم يديه، قاصدين أن يقولوا بأنه إن كان هو المسيح وجب أن تكون آثار المسامير واضحة فى يديه. كان هذا طلباً عادلا. فالبشر يعرفون أن المسيح يقدم المثل الأعلى للتضحية، وأن أتباعه ينبغى أن لا يتوقعوا معاملة أفضل مما عومل هو بها. ومرة أخرى يجب أن نسائل أنفسنا: هل كلفنا إيماننا أية تضحية، وهل خُتمت خدمتنا للانسان ولله بالدم مراراً كثيرة؟

كان بولس مستعداً أن يُسكب: كان مستعداً أن يسكب دم حياته سكيباً. قال موسى " يقرب الذى قرّب قربانه... خمراً للسكيب ربع الهين تعمل على المحرقة أو الذبيحة للخروف الواحد " (عد ١٥ : ٤و٥). لا شك

فى أن هذا كان ماثلا أمام الرسول عندما تحدث عن سكب نفسه، كخمر يسكب، على ذبيحة إيمانهم وخدمته.

كانت هنالك مماثلة بين آلامه فى رومية وآلامهم فى فيلبى. كان يبدو إليه كأنه قد وصل وإياهم إلى مذبح واحد، واشترك وإياهم فى خدمة واحدة مضحية. ليس فقط أن إيمانهم دفعهم إلى تقديم تضحية كبيرة لسد احتياجاته، بل إلى تضحية الحياة نفسها فى سبيل الدفاع عن الحق. ومن أجل هذه الغاية كان هو يتوقع سفك دمه إن آجلا أو عاجلا. لأنه طالما كان نيرون على العرش، وطالما كان حقد اليهود يغلى فى دمائهم، فلم يكن هنالك أمل فى نجاته.

وعلى أى حال فإن هذا المصير الذى كان يتوقعه لم يملأ قلبه بالخوف. لكنه بالعكس كان ينظر إليه مقدماً كأنه عرس. وإذ تذكر انه كان يكمل إيمان وخدمة أهل فيلبى الذين قد بدأت محبتهم لله عن طريق خدمته فقد بعث ذلك فى قلبه سروراً متزايداً.

فرح التضحية: لهذا كان الشهداء يسرعون إلى السيف والنار فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يتألموا من اجل اسم المسيح. كانت الحماسة شديدة جداً فى تلك الأيام الأولى حتى اضطر المسئولون فى الكنيسة إلى اصدار أوامر لمنع المسيحيين من المخاطرة بحياتهم بدون مبرر. عندما تستطيع النفس أن تدرك قيمة الحياة الحقيقية، وترى الامتياز الذى فى مقدورها،

امتياز الاشتراك مع ابن الله فى آلامه، يشرق نور البهجة على قنطرة الحياة (الموت) التى كانت ترى قبلا مظلمة موحشة خانقة. ويصبح فرح الرب مصدر قوة جديدة لها (نح ٨: ١٠). إن الاشتراك مع يسوع فى آلامه لتخليص العالم يفتح الباب للاشتراك فى ينابيع الغبطة التى تتفجر داخل النفس، والتى أشار إليها عندما قال " تفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم " (يو ١٦ : ٢٢). " كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم " (يو ١٥ : ١١)

(١٤)

لا حزن على حزن

(فيلبى ٢ : ١٩- ٣٠)

على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل اليكم سريعاً تيموثاوس لكى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم.

لأن ليس لى أحد آخر نظير نفسى يهتم بأحوالكم باخلاص.

إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح.

وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الأنجيل

هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالى حالا

وأثق بالرب أنى أنا أيضاً سآتى إليكم سريعاً

ولكنى حسبت من اللازم أن أرسل اليكم أبفروتس أخى العامل معى والمتجند معى ورسولكم والخادم لحاجتى.

إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضا.

فانه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياى أيضا . لئلا يكون لى حزن على حزن.

فارسلته اليكم بأوفر سرعة حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضا وأكون أنا أقل

حزنا.

فاقبلوه في الرب بكل فرح وليكن مثله مكرما عندكم.

لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي.

إن الكتاب المقدس إلهي لأنه قريب جداً من قلوب البشر. يبدأ هذا الاصحاح بآلام ابن الله ويختتم بآلام رسوله. ولا يرى الروح القدس أي تناقض في الحديث أولا عن تنازل الرب العجيب من العرش الأسمى إلى صليب الخزي والعار، ثم يتحول إلى الحديث عما كان يجري في نفس بشرية من عوامل الرجاء والخوف، الحزن والفرح، إذ كانت تقف على شاطئ نهر التيبر في رومية. إذا فاعلم أيها القارئ العزيز أنه مهما كانت عظمة الله، ومهما اتسعت دائرة اهتمامه، فإنه لن توجد دمعة واحدة تسكبها أو حزن واحد تشعر به نفسك دون أن يكون موضع اهتمام عظيم منه. إن الله العظيم الذي نزل من العرش إلى الصليب في شخص ابنه، والقائم الآن عن يمين العظمة، نراه مع ذلك يفكر في سجينه (بولس) في البيت الذي استأجره لنفسه برومية، ويحرص على أن لا يكون ضغط الحزن أثقل مما يحتمله قلبه الضعيف.

هنا يتركز الحديث في (١) كنيسة فيلبي (٢) الرسول بولس (٣) تيموثاوس (٤) أبفرودتس (٥) الله.

(١) كنيسة فيلبي: (ع ٢٥و٣٠). ظل مسيحيو فيلبي عشر سنوات لا يقدمون للرسول أية مساعدة، لا لأنهم نسوه بل لأنهم لم تسنح لهم الفرصة. كان هو في ظروف لم يتمكنوا معها من الوصول إليه. ربما كان يظن أنهم قد نسوه، لكن محبتهم القوية لم يكن ممكنا أن تنساه. قد لاتستطيع تلك المحبة أن تقدم أية مساعدة، لكنها لا تزال مشتعلة في القلب.

كن مخلصاً في محبتك، إن جاز لك أن تنسى أى شئ في العالم فلا يجوز لك أن تنسى مطالب الصداقة، احتفظ بالمحبة فوق كل الكنوز. ثق في محبة غيرك، وإن لم تظهر أية علامة لمحبة صديقك فاعتقد أنها مع ذلك مخلصة أمينة، لكنها إنما تنتظر اللحظة التي تظهر فيها مساعداته عواطف نبيلة لا تزول.

كان أهل فيلبي ينتظرون حتى يحين الوقت الذى فيه يقدمون مساعدة أعظم. قدم المرء خبزاً عندما كان جائعاً، وشراباً عندما كان عطشاناً، وملابس عندما كان عرياناً. ترقب الفرص التي بين يديك. وإن كنا نترقب الفرص السانحة، عندما تكون هنالك نفس خائرة، أوشخص كاد يفقد الرجاء، عندما تدب عوامل اليأس في القلب والنفس، وننتهز تلك الفرص في وقتها، فكم من أعمال متهورة نصدها، وكم من قلوب كسيرة يمكن أن نشجعها لكي تواجه صعوبات الحياة ومسئولياتها برجاء جديد. كن مخلصاً لأصدقائك. ثق فيهم. انتهز الفرص.

(٢) **الرسول السجين**: كان يستطيع أن يكرز، لكنه كان سجيناً مكبلاً بالأغلال. وفي ذلك المنزل الذى استأجره لنفسه، الذى كان يتطلع منه إلى الحرية، كثيراً ما قضى أوقاتاً طويلة في وحشة خانقة.

لقد أوفد كل من يثق فيهم في مهام مختلفة عدا تيموثاوس وأبفرودتس. لكنه كان كثير التفكير في مصالح أصدقائه الفيلبيين، كما علم أنهم أيضا كانوا كثيرى التفكير فيه. لذلك أمكنه الاستغناء عن الشخص الوحيد الذى كان أعز لديه من كل شخص آخر، ألا وهو تيموثاوس، وأرسله لكى ينقل إليه أخبارهم، ولكى يتعزوا بسماع أخباره. ولأن الفيلبيين كانوا صادقين في محبتهم له فقد استخف بكل تضحية لكى يبين محبته. إن من يعيش قريباً من الله يعيش دائماً قريباً من إخوته. وشديد الحساسية من نحو الله شديد الحساسية من نحو الناس، ويهون عليه أن يستغنى عن أقرب شخص إليه لكى يبين مقدار استعداده للعطف على الآخرين ومساعدتهم. فكن دائماً مستعداً أن تضحى بأعز عزيز لديك، بتيموثاوس، إن إستطعت بذلك أن ترسل شعاعة عزاء لأصدقائك الفلبيين الذى يعيشون في جهة نائية عنك.

(٣) **تيموثاوس المغيث**: أحب تيموثاوس بولس محبة الابن لأبيه (ع٢٢). لقد نشأ رقيقاً، ضعيف البنية، لدرجة أن الرسول نصحه باستعمال خمر قليل من أجل أسقامه الكثيرة. ولعله كان شديد الحساسية لدرجة أنه

لم يكن يصمد أمام المقاومات العنيفة والبغضاء. لكنه بالرغم من كل ذلك كان شخصا حلو المعشر جميل الصفات. كان قوى الإيمان بالرب يسوع المسيح، وفياً وأميناً لصديقه بولس أبرزت أفضل وأنبل ما فيه من صفات. وهكذا شب تيموثاوس الصغير بطلا عظيما تحت لمسة المحبة. ياللقوة التى تخلقها المحبة، المحبة الحقيقية. هنالك محبة أنانية مؤذية سيئة تضعف من تحبه وتؤذيه. هنالك محبة أخرى خالية من محبة الذات تبرز فى الآخرين أنبل الصفات، فتجعل الجبان قويا وشجاعاً، وتستخرج البطولة التى ظلت دفينة فى خبايا النفس. من أجل هذا أرسل تيموثاوس إلى فيلبى حالما علم الرسول أن تجربته سوف تنتهى، ولعله كان عازما على اللحاق به (ع ٢٣و٢٤) .

(٤) «**أبفرودتس أخى**» : هنا يتحدث الرسول عن أبفرودتس الذى كلف بحمل هذه الرسالة ويقول عنه أنه رسول فيلبى وخادمها، لأنه أتى بتقدمات فيلبى من عبر البحار. ويصفه أيضاً وصفاً رقيقاً جداً إذ يقول عنه " أخى". ليست هنالك قرابة أقوى من تلك الأخوة التى يرتبط بها قلبان فى محبة مشتركة لله. "أخى والعامل معى والمتجند معى " (ع ٢٥) . كان أبفرودتس أقل جداً فى المواهب من بولس، ومع ذلك فإن بولس يبدو كأنه نسى الفارق العظيم الذى بينهما ويتحدث عنه كأنه مساو له: " العامل معى والمتجند معى" لأن العمل من أجل المسيح، والتجند جنبا إلى جنب فى صفوف الجيل المسيح، يقربان النفوس بعضها إلى بعض.

أبفرودتس المتضرع: الأرجح أن أبفرودتس هو المشار إليه في (كو ٤: ١٢) بأنه أبفراس حيث قيل عنه بأنه جاهد بالصلوات لكي تثبت الكنائس البعيدة كاملة وممتلئة في كل مشيئة الله. وكلمة "جاهد" (Agonise) التي وصفت بها صلوات هذا الرجل الصالح كانت تستعمل للتعبير عن الجهاد في الألعاب التي لها شأن عظيم جداً في اليونان. فكأن أبفرودتس جاهد كمصارع في الألعاب الرياضية. لقد كان حاراً في تضرعاته من أجل أخوته في الإيمان حتى بدا كأن عروقه نفرت، أو كأن كل كيانه قد اشتبك في عراك عنيف. لقد صلى هذا الرجل البسيط بحرارة جداً حتى قال بولس أنه كان كمصارع في الألعاب الرياضية. لقد مرض، ربما بالحمى الرومانية حينما كان يجوب بعض أنحاء روما القذرة للبحث عن الضالين الذين شردوا أمثال أنسيمس، فسرت إليه العدوى في أحد تلك الأمكنة الموبوءة القذرة (ع ٣٠). وعندما وصلت هذه الأنباء إلى الرسول انكسر قلبه لأنه خشي أن يموت صديقه وهو عاجز عن زيارته أو خدمته.

لكن أبفرودتس نجا من الخطر، وكان في غاية الألم في مدة النقاهة لأن أهل فيلبي سمعوا بمرضه فاشتد قلقهم عليه. ما أحلى الحياة في وقتها. ليس من الهين أن يحدد المرء أي الأنباء يجب أن ينقلها لحبيبه. قد يظن البعض أن أبفرودتس كان يخبر أصدقاءه أهل فيلبي عن مرضه. لكنه رأى عكس هذا. فقد كان يعتقد أنه يكفيهم همهم ومتاعبهم ومسئولياتهم،

ولذلك لم يشأ أن يضيف ثقلا جديداً لأولئك الذين كانوا مثقلين جداً بالأحمال.

التكتم والصراحة: لعله من الحكمة أن نخفى بعض الآلام والمحن التى نكابدها عمن نحبهم، البعيدين عنا الذين لا يستطيعون مساعدتنا بسبب بعدهم. أما الذين نلتقى بهم كل يوم فيجب أن لا نكتم عنهم شيئاً لأن التكتم كثيراً ما قتل المحبة. والأمر الوحيد الذى يحسن أن نكتمه عن أصدقائنا الحميمين هو الإساءات التى توجه إلينا. فى مثل هذه الظروف يحسن الصمت، لأننا ربما نجسم الأساءة، بينما أننا إذا لم نتحدث عنها قد ننساها.

وفى النواحى الأخرى تحسن الصراحة. فالثقة تنعش المحبة. وما أروع تلك الكلمات التى دونها اللورد باكون فى كتابه الجليل عن الصداقة. قال: "إننا نعرف أن أمراض الانسداد أو الاختناق.أشد الأمراض خطراً للجسم لكنها لا تؤثر على العقل. قد تستخدم آلة جراحية لتفتح الكبد، أو الطحال، أو الرئة، أو المخ. لكن لا يستطيع أن يفتح القلب سوى صديق مخلص تسر إليه بأحزانك وأفراحك ومخاوفك وآمالك وشكوكك ومشورتك وتعترف إليه بكل ما يثقل القلب".

ونحن لا يسعنا إلا الإعجاب بأبفرودتس الذى كانت محبته رقيقة جداً حتى قال " إنهم لايستطيعون أن يقدموا إلّى أية مساعدة. لو أنهم كانوا

قريبين منى لخدمتى فى مرضى لأخبرتهم بمرضى، لكنهم بعيدون عنى جداً". ولما علم أن أنباء مرضه ـ لا نقاهته ـ قد وصلت إليهم سببت إليه انتكاساً.

(٥) عناية الله : عاش الرسول بولس فى جو المحبة. تأمل فى ذلك. كان كل ما يحيط به ينم عن البغضة والحقد والحسد، أما فى تلك الغرفة التى استأجرها لنفسه فقد تركزت المحبة. فى وسط البرد القارص المحيط بتلك الغرفة المستأجرة كانت هى تنعم بالدفء. فى وسط ظلام الوثنية الحالك كانت هنالك تلك البقعة الوحيدة الجميلة التى تنعم بالحياة السماوية.

بينت تقدمات أهل فيلبى انهم لم ينسوه. كذلك لم يكن ممكنا أن ينساهم الرسول، ولذلك فكر فى أن يرسل إليهم تيموثاوس مع أن هذا كان بمثابة قطع جزء من نفسه. وكان تيموثاوس أيضا يميل أن يلازمه ليكون فى خدمته كولد مع أب، وأن يشاركه قيوده وعاره. وعلاوة على هذا فقد كان هنالك أبفرودتس القلق لأن أهل فيلبى كانوا قلقين، والذى كان مغموماً فوق الطاقة لأنه ضاعف حزنهم. كانت هنالك صوبة (١) عامرة بالمحبة الكاملة، بأشجار النخيل والفاكهة والأزهار فى جو حار وسط المناخ الشتوى. ومن كل هذا جاء الإيمان القوى بالله انه سوف لا يضيف حزناً على حزن. قال بولس لنفسه: "إننى واثق أن نفس العواطف الطيبة التى فينا

(١) بيت لتربية النباتات بالحرارة الصناعية.

موجودة في الله لكن بكيفية أقوى. إنني واثق أن الله رقيق وعطوف كعطفنا نحن ورقتنا على بعضنا البعض. إنني لن أعرض أبفرودتس للموت إلا إذا كان هنالك مبرر قوي. وإن أمكنني أن أعفي خادماً من حزني فلن أتأخر". وقد أتخذ من المحبة التي يشعر بها شخصيا حجة للبرهان على المحبة الأسمى منه فقال " إن الله بمثابة أب وأم وأخ وأخت وصديق. إن أرق كائن في كل الكون هو الله، وهو لن يضيف حزنا على حزن. صحيح ان الحزن لابد أن يكون لكي أتعلم بأن أواسي الحزاني، لكي ينفتح قلبي لكل متألم، ولكن سوف لا يكون هنالك "حزن على حزن بدون مبرر". يا لها من فكرة سامية جداً تلك المقدمة لنا هنا التي تبين كيف أن المحبة البشرية ترفع الانسان ليدرك المحبة الإلهية. إننا نتخذ من الأمور البشرية حجة للبرهان على الإلهية "كم بالحرى أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه" (مت ٧ : ١١). انه لن يسوق قطيعة بسرعة أكثر مما يحتمل، ولا يعطينا أكثر مما نحتمل، ولن يضيف لقلوبنا قطرة واحدة من الحزن بلا مبرر

* * *

المسيح والصداقة البشرية: هنا نستخلص ثلاث نتائج:

(أولا) **إن المسيح يعترف بالصداقة البشرية**: المحبة هي الشيء الوحيد الذي يجعل للحياة قيمة. قال أحدهم " إنني أفضل بأن أقاد إلى الموت شنقاً لو أنني عرفت أن نفساً واحدة ستحبني أسبوعاً واحداً قبل الموت وتكرمني

بعده عن أن أعيش نصف قرن دون أن أكون محبوباً من أي مخلوق بشري". إن الحياة التي يكون لها أصدقاء أوفياء هي الأكثر ثروة، وتلك الحياة التي تكون محاطة بأخلص وأرق القلوب هي التي تستحق أن يحياها المرء. لكن هل نقدّر المحبة البشرية التقدير الواجب؟ وهل نجزيها الجزاء الواجب؟ ألسنا قليلي الالتفات لهذه اللآلئ من الثروة الروحية؟ ألا يوجد في بيوتنا أشخاص إذا ماتوا هذا الأسبوع ملأوا ذكرياتنا بأسف ممض؟ قالت الزوجة: "لقد كنت فتاة حمقاء لكنني كنت دائماً أحبك يا جورج". لكن القبلات التي انسابت من بين شفتي الزوج جاءت متأخرة جداً ولم تستطع أن تمنع موت زوجته أو تمحو معاملته الجافة لتلك التي وعد بأن يحبها من كل قلبه، وكان عليه أن يعاني الحسرات المستمرة فيما بعد خليق بنا أن نحرص كل الحرص على أن نكون مخلصين في المحبة، رقيقين دون أن نؤذي أحداً أو نسيء إلى أحد، وأن نتمثل دائماً بالرب يسوع المسيح في محبته لمريم ومرثا ولعازر وغيرهم. ان الرب يسوع المسيح يعترف بالمحبة البشرية. قال واعظ قدير " فوق كل شئ كن شفوقاً. فالشفقة هي الصفة الوحيدة التي بها نتمثل بالله ونساعد الانسان. الشفقة في العلاقات المتبادلة هي اكسير الحياة ". ولعله كان الأجدر به أن يستخدم كلمة " محبة ". بدلا من "شفقة"، لأن الشفقة كثيراً ماكانت عاطفة بشرية، أما المحبة فهي من الله. ان المسيح يكرم الصداقة.

(ثانيا) الله كصديق لنا: اننا نجرؤ على أن ننسب لله العواطف التي

ننسبها لأعز أصدقائنا. " لئلا يكون لى حزن على حزن". يسأل بعض الناس دائماً هذا السؤال " هل تحب الله "؟ والأفضل جداً أن تفكر دائماً فى محبة الله لك. الأفضل جداً أن تذكر بأن الله يحبك عن أن تجتهد بأن تحب الله. لا غرابة ان كان الناس يهجرون أماكن عبادتنا ويهرعون إلى الخطية والأمور العالمية، لأن الكنيسة تصر بصفة مستمرة على انهم يجب أن يحبوا الله، وهذا ما لم يستطيعوا فعله. بينما لو أن كانت الكنيسة تخبر الناس بأن الله يحبهم وانهم يجب أن يعتمدوا على محبته اعتماداً مطلقاً لوجدوا فى الرسالة جاذبية تجذبهم إلى المخلص. انهم يستطيعون دائماً أن ينسبوا لمحبة الله تلك الرقة التى شعر بها بولس نحو فيلبى، أو التى أحس بها أبفرودتس نحو زملائه المسيحيين.

لاصـديـق كـيـسـوع يـرثـى لـك فـى الحـيـاة
بيـنـمـا الأصحاب تمضى يـصـحـبـنـك فـى المـمـات
لاصـديـق كـيـسـوع فـاعـتـرف بـحـبـه
مـن اسـتـحـى بـه هـنـا يـسـتـحـى هـو بـه
لاصـديـق كـيـسـوع مـثـلـه خـل وفـى
إن أخـذتـه رفـيـقـاً عـونـاً مـنـه تـلـتـقـى

اعرف محبة الله دائماً وثق فيها. " الله محبة. ومن يثبت فى المحبة يثبت الله والله فيه" (١ يو ٤ : ١٦)

(ثالثاً) تأثير محبة الله: عندما نؤمن فى محبة الله فإنها تجعلنا رقيقين جداً من نحو الآخرين. كل منا له صداقاته البشرية المباركة. من هذه نحن نقوم لندرك الله، ومن الله نعود لنحب كل البشر. كما أن مياه الشلالات لما تسقط من علو شاهق تتناثر منها نقط كثيرة على الأحجار والصخور المجاورة فتكسوها حلة خضراء، هكذا لما تسقط محبة الله فى قلوبنا تجعلنا رقيقين جداً نحو زملائنا فى المسيحية ونحو كل البشر. يجب أن نحب المتألمين والضالين، الأشرار والفجار، بجزء من المحبة التى تملأ قلب الله والتى لا تفشل أبداً. من الأفراد نقوم إلى الله، ومن الله نعود إلى الأفراد، ومن الأفراد نخرج إلى العالم الفسيح

المحبة هى المفتاح الوحيد لأسرار الحياة. كما أن المرء كلما تقدم فى الأيام تقدم فى المعرفة ، فإنه يتقدم كذلك فى الفزع من أسرار الخطية والألم والشر، وليس هنالك علاج آخر سوى أن نؤمن بأن الله يحب، واننا بدورنا يجب أن نحب. قال يوحنا " بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة فى يوم الدين" (١ يو ٤ : ١٧).

عندما تتحطم العوالم لهلاكها، عندما يكون الكون فى آلام الانحلال، وتعلن الحقائق الأبدية، فإن الشئ الوحيد الذى يشدد النفس ويجعلها ثابتة هو الشعور بأن الله الأبدى قد أحبها فى المسيح، وأنها قد طلبت أن تحيا حياة المحبة الرقيقة المقدسة التى سوف تستمر فى أن تحياها إلى الأبد.

إن كنت لا تحب الله، أو إن كنت لا تدرك بأن الله يحبك، فما الذى يمنحك الثقة فى يوم الدين؟ لكن هنا يقوم المسيح الذى يحبك، الذى هو محبة، والذى دفعته المحبة لكى يأتى ويموت من أجلك، الذى يقرع (بواسطة الروح القدس) على باب قلبك، والذى يسكب فيك ينابيع من المحبة. هل كنت غير أمين لها؟ هل قاومت صبرها إلى النهاية؟ هل جازيتها شراً بدلا من خيرها؟ ألا تشعر بتأنيب الضمير لأنك رفضت محبة الله فى المسيح؟ ليت الله يعينك. ثق بأن الله يحبك فى المسيح، وأخرج لكى تحيا حياة المحبة الكاملة، دون أن تضيف حزنا على حزن، سواء لمن أحبك محبة لا يعبر عنها، أو لأية نفس حية.

(١٥)

الختان الحقيقى

(فيلبى ٣ : ١ – ٣)

أخيراً يا أخوتى افرحوا فى الرب. كتابة هذه الأمور اليكم ليست علىّ ثقيلة وأما لكم فهى مؤمنة أنظروا (١) الكلاب.

أنظروا (١) فعلة الشر أنظروا (١) القطع.

لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد.

اختلفت آراء علماء الكتاب المقدس بصدد المعنى الذى قصده الرسول على وجه التحديد عندما كتب هذه الكلمة " أخيراً ". قال أحدهم مثلا إنه سبق أن قال كل ما أراد أن يقوله وبدأ الآن يختتم رسالته. وفى هذه الحالة يكون المعنى المقصود هكذا: "والآن ياأخوتى يجب أن أودعكم. افرحوا فى الرب".

لكن الأفضل القول أنه وإن كانت الكلمة " أخيراً " تشير إلى قرب ختام الرسالة فإن الختام ليس بالضرورة قريباً جداً (أنظر ١تس ٤ : ١ ، ٢تس ٣ : ١). وفى هذه الحالة يكون المعنى المقصود هكذا: "إن رسالتى قد اقتربت

(١) " احذروا " حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

نهايتها. وقد سبق أن بينت بأن مفتاحها هو ضرورة الفرح. وسوف تستمر هذه النغمة إلى النهاية".

هنا يوصى الرسول بثلاث واجبات مسيحية فى هذه الآيات القليلة: (١) يجب أن نفرح فى الرب (٢) يجب أن نحذر (٣) يجب أن نمتحن أنفسنا لنتأكد من أننا من الختان الحقيقى.

* * *

(١) **ضرورة الفرح المسيحى**: إن الفرح الذى هو ثمر عمل الروح القدس فى القلب، والذى ذكره الرسول بعد المحبة وقبل السلام (غل ٥: ٢٢) يختلف عن كل ماتغله تربة القلب الطبيعية. إنه غريب عن النفس غير المتجددة. إنه يختلف عن الاغتباط بالصحة الكاملة، لأنه يستمر فى حالات الضعف والألم. ويختلف عن المسرات العالمية لأنه يستمر فى أحلك الساعات وأبهجها. ويختلف عن السعادة العالمية لأنه يستمر وسط خسارة كل الأشياء. إن الذين رأوه يطفح على وجه أبناء الله يشهدون بعظمة الجمال غير الأرضى الذى يخلقه. هنالك رواية رواها الدكتور ترمبل عن هذا الفرح إذ وصف ما رآه صبى حقير فى ادونيرام هدسن. قال: فى مساء أحد الأيام رأى الصبى شخصاً غريباً قادماً إلى مدينته بالقطار. وقد جذبته طلعته بكيفية عجيبة. لم ير من قبل مثل ذلك النور على أى وجه بشرى. وأخيراً تذكر أنه لابد أن يكون هو المرسل العظيم الذى طالما رأى صورته

فأسرع لدعوة راعى المدينة. وحالما التقى الرجلان استغرقا فى حديث طويل نسبيا معه الصبى. لكن الصبى كان يدور حولهما مثبتاً نظره فى وجه الضيف الغريب. وظل الصبى يتحدث عن ذلك النور الجميل حتى يوم موته. كان ذلك يقينا انعكاس هذا الفرح الداخلى.

الطلعة المنيرة: " نظروا إليه واستناروا " (مز ٣٤ : ٥). لا شئ يبرهن على أن لنا شركة مع الله أكثر من الاستنارة التى يبعثها ذلك الفرح فى خطواتنا وتصرفاتنا وطلعتنا. وينشأ فرح الرب من تركنا كل أثقالنا عند قدميه، والايمان بأنه قد غفر الماضى غفراناً مطلقاً ومحا كل آثاره، وبأنه لن يحل بنا شئ لم يأمر هو به أو يسمح به، وبأنه يفعل كل شئ بحكمة وشفقة، وبأننا فيه قد رفعنا عن دائرة الخطية والحزن والموت إلى دائرة النور الإلهى والمحبة الإلهية، وبأننا قد بدأنا فعلا الحياة الأبدية، وبأن أمامنا على الدوام شركة معه بهيجة وسامية جداً بدرجة لا تستطيع أيه لغة بشرية التعبير عنها.

وجوب غرس هذا الفرح : يجب القضاء على كل ميل للتذمر أو الشكوى، أو الحكم على تصرفات الله بأنها خاطئة، أو طلب العطف من الناس. يجب أن نقاوم تجربة روح الكآبة على قدر مقاومتنا أى شكل من أشكال الخطية. يجب أن نصر على مراقبة غيمة قدر الكف فى الجو المكفر، واثقين أن الغيوم سوف تنتشر فى السماء سريعاً. يجب أن نتشبث بمواعيد الله واثقين أنه سوف يعلن نصرته قوية، وأن المستقبل سوف يكشف القناع

عن رواية آلام البشرية الطويلة. يجب أن نكون دواماً متفائلين ممتلئين بروح الرجاء الذى لا يخزى. يجب أن نثبت ولا نتزعزع مهما قامت فى وجهنا كل قوات الجحيم متمثلين بذاك الذى قيل عنه إنه " ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم " التى كان سوف يصلب فيها (لو ٩ : ٥١) والذى قال هو عن نفسه " وأنا لم أعاند. إلى الوراء لم أرتد. بذلت ظهرى للضاربين وخدىّ للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق " (أش ٥٠ : ٥و٦).

الفرح في الرب: وفضلا عن ذلك فإننا يجب أن نفرح فى الرب "أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد (١) " (مز ١٦ : ١١). يجب أن لا نعتقد بأن إتمام هذه الكلمات الحلوة سوف يحصل فى المستقبل البعيد، بل إنه الآن، هنا. طالما كنا نعيش فى شركة معه فإننا سوف نكتشف أن حضرة المسيح التى يؤكدها لنا الروح القدس هى ينبوع فرح عميق. قد لا نستطيع أن نفرح فى ظروفنا، فى أصدقائنا، فى مشاريعنا، لكننا نستطيع أن نفرح دواماً فى يسوع المسيح الذى تكشف لنا طبيعته القناع عن كل الاسرار، وفيها نجد ينبوع الرجاء، كوكب الصبح فى قلوبنا، إلى أن " يفيح النهار وتنهزم الظلال ".

ليس من العسير أن يكون المرء مبتهجاً وسط الغرباء والأصدقاء، لكن

---

(١) " ستملأنى فرحاً مع وجهك. ولى من يمينك لذات على الدوام " حسب ترجمة اليسوعيين، أو " فى حضرتك ملء من الفرح.... " حسب الترجمة الانكليزية

كثيراً ما كان أكثر الناس ابتهاجاً في المجتمع أكثرهم كآبة في حياتهم العائلية. ألا تتمنى الزوجة بعض الأحيان أن يظهر الزوج في البيت نفس. الابتهاج الذى أظهره الليلة السابقة في المجتمع؟ إن كانت هنالك جماعة في كل العالم يجب أن نخلق فيها روح الفرح فهى تلك المحتكة بنا أكثر من غيرها. إن كانت حياتنا كئيبة بعثت الكآبة في كل مَن هم حولنا، وإن كانت منيرة بعثت إليهم النور.

لا تخف من الفرح : "وتفرح بجميع الخير الذى أعطاه الرب إلهك لك" (تث ٢٦ : ١١) " كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شئ إذا أخذ مع الشكر " (١تى ٤ : ٤). إن الله يضع دواماً في حياتنا أشياء مباركة جميلة لتستخدم من أجله. لا تظن بأنه من الضرورى أن يوضع الشوك في الورد، أو السحابة القاتمة في السماء الصافية. فالله يجب أن يرى أولاده مغتبطين. وطالما كنت تستطيع أن تحول نظرك من السرور الذى يملأ قلبك إلى الله الذى أعطاه، وتنسب العطية إلى المعطى، فلا يوجد أى مبرر لماذا لا تشرب كل كأس البركة الذى يضعه الله في يدك.

سوف نرى الرسول فيما بعد يعود إلى هذه الوصية في (ص ٤ : ٤) وهنا يقول " كتابة هذه الأمور اليكم (١) ليست علىَّ ثقيلة وأما لكم فهى

(١) " أما تكرار الأشياء الواحدة في رسائلى اليكم " حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

مؤمنة". واضح أنه كان يحثهم دائماً على الفرح الروحي، ويكرر بنفس التأكيد نفس النصحية التي طالما قدمها اليهم. كان يتمثل بالقول " أمر على أمر. فرض على فرض ". فالمعلم الذي يكرر ويعيد التأكيد يربح في النهاية.

(٢) وجوب الحذر:

«**انظروا (احذروا) الكلاب**». كانت الكلاب قديماً تمثل بعض الصفات البشرية. كان **اليونانيون** يعتبرون أنها تمثل الشراسة والوقاحة والشراهة. وكان **اليهود** يعتبرون أنها تمثل الخسة والنجاسة.

في سفر الرؤيا نجد أنها تمثل أولئك الذين خلوا من الصفات التي تؤهلهم لدخول أورشليم الجديدة "لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً " (رؤ ٢٢ : ١٥).

يعرف الذين يعيشون في الشرق كيف تجوب الكلاب كل الشوارع بلا مأوى ولا أصحاب، تعيش على فضلات الشوارع، تتشاجر معاً، تتزاحم على ما تجده من طعام، وتهجم على المارة.

لهذا يأمرنا الرسول أن نحذر من المشاكسين المناكفين الذين تحت ستار التدين يخفون أدناساً كثيرة، والذين لا يقتصر الأمر على دنسهم بل إنهم يدنسون غيرهم. إن وجد في دائرة أصدقائنا من يعمل على أضعاف حياتنا الروحية، من يوحي أو يبعث فينا أفكاراً ورغبات تميل إلى إشباع شهوة الجسد، من تسفلت سيرته فأصبح لا يفكر إلا فيما هو للجسد بدلا من

الاهتمام بما هو للروح، فواجبنا أن نحذر منه وأن نقطع علاقتنا به.

« انظروا (احذروا) **فعلة الشر** ». هؤلاء يختلفون بعض الاختلاف عن الأشرار. أنهم لا يقيمون أنفسهم لفعل كل الشر الذى يستطيعونه فى العالم، لكنهم متعصبون، فقدوا توازنهم، فقدوا قوة التمييز، يعظمون نقطة صغيرة معينة فى المسيحية إلى أن تعمى أبصارهم. إنهم جماعة المتقلبين فى كنائسنا، جماعة المبتدعين. إنهم يبالغون فى الأمور التافهة، يتمسكون بكل الآراء الجديدة ويتبعونها للعبث بالحق والمحبة.

من المستحيل التعبير عن مقدار الضرر الذى يسببه هؤلاء الناس أو مقدار الرغبة فى التخلص منهم. إنهم وبأ لكل جماعة مسيحية يدخلونها. وتأثيرهم على الصغار والبسطاء سئ جداً. يقول الرسول إننا عندما نتكلم يجب أن نراعى نسبة الإيمان (رو ١٢ : ٦). إن وجد هنالك شخص يتخذ من الأنجيل ناحية واحدة، ويرددها بصفة مستمرة، ويبالغ فيها بدرجة أنها تطغى على سائر الحقائق الانجيلية، فلنحذر منه. لأن مثل هذا هو فاعل الشر سواء قصد ذلك أو لم يقصد.

« انظروا » (أحذروا) **القطع** (١). كانت تلك السنوات من حياة الرسول مرة جداً بسبب عداوة أولئك المعلمين المتهودين الذين تعقبوا خطواته. إنهم لم ينكروا أن انجيله هو قوة الله للخلاص، لكنهم أصروا على

---

(١) " ذوى القطع " حسب ترجمة اليسوعيين

أن المتنصرين من الأمم لا يمكنهم التمتع بملء بركات الانجيل إلا بناموس موسى. وأصروا على أن الأمم لا يمكنهم أن يصيروا مسيحيين إلا إذا تهودوا أولا. وأكدوا بأن المتنصرين الجدد إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنهم أن يخلصوا (أع ١٥ : ١)

وقد ظل الرسول طوال مدة خدمته يقاوم بعنف أمثال هؤلاء المعلمين وتعليمهم. وقد ذهب إلى أبعد من هذا إذ قال إنهم خائنون لأسمى تقاليد الماضى، وأن الطقس الذى أصروا على إجرائه فى مثل تلك الظروف إذا نظر اليه كشرط للخلاص بدم المسيح إنما هو بمثابة قطع للجسد وتشويه له. ليس القطع هو الختان فى معناه الحقيقى، فهنالك فرق بين كلمتى "قطع" و"ختان"، الأولى تعنى تشويه الجسد، والثانية تعبر عن طقس مقدس.

وفى أيامنا الحاضرة يجب أن نحذر ممن يعتمدون على مجرد المظاهر الخارجية كشرط للخلاص. لا يزال يوجد بيننا من يقولون إن مجرد المظاهر الخارجية للمسيحية يجب ممارستها كشرط للخلاص. فلنحذر من هؤلاء لأنهم يحقرون من شأن الانجيل ويحولون أفكار الناس عن ذاك الذى هو الطريق الوحيد إلى الآب.

إنه من العسير الحذر من أمثال هؤلاء لأنهم يقتربون إلينا فى شكل الغيرة والعطف والمشاعر الدينية. ليس من العسير الحذر ممن هم ظاهرون فى نظر جميع الناس بأنهم دنسون أشرار، لكن الحذر كل الحذر ممن يبدون بأنهم

أكثر تديناً منا. لهذا خشى الرسول فى عصره لئلا تفسد أذهان المتجددين على يديه عن البساطة التى فى المسيح بأى وجه كما خدعت الحية حواء بمكرها (٢كو ١١ : ٣).

إذا ما جاء الشيطان فى شبه ملاك نور فعندئذ ينبغى الخوف منه كل الخوف، والحذر كل الحذر

(٣) **امتحنوا أنفسكم**: عوضا عن الختان يجب أن نخلع جسم خطايا البشرية. يجب أن نختن "بختان المسيح" أى (نقطع) نكف عن كل مجهود شخصى، وندفن معه، ونقوم معه إلى الحرية والنصرة (كو ٢ : ١١و١٢).

يقدم لنا الرسول الأوجه الثلاثة للختان الحقيقى، التى إن أتممناها أظهرنا بأننا حقاً نسل ابراهيم وأننا أهل لبركة إبراهيم : "لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذى في الظاهر فى اللحم ختاناً. بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. الذى مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو٢ : ٢٨و٢٩).

هل عبادتنا هى العبادة المستقيمة؟ هل ننتمى لهذه العينة المباركة! هل تظهر فينا المؤهلات الثلاثة التى يطالب بها الرسول؟ هل نعبد الله بالروح؟ إن الكلمة التى ترجمت "يعبد" تعنى أولا إتمام عمل الخادم، ثم الخدمة الدينية، وتعنى فى بعض الأحيان الخدمة الكهنوتية. هل نعرف معنى الحياة فى هيكل العبادة متممين كل واجب كما للرب؟ هل عبادتنا الفردية أو

الجمهورية عبادة آلية شكلية أم أننا نعرف كيف نعبد الآب بالروح والحق، وكيف نكون فى الروح فى يوم الرب؟ هل نحن.نفرح فى المسيح يسوع؟ هل هو موضوع افتخارنا؟ هل مثلنا الأعلى هو أن نتبعه؟ هل نحن نسعى لكى ننال رضاه على الدوام؟.

هل اتكالنا هو الاتكال المستقيم؟ هل نحن ممن لا يتكلمون على الجسد؟ فى كل الرسائل تعبر كلمة "الجسد" عن "الذات"، الذات التى تحاول أن تبرر نفسها، وتسعى لتقدس نفسها، التى وإن بذلت الخدمات الكثيرة من أجل الله لكنها لم تعرف بعد كيف تغمر فى روح الله. إن كانت حياتك الدينية هى حياة الاعتماد على الذات وإرضاء الذات ، فأنت لم تؤهل بعد لتتسلم اللؤلؤة النفيسة، وعيناك لا تستطيعان أن تبصرا جمالها الفائق وقيمتها الثمينة. أما كل النفوس المتواضعة التى ليس لها ما تفتخر به سوى صليب ربنا يسوع المسيح، التى لا تتكل على ذاتها بل تعتمد كل الاعتماد على نعمة الله التى تعتقد بأنها لا تستحقها، فإنها ترفع وجوهها إلى فوق بفرح مجيد. هؤلاء هم أبناء ابراهيم الحقيقيون.

هل نحن نفرح فى المسيح يسوع؟ كتب أحدهم منذ بضع سنوات عن التغيير العجيب الذى حدث فى حياة صديق له فقال. إن التغييرالذى حدث فى حياته كان واضحاً جداً، ولم يكن مجرد تغيير بل كان انقلاباً. فى إحدى الليالى نام فاقد الوعى بسبب سكره، لا يقوى على الكلام. لكنه

استيقظ فى الصباح شخصاً جديداً وعاش بعد ذلك مدة أربعين سنة بلا لوم ولا عيب. بعد ثمان سنوات من ذلك التغيير سأله واحد عن سببه، فأجاب قائلا. فى تلك الليلة ظهر له يسوع المسيح أثناء نومى. بدا لى وجهه طاهراً محباً محببا لى حتى إذ استيقظت نسيت رذائلى السابقة وأجببت مخلصى بحيث لم أغضبه قط. لم يقل لى أية كلمة، لكنه إنما نظر إلىّ. لكن نظرته أوحت إلىّ أن لى رجاء، وأننى يمكننى أن أنال الغفران وأن أطهر. نظرت إليه وصرخت كطفل. أحسست بأننى شقى تعس أدنس من الدنس. ولا يمكننى التعبير عن هذا الاحساس. ولما نظرت إليه عمنى الفرح بدرجة أنه زال عنى الخوف، ولكن لمانظرت إلى نفسى عمنى الخوف بدرجة أنه زال عنى الفرح. ونسيت كل شئ عن الخمر والتدخين، وتذكرت فقط محبة يسوع الحلوة لى.

قال أحد الذين يعرفون هذا الشخص معرفة جيدة: لقد عاش خمساً ثلاثين سنة حياة بلا لوم، محبوباً من كل شخص إلى أن رقد فى الرب.

ليت الله يمنحنا نعمة لكى نحيا فى فرح مثل هذه الرؤيا إلى أن يغمرنا الفرح الأبدى كالطوفان.

* * *

لما اقتربت من يسوع هنا فى وادى الدموع
طهرنى ذاك الينبوع يافرحى قد نجوت

دفع دينى ورفع رأسى   خلصنى من الموت
والآن فى السماء كنزى   يا فرحى قد نجوت

ألقيت حملى عند الصليب   بقرب فادىّ الحبيب
فامتلأ قلبى فرحاً عجيب   يا فرحى قد نجوت

تركت العالم والشرور   فالعالم كله غرور
وسكن قلبى ذاك الغفور   يا فرحى قد نجوت

(١٦)

باع كل شئ لشراء اللؤلؤة

(فيلبى ٣ : ٤- ٩)

مع أن لى أن أتكل على الجسد أيضاً. إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى.

من جهة الختان مختون فى اليوم الثامن. من جنس إسرائيل. من سبط بنيامين. عبرانى من العبرانيين. من جهة الناموس فريسى.

من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم.

لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة.

بل إنى أحسب كل شئ أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح.

وأوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح . البر الذى من الله بالإيمان.

اللؤلؤة الكثيرة الثمن: يصوّر لنا الرب فى أحد أمثاله الرائعة رجلا يترك بيته فى الصباح، حاملا كيساً كبيراً مملوءاً ذهباً، وقاصداً السوق الذى تعرض فيها اللآلئ النفيسة للبيع. كان يبحث عن لآلئ جيدة فصار يمر من

حانوت إلى أخر مفتشاً فى الآلئ تفتيش خبير. لكنه تحول عن كل الحوانيت فاشلا، وأخيراً تقدم إلى أحد البائعين فرأى أمامه لؤلؤة رائعة الجمال لم تر عينه مثلها قط، وإذ سأل عن الثمن أدرك أنه يستنفد كل اللآلئ التي سبق أن اشتراها وكل الذهب الذى فى الكيس. كان يقصد فى بداية الأمر أن يشترى بعض اللآلئ ويحتفظ ببيته وممتلكاته، لكنه أدرك أنه لكى يحصل على هذه اللؤلؤة يجب أن يبيع حتى هذه أيضاً. وهكذا تنازل بسرور عن اللآلئ والذهب والبيت والميراث للحصول على هذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن. وبعد أن تم الشراء كان يعتقد دواماً فيما بعد أنه هو الرابح بشراء تلك اللؤلؤة حتى ولوكان بلا بيت ولامتاع. لقد حسب كل شئ من أجلها خسارة.

عندما نطق الرب بهذا المثل الرائع العجيب لابد أنه كان ماثلا أمام عينيه شاول الطرسوسي ـ ذلك الرجل ذو التراث الدينى النفيس، المتعطش نحو الله تعطشاً قوياً جداً، الذى مر من حانوت إلى آخر وسط أديان العالم، باحثاً وراء أفضلها. لكنه إذ وجد أخيراً اللؤلؤة الكثيرة الثمن، لؤلؤة السماء والأرض والبحر، معروضة فى جمالها الرائع المجيد، ضحى بكل ما يمتلكه بسرور ليقتنيها. وفى هذه الأعداد العجيبة يحدثنا أنه حسب كل الأشياء خسارة ونفاية بجانب معرفة يسوع المسيح. آه ليتنا ندرك فضل معرفة يسوع، ونتحول عن كل شئ يحاول أن يشاركه فى قلوبنا.

لاحظ كيف يستخدم الرسول قوة المقارنة. هنالك طرق كثيرة لاظهار قيمة ما نمتلك. قد نتحدث عن ندرة وجوده، أو عن صبغته، أو نقارنه بالأشياء التى يقدرها البشر. فلنتأمل فى أنواع هذه المقارنة التى منها تتضح قيمة تلك اللؤلؤة:

(١) **معرفة المسيح وممارسة اليهودية**: لقد قارن فضل معرفة المسيح يسوع بالديانة اليهودية القديمة المقدسة. وهنا يتحدث الرسول عن اليهودية باحترام عميق وعواطف كريمة. لم تكن روحه ثائرة أو وقحة تنطق بكلمات قاسية عن تلك الديانة المقدسة التى أشبعت نفوس آبائه أجيالا طويلة، والتى كانت عزيزة لديه جداً فى بداية حياته. لم ينس قد أن أساس الديانة اليهودية قد وضعه الله عند جبل سينا، وأن طقوس خيمة الاجتماع قد رتبها الله بنفسه بكل تفاصيلها، وأن روح الله هو الذى يحرك شفاه أنبيائه، وأن ناره كانت تشتعل فى قلوب الرائين. لم ينس قط أجيال القديسين الكثيرين الذى وجدوا فى اليهودية راحتهم ووحيهم وتعزيتهم. ولهذا تحدث عن تلك الديانة القديمة بكلمات وقورة رقيقة. حتى وإن كانت اليهودية قد بدأت فى الانحلال، وإن كانت أورشليم نفسها سوف يبطش بها الغزاة بعد قليل، فقد كانت تلك الديانة لا تزال عزيزة لديه. لكنها بالمقارنة مع يسوع المسيح، ومع الفكرة الجديدة عن الله التى أتى بها يسوع المسيح، والتى فيها تمزق الحجاب ووقفت النفس وجهاً لوجه أمام الله المتجسد، فقد حسب الرسول اليهودية بكل طقوسها المختلفة خسارة.

(٢) المسيح والطقوس اليهودية: بعد ذلك قارن معرفة المسيح بفاعلية الطقوس اليهودية. فقد ذكر أولا طقس الختان قائلا: "لقد مارست طقس الختان لا في سن البلوغ كما يفعل الأممى المتهود بل فى سن الطفولة. فى اليوم الثامن أتممت الطقس، علامة اليهودية، ختم العهد". لقد احترمه ووقره كثيراً. جميل جدا أن نحترم ونوقر طقوس ديانتنا. من أجمل ذكرياتنا المقدسة التى يسرنا الاحتفاظ بها هى تلك اللحظات المباركة التى فيها نتقدم إلى مائدة الرب مع قديسيه لنتناول من جسده ودمه الطاهرين فتمتلئ قلوبنا فرحاً يسمو على كل فرح عالمى إذ نرى أنفسنا فى حضن مخلصنا. لقد كان للأسرار الكنسية قيمة عظيمة لنا. وهكذا كانت للآخرين. قال بولس: بالرغم من أننى أقدر الطقوس اليهودية، لكنها لا تقارن بالمرة بجانب المسيح الحى. إن هى إلا بمثابة القبر الفارغ الذى خرج منه، أو أكفان القبر. أما المسيح فانه حى بقوة القيامة.

(٣) المسيح وشرف المحتد: بعد ذلك قارن معرفة المسيح بشرف الحسب والنسب. كان امتيازاً عظيماً أن يختتن المرء. لكن حتى أن كان الطفل ابن أممى متهود فكان يجب أن يختتن فى اليوم الثامن أيضاً. ولذا فلم يكن الختان برهاناً على أن المرء تجرى فى عروقه دماء ابراهيم. أما بولس فيقول: لقد ولدت يهودياً، من جنس إسرائيل الذى كان رئيساً مع الله، من سبط بنيامين الذى تحدر منه شاول أول ملوك إسرائيل، والذى ظل ملتصقاً بيهوذا فى إتمام طقوس الهيكل بأمانة وولاء بالرغم من عدم أمانة باقى الأسباط،

وفضلا عن ذلك فإننى عبرانى من العبرانيين لم يختلط بأسرتى قط دم أممى.

يفخر الكثيرون من البشر بأنسابهم، ولعله كان هذا هو الحال مع الرسول. لما كان ينظر إلى روما وبابل واليونان كان يدرك أن أصله يرجع إلى ما هو فقد تحدر من ذلك الرجل الذى عبر نهر الفرات واستقر فى فلسطين كخليل الله. فيه كانت تجرى دماء موسى الذى أتيح له أن يرى الله وجهاً لوجه، ودماء يشوع الذى أمر الشمس بأن تقف دون أن تتحرك، ودماء أرميا والأنبياء. لكنه يصرخ قائلا: كل ذلك لا قيمة له بجانب المسيح. فالنفس التى وجدته قد اتصلت بأسرة أسمى، ونالت لقباً أرفع، وانتسبت لا لآباء قديسين بل للآب الأزلى الأبدى بيسوع المسيح أخينا الأعظم الذى رفع الإنسان واتحده بالله. إن شرف المحتد وسمو الحسب والنسب لا شئ بجانب المسيح.

(٤) **المسيح والفريسية**: بعد ذلك قارن معرفة المسيح بعضويته فى نظام بشرى رفيع الشأن. لقد قال أمام أغريباس "أنا فريسى". وأمام المجمع قال "أنا فريسى ابن فريسى". وهنا نراه يفخر بذلك مرة أخرى " من جهة الناموس فريسى". ينظر باحتقار إلى الفريسى فى أيامنا كممثل للكبرياء والغطرسة والرياء. أما فى أيام الرسول فكان ينظر إلى الفريسى كمن يمثل أسمى الأخلاق وكأعظم مدقق فى حياته الأدبية. كانوا حفاظ الناموس فى عصرهم الذى انتشرت فيه الإباحية. كانوا يقاومون حزب الهيرودسيين الذى

ينتمي إلى القصر الملكي، وحزب الصدوقيين المتشككين الملحدين. لهذا كانوا يعرضون عصائبهم ليبينوا أنهم يتمسكون بحرفية كلمة الله. وكانوا يبنون قبور الأنبياء ليبينوا أنهم يوقرون الماضى العظيم، وكانوا يفاخرون بالتقوى الظاهرية ليبينوا أنهم على الأقل يوقرون الله. كانت هنالك فيهم نقائص كثيرة، لكنهم كانوا يمثلون وحدة اللاهوت، قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى، يتمسكون بأدق تفسير للناموس. لكن بولس قال إن كل ذلك لا قيمة له فى نظره الآن، كان مستعداً أن ينبذ من الفريسيين وأن يعامل كقذر كل شئ. إذ وجد المسيح كان ذلك تعويضاً له عن كل الأشياء التى نظر إليها كنفاية.

(٥) **المسيح والشهرة:** بعد ذلك قارن معرفة المسيح بصيته العظيم "من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة" كان كل واحد يعرف كيف كان متحمساً جداً لليهودية ومتحمساً جداً لاستئصال المسيحية. فكان يتجول فى كل أنحاء فلسطين حاملا السيف والنار، حتى كان التلاميذ يفزعون إذا اقترب من أية مدنية اجتمعوا فيها، إذ كانوا يخشون أن يجرهم أمام المجامع ويودعهم السجن. وكم من مسيحيين خضب الأرض بدمائهم فى بداية نشأة الكنيسة. لم يترك وسيلة إلا اتخذها مهما كانت قاسية وحشية. وفى كل هذا كان يبنى لنفسه صيتاً ومجداً فى وطنه وبين أهله. ليس أمراً هينا على شاب فى الثلاثين أن يبنى له صيتاً كهذا إلا أن كان عن طريق النسب العالى أو القوة أو الثروة أو الجاه. إن بناء الصيت هو كل ما يرمى إليه المرء

ويطلبه. لكن إذ وقف بولس ليقارن بين كل إغراءات العالم وبين المسيح وهو يدعوه للصليب والآلام والتعذيب والفاقة وكل ما ينفر منه الجسد قال: لقد ارتبطت نفسى بالمسيح، وفيه ارتبطت بالآلام والأحزان والخسائر، لكننى إذ أتطلع إلى هذه أجد نفسى أننى قد عقدت صفقة رابحة، لأننى وجدت اللؤلؤة، أى المسيح.

(٦) **المسيح والاستقامة الشخصية**: ثم قارن بين معرفة المسيح وارتضائه بالحياة التى بلا لوم. "من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم"، هنالك محكمة منعقدة بصفة مستمرة، ونحن نحاكم أمامها بصفة مستمرة. نحن أنفسنا نجلس قضاة فى هذه المحكمة لكى نحكم على من هم أسمى منا، ومن هم فى مستوانا، ومن هم أدنى منا. لكننا فى ساعاتنا الهادئة نترك كراسى القضاء ونطبق على أنفسنا تلك المقاييس التى كنا نطبقها على غيرنا. فى مثل هذه الأوقات لا يمكن إلا أن نلاحظ بأن حياتنا بلا لوم ولا عيب بالنسبة لحياة الكثيرين ممن هم حولنا. ثم نبدأ بشكر الله لأننا لسنا مثل السكيرين وباقى الأشرار الذين حكمنا عليهم. وإذ نطبق على أنفسنا المقياس الذى حكمنا بموجبه على الكثيرين من زملائنا نميل إلى مدح أنفسنا ونقول: "إننى أذهب إلى الكنيسة، أدفع اشتراكاتى الشهرية أو السنوية، لا أتعاطى المسكر، لا أطلق العنان لشهوة الجسد، أضبط لسانى، لايجد فى أقرب الناس إلى إلا شخصاً محباً رقيقاً، حياتى بلا لوم". ومن ثم نستنتج بأن حياتنا مستقيمة.

هؤلاء هم الأشخاص الذين يتعذر جداً ربحهم للمسيح. إنهم محصورون ومحاطون بسلاح برهم الشخصي. إنهم راضون عن أنفسهم حتى إذا ما سمعوا أحسن عظمة ستروا أنفسهم تحت درعهم وقالوا: ما أجمل العظة لغيرنا لكنها لاتنطبق علينا. لكن عندما يستيقظ المرء فجأة ليرى أن كل ذلك لا شئ فى نظر المسيح، عندما يأتى المسيح ويسلط الأشعة الفاحصة على حياته الداخلية، عندما يبصر مجد العرش الأبيض العظيم ويقارنه بالكتان الذى انشغل فى تنظيفه سنين طويلة باهتمام زائد، وعندما يرى بأن ما كان يعتبره أبيضاً ونظيفاً ليس إلا خرقاً بالية فى نظر ابن الله، فعندئذ تبدأ أعظم معركة فى الحياة. يتمنى الكثيرون أن يضحوا بأثمن ما يمتلكون، بأنسابهم وأحسابهم، بعقيدتهم فى أنفسهم، بصيتهم. لكن إذا ما سمعوا أن برهم ليس إلا خرقاً بالية، أن السفينة التى يبنونها بأنفسهم لايمكن أن تحملهم لينجوا بها من مياه الطوفان، أن البرج الذى يبنونه لايمكن أن يثبت أمام العواصف، أن حياتهم التى يعتقدون أنها بلا لوم ليست إلا أقذاراً، عندئذ تبدأ أعظم معركة.

(٧) البر المقارن: أخيراً قارن معرفة بر الله الذى بالإيمان ببره الشخصى الذى فى الناموس. فى رسالة رومية قال الرسول بوضوح عن البر الذى بالناموس "إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها" (١٠ : ٥). إن إتمام ما كتبه الناموس فى القلب أو نقشه على الألواح الحجرية قد أشغل العقول منذ

بداية العالم وأشغل تفكير المشرعين في كل الأجيال. لكن كل الجهود البشرية في هذا الصدد عقيمة. مهما اشتدت غيرة أمثال هؤلاء لتثبيت برهم فإنهم سيتبينون أن ثوبهم الذى حسبوه رائع الجمال والنظافة ليس إلا خرقاً بالية في نور العرش الأبيض العظيم.

أما البر الذى من الله فإنه لايتطلب أى مجهود شخصى للتفتيش عنه، إذ أنه مؤسس بحكمته ومقدم بنعمته التى لا نستحقها. لا داعى للقول "من يصعد إلى السماء أو من يهبط إلى الهاوية. بل إن كلمة الإيمان قريبة منك" (رو ١٠ : ٦-٨). إن شرطه الوحيد هو فتح يد الإيمان، التى تقبل ما يقدمه المخلص المقام من بين الأموات. حالما تثق فيه النفس، وهى لاتعرف عنه فقط بل تعرفه، فى تلك اللحظة تلبس بر المسيح الذى صنعه لنا بطاعته وموته، البر الذى هو "إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو ٣ : ٢٢). لكى نربح المسيح وبره ليس علينا إلا أن نترك برنا. فإننا لن نستطيع أن نتمسك بالاثنين. لكن عندما نعزم أن نترك برنا لنقبل الآخر فاننا عند اختياره نجد أنفسنا فجأة فى المسيح لابسين ثوبه الجميل، ثوب "ذاك الذى صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢ كو ٥ : ٢١).

هل أتيت إليه؟ سوف يأتى الوقت الذى فيه توجد فى مكان ما. يقول الرسول "لكى أوجد فيه" سوف توجد عندما تحل النكبات العنيفة، أو عندما تحل تجربة محرقة، أو عندما تحين ساعة الموت. سوف توجد يوم الدينونة.

سوف توجد عندما تنحل السموات والأرض. وعندما يأتى الله لكى يجدك فأين تكون؟ هل فى ثوب برك الشخصى المهلهل، أم فى بر يسوع المسيح الكامل الذى صنعه على الصليب بالدموع والدماء، والذى يصبح ملكاً لك فى اللحظة التى توجه فيها نظرك نحوه بروح التوبة والثقة؟ ليت الله يسمح بأنه ـ عندما يأتى ـ يجدك حاملاً فى يدك اللؤلؤة الكثيرة الثمن، ولابساً ثوب بر يسوع المسيح.

(١٧)

طلبة النفس

(فيلبى ٣: ١٠، ١١)

"لأعرفه وقوة قيامته وشركة الامه متشبهاً بموته لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات".

فى هاتين الآيتين الرائعتين يكرر الرسول كلمة "قيامة" مرتين. ويقيناً اننا يجب أن نفسرها بمقتضى تعليمه المعروف الذى فيه يقرر بأن قيامة المسيح تؤثر على الاختبارات الروحية. فى الاصحاح السادس من رسالة رومية وفى الاصحاحين الثانى والثالث من رسالة كولوسى لايتحدث عن قيامة الجسد بل عن الدخول فى دائرة أوسع، من التفكير والاختبار تتركز حول الرب المقام.

بولس وقيامة الجسد: لم يشك الرسول لحظة فى قيامة جسده. كانت هذه الحقيقة وهى أنه يتبع المسيح، وأنه عضو فى جسده الرمزى، وأنه قد قدم البرهان على صدق وعمق تجدده ـ كانت هذه الحقيقة كافية لكى يتمتع بامتيازات القيامة الأولى، بغض النظر عن الامتيازات التى ضحى بها، والتى ورد ذكرها فى الآيات السابقة. إذاً فواضح أن القيامة المذكورة فى الآيتين موضوع تأملنا الآن قائمة فى الحياة المستترة مع المسيح فى الله، التى فيها متنا عن العالم والخطية ونحيا لله فى يسوع المسيح.

سبق أن رأينا أن بولس كان مستعداً أن يحسب كل شئ خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربه. وهنا يكرر نفس النغمة ويقول إنه يحسب كل شئ خسارة لكى يربح المسيح. يحدثنا أحد الشعراء فى إحدى قصائده كيف إنه يحب الأرض والهواء والبحر والسماوات التى دعاها الضواحى المزركشة للمدينة السماوية. لكنه لايمكن أن يجد فيها راحة لنفسه. ولذلك فلابد له من أن يشق هذه المظاهر الخارجية لكى يصل إلى الله ويراها فى ضوئه.

إن حصلت على كل شئ آخر سواك فماذا أنتفع
إن لم أجدك فما المنفعة من كل تعبى
ومعك لا أريد شيئاً آخر
لما تكون أنت فقط لى فماذا يعوزنى
لا أريد البحر ولا الأرض
ولا أريد حتى السماء إن خلت منك

* * *

لابد أن مثل هذه الأفكار كانت فى عقل الرسول، وهى التى مكنته من الاستخفاف بكل خسائره وتقدير أرباحه إذ تحول من العالم بأفراحه وآماله وديانته وبره إلى يسوع المسيح فرحه السامى.

والآن لنتأمل فى طلبة النفس (١) للمسيح المخلص الشخصى (٢) وقوة قيامته (٣) وشركة آلامه (٤) والتشبه بمجد قيامته.

(١) طلبة النفس للمسيح المخلص الشخصى: "لأعرفه". نحن لن نقنع بأى تعليم عن المسيح، ولا حتى بقراءة الكتاب المقدس الذى يتحدث عن المسيح من أول صحيفة إلى آخر صحيفة، ولا بأية معرفة سطحية عن المسيح. لكننا نريد أن نخترق كل الغرف الخارجية مجتازين من غرفة إلى أخرى لكى ندخل ونقف فى حضرة المخلص الحى. هذا هو امتياز كل النفوس المباركة. إنه لم يعط لهم أن يعرفوا عنه فقط بل أن يعرفوه، لا أن يقرأوا فقط عن سموه وجماله فى الكتاب المقدس المعطر بالمر والعود والسليخة المقترنة بحضرته، بل أن تكون لنا شركة مع الرسل الذين رأوا كلمة الحياة وسمعوه وشاهدوه ولمسته أيديهم.

هذا هو جوهر ولب المسيحية. تقنع بعض الديانات بطقوس مزخرفة، وكهنوت منمق، وطرق دقيقة للتعليم والإرشادات، أما المسيحى فيتميز بأنه يدخل إلى العمل، إلى معرفة المسيح.

نستطيع أن نعرفه شخصياً معرفة وثيقة وجهاً لوجه. إنه لايعيش فى أحقاب التاريخ السالفة، ولايعيش فى سحاب السماء. لكنه قريب جداً منا، هو معنا، يحيط بنا فى دخولنا وفى خروجنا، يعرف كل سبلنا. لكننا لانستطيع أن نعرفه فى هذه الحياة الفانية إلا بإرشاد وتعليم الروح القدس.

فلنسأل منه الإرشاد والمعونة.

يجب أن لا نهدأ حتى نعرفه كما نعرف أصدقاءنا، وحتى ندرك حركاته. يجب أن نعرف ـ بسرعة الإدراك ـ كل مايرضيه وكل ما يغضبه. يجب أن نعرف أين نجده، ونعرف طرق تفكيره وطرق تصرفاته، ونعرف خروجه إذ يخرج كل يوم فى كل أرجاء العالم ليشفى ويخلص. يا له من فرق عظيم بين معرفة رجل الشارع لشخص معين وبين معرفة أفراد بيته له. ونحن يجب أن نعرف المسيح لا معرفة الغريب الذى يقضى ليلته معنا، بل المعرفة الداخلية، معرفة الأصدقاء الحميمين الذين يأتمنهم على سره والذين يأكلون خبزه (مز ٤١ : ٩).

أن نعرف المسيح فى الجو العاصف، فى وادى ظل الموت، فى الشدة وفى الرخاء، أن نعرف حلاوة تصرفاته نحو القصبة المرضوضة والفتيلة المدخنة، أن نعرف رقته وقوة ذراعه ـ كل ذلك يعنى تنوع اختباراتنا. لكن كل اختبار يعكس جمال مجده ـ كأوجه المنشور البلورى ـ من زاوية جديدة.

(٢) **طلبة النفس لقوة قيامته:** إن فى يد الرب المقام من بين الأموات كل سلطان وكل قوة. إننا نذكر الجبلين اللذين التقى بهما فى حياته، الجبل الأول فى بداية حياته والثانى فى نهايتها. على الأول قدم إليه الشيطان سلطان ومجد العالم لو أنه أطاعه مرة واحدة قاصداً بذلك أن يحوله

عن الصليب. كأنه قد قال له: "يا ابن الله ليتك تطيعنى. لا داعى لك أن تجوز آلام جثسيمانى أو تتحمل جلد جباثا أو عار الجلجثة". لكن الرب لم يصغ إليه، بل نزل إلى الوادى الشائك، وجاز من الصليب إلى المجد، وهكذا استطاع أن يقول على الجبل الآخر - جبل الصعود - "دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض".

بعد ذلك بعدة سنوات إذ كان يخاطب الرب يوحنا الحبيب قال له "أنا هو الأول والآخر والحى". هنا نجد حياته تتفجر منها ينابيع الحياة الدائمة "وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين"، وهنا نجد حياته فى نصرتها على الموت، "ولى مفاتيح الهاوية والموت"، وهنا نجد الحياة منتصرة على كل القوات غير المنظورة. استمع إلى كلماته الرائعة "ثقوا أنا قد غلبت"، "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه" (رؤ ٣: ٢١).

استمداد القوة من الرب المقام: وما هى تلك القوة التى تنبعث من الرب يسوع. هو ينبوع كل قوة أبدية. "فيه يحل كل الملء". إن البطارية الكهربائية التى شحنت تواً ليست فيها طاقة مثل قوة القيامة المذخرة فى المسيح. وحالما تتحد النفس به بالإيمان الحى فكأنها قد اتصلت بالبطارية الكهربائية. وهذا ما عناه الرسول عندما تحدث عن "قوة قيامته". إنه قصد أن من يؤمن تنسكب فيه قوة الحياة الكامنة فى يسوع، وللحال يقوم من قبر

الشهوة الذى كان سجيناً فيه، ويتخلص من عبودية الفساد التى كانت قد كبلته بأغلالها. ويخرج إلى حرية مجد أولاد الله. وكما انه لم يكن ممكناً أن تمسك قيود الموت بالمسيح، هكذا الحال مع النفس التى تثق فيه، فإنها تتحرر ويطلق عقالها، وتقوم في جو جديد، وتتنفس جو الأبدية، وتنتعش بالقوات غير المنظورة، وتقابل كل مطالب العالم السفلى بحياة فائضة تحصنت ضد المرض والضعف والتجربة. وكما أن الشخص القوى السليم إذا جاز وسط ميكروبات المرض يقاومها مع انها سريعة التأثير فى الضعيف الهزيل، هكذا الحال مع النفس التى امتلأت بقوة قيامة المسيح، فإنه يعظم انتصارها وسط أعنف التجارب المنبعثة من الخارج أو من الداخل.

(٣) طلبة النفس لشركة آلام المسيح: لاحظ الترتيب الذى يضعه الرسول. إنه لايضع شركة آلام المسيح كأول ما تطلبه النفس. إنه لايتوقع أن نخرج إلى العالم جاعلين الموت والقبر هدفنا. لكن تعليمه أسمى من هذا. فهو يقول: اطلبوا أن تعرفوا الرب المقام، افتحوا له قلوبكم لكى تدخل قوة قيامته وتملأها، ولما تكونون فى ملء فرحكم فانكم لن تجلسوا لتفكروا فيما كلفتكم شركة آلامه التي اشتركتم فيها. سوف تنسي الآلام فى غمرة فرحكم كما تنسى آلام مخاض المرأة وسط فرحها لأن طفلا ولد فى العالم، كذلك سوف لاتعتبر أشد الآلام سوى كوخز إبرة بالنسبة لثقل المجد الأبدى.

كثيراً ما بدت الكآبة على وجه المسيحيين فى هذا العالم كأنهم يتطلعون إلى قبورهم كما كان يفعل المتصوفون فى القديم. والأفضل أن يسيروا فى هذا العالم طالبين أن يعرفوا قوة القيامة التى إذا ماحلت فيهم حسبوا كل شئ خسارة، بل حسبوا نفس الموت ربحاً.

شروط الحياة المقامة من بين الأموات: إن الشرط الجوهرى لمعرفة قيامة المسيح هو أن نشرب من كأس آلامه، وعلى قدر ما نشرب تكون معرفتنا. وكل خطوة نخطوها نحو الحياة المقامة من بين الأموات تزيد فى ملء كأس الآلام. قد يسئ الناس الظن بنا كما فعلوا بالسيد، قد يهجروننا كما هجروه، قد نضطر إلى مواجهة أحقادهم وضغائنهم. لكى ندخل إلى أسرار المسيح يجب أن نهجر عشرة العالم. لكى نسمو معه إلى فوق يجب أن يزج بنا إلى الأعماق. لما تكون لنا شركة مع الله وتنفتح السماء ونسمع صوت الآب وتنزل علينا حمامة الروح القدس حينئذ نقتاد إلى البرية لنواجه التجربة فى عنفها. والنفس التى تحب المسيح محبة حقيقية لاتهرب من التجربة، بل ترحب بالآلام، لأنها تدرك أن معرفة الآلام تعنى معرفة المسيح.

قال أحدهم فى هذا الصدد: "إن الديانة القليلة التضحية قليلة التعزية. ومهما كان المرء مسيحياً مخلصاً فإنه فى هذه الحالة يكون قليل السلام والفرح. فالمسيحى الحقيقى هو الذى يعرف الطريق إلى التضحية وإنكار الذات".

وما أصدق هذا القول. يقيناً أنك تستطيع أن تدرك الارتفاع إذا قست الانخفاض، وتستطيع أن تدرك مقدار قوة القيامة الكامنة فيك إذا قست مقدار معرفتك لصليب المسيح. وإن لم تعرف هذه فيحق لك أن تشك في معرفتك لتلك.

(٤) **طلبة النفس نحو البلوغ إلى قيامة الأموات**: إن الحياة المقامة من بين الأموات تتطلب معرفة كل المصالح البشرية، وتبادل الصداقة والمودة، وإتمام كل الواجبات التى تؤول إلينا. على أن الأمر يستلزم اتمامها من وجهة نظر أخرى. لقد نادى الرب المقام مريم باسمها المألوف، جلس وسط جماعة رسله المحبوبين، خرج لكى يهيئ لهم حاجتهم المادية (كما فعل فى الصباح إذ هيأ لهم سمكاً وخبزاً)، وقف من فوق عرشه ليعطف على الشهيد الأول وهو يرجم، أتى ليشجع تلميذه وهو يعمل فى مناجم جزيرة بطمس. لكن كان هنالك فارق فى كل هذه الحالات، فالرب أتى إليهم من عالم آخر لاغاثتهم. وهكذا يكون الحال معنا، فحياة القيامة لاتعنى أننا نتجاهل أية رابطة بشرية أو دعوة بشرية، بل تعنى أننا قد حصلنا على مصدر جديد للقوة التى بها نتمم كل التزاماتنا من نحو الآخرين. أما إن أصبحت دائرة حياتنا ضيقة أصبحت الحياة نفسها غير صالحة إلا إذا استمدت كل مطالبها من ينابيع حياة المسيح الدائمة. إننا نحيا لأنه هو حى (يو ١٤ : ١٩)، فحياته تحصرنا، وروحه يملأنا، ونحن فى السماء فعلاً لأنه هو فى

السماء (يو ٣ : ١٣).

إننا نستطيع استخدام قوات عالم أسمى لايستطيع الآخرون استخدامها. يستطيع المخترعون ـ من أرشميدس إلى اديسون ـ استخدام قوى الطبيعة غير المنظورة. أما نحن فنستطيع استخدام تلك القوى الروحية الكائنة فى الروح القدس. وكما يوجد فارق عظيم بين المتمدن والمتوحش، لأن الأول يستطيع استخدام تلك القوة الجبارة التى لايعرف الثانى عنها شيئاً، هكذا يوجد فارق عظيم بين المرء الذى دخل إلى قوة قيامة المسيح وبين غيره. وكما أن الكهربائية هى قوة أعظم من قوة الماء أو الغاز هكذا يستطيع المسيحى الذى يعيش فى صلة كاملة مع الرب المقام أن يستخدم قوة أعظم من غيره. فهو يعرف أسرار الله، ويطيع نواميس حياة أسمى من الحياة التى اعتاد أن يحياها. إذ بدأ يحيا حياة إنكار الذات قد بدأ يستخدم قوة الكلمة الأزلى الذى كان والكائن والذى يأتى.

(١٨)

لقد أدرك لكى يدرك

(فيلبى ٣ : ١٢)

"ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع".

يسوغ لنا مقارنة هذه الكلمات بتلك التى نطق بها الرسول أمام أغريباس "من ثم أيها الملك أغريباس لم أكن معانداً للرؤيا السماوية" (أع ٢٦ : ١٩). كانت تتضمن تلك الرؤيا انتخابه لكى يكون خادماً وشاهداً بما رأى وبكل ما سيعلن له، وتتضمن الوعد بانقاذه من الشعب ومن الأمم، والوعد بالنتائج الجليلة التى تنجم عن شهادته للأمم (أع ٢٦ : ١٦ - ١٨).

فى ضوء هذه الكلمات نستطيع أن نفهم معنى هذه الآية الرائعة موضوع تأملنا الآن.

* * *

المسيح يسوع يدرك بولس: لقد تحقق بولس من أن تجديده معناه أن الله أدركه. عندما تسمع بعض الناس يتكلمون، قد تتوهم أنهم هم الذين قد بدأوا حياتهم الروحية بأنفسهم، وأن أول اقتراب لهم من الله قد انبعث من قلوبهم، وأنهم كانوا مستقلين عنه حتى وضعوا أنفسهم اختيارياً فى

دائرة عنايته ومعونته. وهذه كلها أوهام باطلة. إن من يقول بهذا كمن يقول بأن الزهرة تبينت أشعة الشمس وحولت وجهها نحوها. إن بداية الحياة الروحية لاتصدر عن الإنسان بل عن الله. والخطوة الأولى نحو المصالحة لاتحصل من جانبنا بل من جانب الله. إن كنا نطلب الله فليس ذلك إلا لأنه يفتش عنا منذ الطفولة، وقد دبر كل دقائق حياتنا ومساكننا بحيث نسعى إليه ونجده (أع ١٧ : ٢٦، ٢٧).

ومحبة الله تتحقق فى تجديد الحياة: عندما يرجع الإنسان إلى الله فإن أول مايتحققه هو أن محبة الله لم تكف عن البحث عنه قط، سواء فى عربدته فى شبابه، أو ضلالاته فى رجولته، أو فى أعنف حالات عناده وتمرده. لاتقوم المقارنة الحقيقية للنفس بأنها محبوسة فى الظلمات التى تحاول التخلص منها، بل بأن الله يأتى إليها فى ظلمات تمردها وضلالها، ويدعوها برقة وإلحاح، ويوقظها من سباتها، ويسلط على العينين المستغرقتين فى النوم أشعة نور قوية، ويخلق فيها بكل الطرق رغبة قوية لتلبية دعوته سريعاً. نحن نحبه لأنه أحبنا أولا، ونطلبه لأنه طلبنا أولا، ونترك الكورة البعيدة لا لأن المجاعة تدفعنا لهجرها فحسب بل لأن رسائل كثيرة من بيت أبينا تخبرنا بأنه لن يهدأ له بال إلا إذا جلسنا ثانية إلى مائدته.

كما حدث لبولس: لقد تحقق من أن الله متعقب خطواته منذ فجر حياته. عندما ختن فى اليوم الثامن، عندما تربى كابن للناموس، عندما

كرس جهوده لاضطهاد الكنيسة، عندما كان يصنع لنفسه براً يرتديه أمام نور العرش الأبيض الفاحص - فى كل هذه وبكل هذه كان يقترب إليه روح الله معلماً وناصحاً ومحركا إياه لطلب اللؤلؤة الكثيرة الثمن. وأخيراً أدرك بأن محبة الله قد أدركته أو أمسكت به فى شخص المسيح فى ذلك اليوم الخالد الذى كان مسافراً فيه إلى دمشق.

أليس هذا هو التجديد؟ نحن نمسك بيد المسيح لأنه أمسك بيدنا، نحن ندرك لنحيا الحياة المثالية لأن يده قد أمسكت بنا.

عندما يدركنا المسيح فإن ذلك لقصد سام: "لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع". عندما يأتى بنا الله إلى شخصه فان ذلك لكى نحقق غرضاً سامياً وضع عليه قلبه. فى بعض الأحيان تبصر العين (كما رأى موسى فى الرؤيا) خيمة الإجتماع التى يجب أن تبنى، فتراها ماثلة بكل تفاصيلها، بأوتادها وستائرها وأعمدتها وكل دقائقها. وفى أحيان أخرى يتبين المثال خطوة فخطوة ويوماً فيوماً. فى كل صباح يقدم إلينا روح الله، فى ظروف حياتنا وفى ايحاءات قلوبنا، فقرة جديدة من القصد العظيم، ويدعونا لاتمامها. وهكذا ينمو الهيكل تدريجياً لكى يصبح مسكناً لله العظيم الأبدى.

ومهما كانت الخطة التى يتبعها الله معك، سواء كنت قد وقفت فى فجر حياتك على رابية عالية ورأيت الخطة المرسومة كاملة، أم أن عينيك قد

أمسكت بحيث لم يسمح لك إلا بأن ترى الخطة مجزأة، فثق بأن هنالك قصداً ساميا في قلبه عندما أصعدك من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام رجليك على صخرة وثبت خطواتك (مز ٤٠ : ٢).

يجب أن لانرفض إدراك ما أدركنا لأجله المسيح: فى كل حياتنا يجب أن تكون هنالك استجابة بشرية للدعوة الإلهية. فإننا لانصبح قديسين رغم إرادتنا أو مكرهين. بل يجب أن نعمل مع الله، ونتمم ما يبدأه هو فى الداخل. يجب أولا أن نكون فكرة عن الهدف الذى تهدف إليه خطواتنا، وبعد ذلك نرفع أجنحة كالنسور، نركض ولا نتعب، نمشى ولا نعيا (أش ٤٠ : ٣١). من الميسور لكل واحد منا أن يعاند الرؤيا السماوية، وأن يصمم أذنيه عن الدعوة الإلهية، وأن يتخذ السبيل المضاد. ختم الشاعر دانتى وصفه عن الشاب الغنى الذى مضى حزيناً بهذه العبارة "الرفض العظيم". لقد رفض هيرودس وبيلاطس، فيلكس وأغريباس، أن يدركوا ما أدركهم لأجله المسيح، وقد اقتفى آثارهم ربوات كثيرة.

قال أحدهم عن نفسه: "لقد كنت بليد الإحساس جداً، الأمر الذى كثيراً ماتعرض له كل واحد، بحيث أن مايحسبه لذة فى بعض الأحيان يصبح لا طعم له فى أحيان أخرى. وهذه حالة كثيراً ما تبينها المتجددون عندما اقتنعوا بالخطية لأول مرة. وجهت السؤال إلى نفسى وقتئذ: هب أن كل أغراضك فى الحياة تحققت، وأن كل تغيير تطلعت إليه قد تم فى هذه

اللحظة، فهل يبعث هذا فى نفسك فرحاً وسعادة؟ فكانت الإجابة فى الحال "لا" عندئذ تحطم قلبى، وخابت كل آمالى، وبدأت أحصر كل سعادتى فى السعى المستمر لتحقيق تلك الغاية التى لم تعد جذابة. وكيف يمكن أن تكون هنالك لذة فى الوسيلة؟ وبدا لى كأنه لم يترك لى شئ أحيا من أجله".

ولكن عندما فشلت الغايات الأرضية ألم يكن ذلك لأن الله أراد أن يقربه إليه فوضع عليه يده وطلب إليه أن يبحث عن أساس لحياته أكثر ثباتاً؟ أليس الأمر واضحاً أيضاً أنه رفض متعمداً أن يتلمس الله فيجده مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً (أع ١٧ : ٢٧).

يجب أن لانكتفى بمحصول جزئى: "ليس أنى قد نلت أو صرت كاملا" وأيضاً "أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت". عندما تطلع بولس إلى نتيجة خدمته، إلى المدن الكبيرة التى سادتها المسيحية، إلى الكنائس المزدهرة التى أسسها، إلى الرسائل التى كتبها، إلى التأثير العجيب الذى أحدثته عظاته، فإنه لابد أنه كان له الحق بأن يحسب نفسه بأنه قد أدرك. لكنه لم يفعل ذلك، لأنه كلما ازداد اقتراباً من بلوغ المثل الإلهى الأعلى تفتحت أمامه آفاق جديدة، كما يحصل لنا عندما نتسلق الجبل، فإننا كلما اقتربنا من النقطة التى ثبتنا أنظارنا فيها تبينت لنا قمم أعلى. كلما ازداد المجد الذى كان يشع من وجه موسى أسرع فى حجبه، وهكذا

كلما ازدادت النفس ارتفاعاً فى تمثلها بالمسيح ازدادت انخفاضاً فى تواضعها. عندما نرى المسيح فى مجده وفى عظمة محبته نرى أن ما بلغناه لايعتبر إلا ذرة بجانب الجبال الشامخة.

رأى مرة أحد الأشخاص صديقه ـ وكان نحاتاً بارعاً جداً ـ يبكى، ولما سأله عن سبب كآبته أجاب النحات: "أنتظر هذا التمثال، لقد تحقق فيه مثلى الأعلى، ولذلك فإننى أخشى أن أكون قد بلغت الذروة فى فنى، لأن المرء إذا ما اكتفى بحالته كف عن النمو".

قيل أيضاً عن تنيسون ـ الشاعر الانكليزى المعروف ـ إنه قضى سبعة عشر عاماً فى كتابة إحدى قصائده، وأنه كتب قصيدة أخرى خمسين مرة قبل أن يقدمها للجمهور. وقالت زوجة أحد الفنانين البارزين: "لم أر قط زوجى مكتفياً بأية قطعة فنية يخرجها". وهكذا نجد أن عدم الاكتفاء بما بلغناه أساس للتقدم فى الحياة.

ولايوجد شرط للنمو فى الحياة الروحية ألزم من الشعور بعدم الرض عن الماضي. فلنعترف بأننا لم نبلغ بعد الدرجة المطلوبة فى معرفة موت المسيح، وقوة قيامته، وموهبة الروح القدس، والخلاص من سلطان الخطية، أو التشبه بتلك الصورة الكاملة التى دعينا إليها بالدعوة السماوية. وحتى إن كنا قد حفظنا أنفسنا من خطية معينة فما أكثر التقصيرات التى ارتكبناها. إن كنا قد توقفنا عن فعل ما لايجب أن نفعله فهنالك نواح أخرى كثيرة قد قصرنا

فى فعلها.

لم ييأس بولس بالرغم من أنه لم يدرك كل الادراك: لقد عرف من قد آمن به، ولذلك قال "أسعى نحو الغرض". إن الانقباض، الذى يجعل خطواتنا بطيئة، هو من أسفل، أما التواضع، الذى يجعلنا أشد رغبة فى بلوغ القصد الإلهى، فانه من فوق. فلا تستسلم قط لروح اليأس. لاتجلس لتندب سوء حالك بسبب فشلك أو عدم كمالك كأن هذا قد حتم عليك. يمكن لله أن يصفح عن الفشل، لكنه لايصفح عن الذين تركوا دعوتهم العليا وسمحوا لأيديهم أن ترتخى ولأرجلهم أن تتخلع. أيها الجندى الصغير، امسك العلم مرة أخرى واهجم نحو القتال. ليكن الفشل فى الماضى حافزاً لك على زيادة التقدم. أذكر أن المسيح دواماً أمامك مباشرة، إن فى نعمته كل الكفاية، طالب بتحقيق وعده "تكفيك نعمتى".

ويبدو أن كلمات بولس هذه كانت تميز روحه الوثابة فى كل أيام حياته. فانه لم يسع إلى الأمام أيام التعيير والتشهير فقط، أيام سجنه والتهديد بالموت، بل حتى فى عز مجده نسمعه يردد نفس النغمة "أمتد إلى ماهو قدام". كان دواماً يمتد إلى ماهو قدام فى معرفة الله، فى الخدمة، فى تتبع خطوات الحمل الذى خرج غالباً ولكى يغلب، يمتد إلى ماهو قدام حتى يتم هدم كل حكم وكل سلطان وكل قوة، ويصير الله الكل فى الكل.

(١٩)

الى الأمام والى فوق

(فيلبى ٣: ١٣، ١٤)

"أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام.

أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع".

الدعوة الإلهية: لقد تكررت كلمة "دعوة" كثيراً فى الرسائل. "فانظروا دعوتكم أيها الإخوة إن ليس كثيرون حكماء ليس كثيرون أقوياء" (أو "فانظروا دعوتكم أيها الأخوة إنه لم يدع كثيرون حكماء وكثيرون أقوياء" حسب الترجمة الانكليزية) (١كو ١: ٢٦). "لتعلموا ما هو رجاء دعوته" أى الرجاء الذى يدعوكم إليه" (أف ١: ١٨). "الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة" (٢تى ١: ٩). "شركاء الدعوة السماوية" (عب ٣: ١). "كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد" الذى دعيتم إليه فى وحدة الروح (أف ٤: ٤). إن روح الله ينقل دواماً الدعوة الإلهية لكل نفس. هى تحوم حولك فى ذبذبات الهواء. وإذا ما توافقت أذنك معها استطعت أن تتبين بأن صوت الله الحلو الخفيف أقرب إليك وأوضح وأقوى وأشد. إن صوت الله يدعو، يدعوك أنت بالذات.

* * *

المجد الذى يدعو إليه الله: ما هو الهدف الذى يلوح إلينا به الله، والذى تلمع فوقه الجعالة فى نور الشمس، والذى تمسكه أمامنا اليد المثقوبة؟ ما هو هدف الله؟ كان الرسول فى فجر حياته يهدف إلى أن يكون أحد ربابنة اليهود أى قادتهم، أو زعيم حزب الفريسيين. كانت أمامه آمال كثيرة طالما انشغل بها عقله، ولكنه إذ كان فى الطريق إلى دمشق رأى بغتة مثلا أعلى يقدمه إليه يسوع الناصرى تضاءلت أمامه كل المثل والآمال السابقة وانقشعت كما ينقشع نور كوكب الصباح أمام نور الشمس. رأى أن فريسيته مجرد طبل أجوف وأن الميول التى ملكت عليه مشاعره لم تكن سوى مجرد قشور سطحية. ومنذ تلك اللحظة بدأ يهدف نحو قصد جديد، وكرس نفسه للبلوغ إلى المحبة التى لاتشوبها شائبة، إلى القوة والعذوبة والاقتدار والرحمة والطهارة والرقة الممتزجة بصفات يسوع، ومنذ تلك اللحظة صار يهتف قائلا: إننى أسلم كل شئ، آمالى ومطامحى ومثلى، إننى أطرحها كلها بعيداً كانسان يطرح الأقدار بعيداً، وإلى أن أموت ستكون رغبتى الملحة هى أن أحقق فى صفاتى يوما فيوماً قليلا من الجمال والمجد اللذين رأيتهما على وجه يسوع الناصرى. فلأفعل هذا الشئ الوحيد: أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا.

دعوة الله لك: إن صوت الله يناديك اليوم لكى تتمثل بيسوع، لكى تعرفه أكثر وتحبه أكثر، وتتشبه به أكثر، وتقتلع من صفاتك أحجاراً بالية أخرى وتضع مكانها أحجاراً جديدة كاملة.

إنها دعوة عليا: إنها دعوة عليا لأنها آتية من فوق، من الله وعندما نراها تكون رؤيتنا لها منبعثة من قلب الله. إنها دعوة عليا لأنها خليقة بالله. إنها دعوة عليا لأنها أسمى من كل المثل العليا البشرية. يكد البشر للحصول على الثروة، وينسون أن الأكفان لاتصنع لها جيوب. يكدون للحصول على اللذة، وينسون ان لذات هذا العالم كالثلج فوق النهر، فإنه لايظهر إلا لحظة. ويكدون للحصول على الشهرة والسيادة، وينسون انه لابد أن تأتى لحظة يحملون فيها على النعش جثة هامدة حيث يستلم غيرهم صولجان السلطة والملك. إذا ما أبصرت العين هذه الرؤيا جذبها نور أبهى من بهاء شمس الثروة، وبهاء شمس الشهرة، وبهاء شمس المناصب الرفيعة، وبهاء شمس السطوة العالمية. إن المثل الأعلى يبرق أمام كل واحد منا لكى نتمثل بالسيد، ونعرفه، ونشعر بقوة وجاذبية قيامته، ونتذوق لذة شركة آلامه، ولذة التشبه بموته، ولذة زيادة الاقتراب منه يوماً فيوماً لكى نشاهد جماله الملكى المنقطع النظير.

إنها دعوة أسمى من مطامحنا: إنها أيضاً دعوة عليا لأنها تسمو دواماً عن أسمى مطامحنا. ما أجمل تلك القصة التى تروى عن ذلك النحات العظيم الذى بعد كفاح شديد مدة سنوات طويلة صنع تمثالا كامل الاتقان بحيث لم يجد فيه أى عيب لإصلاحه. وإذ وقف التمثال تحفة رائعة، وجده صديق يبكى بجواره وهو يقول: لن أستطيع أن أصنع شيئاً أفضل، هذا منتهى ما وصل إليه فنى.

ونحن نشكر الله لأننا نستطيع أن نسعى أجيالا طويلة نحو جمال المسيح الكامل، ولن تتاح لنا الفرصة للبكاء، فالآفاق متسعة دواماً، والدعوة مستمرة أن ننسى ماهو وراء ونمتد إلى ما هو قدام.

إنها دعوة تدعونا نحو السماء: وهى أيضاً دعوة عليا لأنها تدعونا إلى حيث يجلس المسيح عن يمين الله. إنها تأمرنا أن نتطلع إلى فوق وأن نركز تفكيرنا واهتمامنا فيما هو فوق لا فيما هو على الأرض. قد يقول قائل: هذا بالأسف فوق طاقتى، فاننى لست إلا التراب والرماد، ملئ بالسقطات والضعفات، لقد حاولت مراراً ففشلت ولم يعد لى أى أمل فى تحقيقه، وإن اقناعى بالسعى نحو هذه الغاية العظمى إنما هو مجرد هراء.

لكن اذكر بأن بولس بدأ من مستوى أدنى من مستواك، فقد كان مجدفاً، وداس دم يسوع تحت قدميه. واذكر أيضاً أن هذه الدعوى العليا هى "فى المسيح". وإن كنت فى المسيح فقد وضعت قدمك على درجة السلم الأولى. وأنت لايمكن أن تكون فى المسيح دون أن يكون المسيح فيك. والله قد وضع روح ابنه فى داخلك لكى تعلن ماخفى. والله قد وهبك ابنه الحبيب لكى تتخلص ساعة فساعة من كل آثار الأنانية والخطية، ولكى يظهر فيك أمام أعين الآخرين جمال يسوع المسيح بكيفية أبرز.

* * *

(١) **كيف يتحقق هذا المثل الأعلى:** "افعل شيئاً واحداً". يقول الرسول

إننا ينبغى أن لا نكتفى بما بلغناه، بل أن نضع قلوبنا على الهدف الوحيد الموضوع أمامنا. لا يشك أى واحد منا فى أن النجاح فى الحياة لايتم بالذكاء فقط بل بالكد فى العمل أيضاً. قد يكون المرء سريع الحركة مثل عسائيل (٢صم ٢ : ١٨)، لكنه إن لم يركز تفكيره فى هدف معين، سبقه آخر أقل حركة منه لكنه أكثر تركيزاً فى قصده. إن الذى يسبق فى الميدان ليس هو الأرنب الذى يركض ثم ينام، بل السلحفاة التى تتهادى فى مشيها نحو هدف معين هذا هو الحال فى الأعمال التجارية، وفى الفنون، وفى الحرب وفى المحبة.

عون جزيل: هنالك أشخاص كثيرون فى العالم ماهرون فى أشياء كثيرة لكنهم غير ناجحين فى شئ. وهنالك أشخاص آخرون يركزون تفكيرهم فى شئ واحد وينجحون بالرغم من أنهم لايحملون نصف ذكاء منافسيهم. والشئ "الواحد" الذى ينبغى أن نركز تفكيرنا فيه ونجد فى إثره بكل اهتمام هو مثل الله الأعلى المقدم لنا فى يسوع المسيح. ومن الخير أن نعلم بأن كل حادث فى الحياة يمكن أن يساعد على تحقيق ذلك المثل الأعلى. وكما أن النحلة تجمع العسل من آلاف الزهور المختلفة هكذا نستطيع نحن أن نجمع عسل الصفات المقدسة من كل زهرة فى حديقة حياتنا. إننا نستطيع استخدام كل الظروف لكى تعيننا على التقدم فى الصفات المسيحية.

إن المنغمس في الملذات يجب أن يبتعد بعض الوقت عن ملذاته الطائشة لكي يسترد قواه المنهكة. بسبب قسوة الطقس في مدينة لندن العظيمة يهرع الناس إلى الريف أو شاطئ البحر للاستجمام. ورجل الأعمال الذى تضغط عليه أعماله بصفة مستمرة بحيث لا يستطيع أن يجد فرصة يستريح فيها من أعبائها يجد أخيراً أن قواه قد أصبحت منهارة، والطالب الذى يعصر أعصابه استعداداً للامتحان سرعان ما يهرع إلى الجبال أو شاطئ البحر بعد الأمتحان.

هل ظروفنا مساعدة؟: لكن كل شئ في الحياة يمكن أن يساعدك لتتمثل بالمسيح. في ساعات الوحدة يمكنك أن تتقدم إلى الأمام بأكثر سهولة. أما ساعات الكفاح والتجربة فهي الوقت الذى تستطيع فيه أن تتمثل بالمسيح أكثر فأكثر. عندما تصطدم بالفشل بعد مجهود شاق، عندما ينهش الناس فيك محاولين هدم اسمك، عندما تتحمل يوماً بعد يوم استهزاء زملائك، عندما يخيم على كل حياتك ظل الموت ولا تبقى فيك روح بعد، عندما تنكب بروح اليأس القاتل، عندما تجلس بجوار صديقك العزيز على فراش الموت ـ في كل هذه الظروف إذ تحس بأن هنالك شيئاً ليس حلواً أو جميلا كما ينبغي، فانك تستطيع أن تنتهز الفرصة لكي تتمثل بربك أكثر فأكثر.

إن الأشخاص الذين يعملون شيئاً واحداً في العالم هم الذين يرجى لهم

النجاح. تذكر قصة ديموستينوس أعظم الخطباء الذى صمم على أن يصلح عيباً ما فى كلامه وذلك بالتكلم أمام عجيج البحر واضعاً بعض حصوات فى فمه. إن الناس الذين يحصرون كل جهدهم فى شئ واحد هم الذين ينجحون فى إتمامه. آه ليتنا نستطيع أن نقول: إن أتت الشدة أو الرخاء، الفشل أو النجاح، الشمس المشرقة أو السحب الكثيفة، فاننا لن نهدأ نهاراً أو ليلا، بل نسعى بصفة متواصلة نحو هدف التمثل بالمسيح لكى يتذكره الناس فينا.

(٢) واجب النسيان: "إن أردنا التقدم إلى الأمام يجب أن نتعلم بأن ننسى. كلنا مجربون بأن نعيش فى الماضى، أن نتطلع إلى النجاح الذى سبق أن أحرزناه كأننا لن نصل إليه ثانية، أن نقول: "لن يتاح لنا بأن نفعل مثل ذلك الخير ثانية، أو نصل إلى مثل ذلك الارتفاع، أو نرسم مثل تلك الصورة الجميلة، أو ننحت مثل ذلك التمثال الرائع". هذه أوهام قاتلة. لاتقف قط عند حد ما أحرزته فى الماضى بل إنسه. انس السعادة التى ملأت قلبك عندما تقدمت لأول مرة للتناول من جسد الرب ودمه، أو عندما ألقيت أول عظة. انس نجاحك فى أول مجهوداتك. لاتنظر إلى هذه كأنها هى أسمى ما يمكن أن تصل إليه. لاتنظر إلى الوراء لئلا تتحجر مثل امرأة لوط فتعجز عن التقدم.

انس براءة طفولتك. لاتقل مع من قال إنى أذكر البيت الذى ولدت

فيه، ثم تختم قولك بأن تندب حظك لأنك كنت أقرب إلى السماء لما كنت صبياً مما أنت عليه الآن. إن براءة الطفولة طيبة، لكن الطهارة أطيب. إن نوم الأطفال جميل لكن نوم الرجل بعد الكفاح أجمل. ليكن هدفنا ليس البراءة التى لاتصطدم بالتجارب بل القوة التى تأتى بعد نصرة الكفاح.

يجب أن ينتفى التفكير السقيم فى الماضى الأثيم: لاتطل التفكير فى الخطايا الماضية. عندما يأتى الشاب إلى كاهن الاعتراف بعد أن أن تكون الخطية قد أظلمت كل حياته فان الكاهن الحكيم يقول له: "يا ابنى إننى أريدك أن تنسى الماضى"، ثم يحاول أن يمحو من ذاكرته كل آثار خطاياه الأثيمة. وعندئذ يقفز الشاب من ذلك الماضى الملوث، ويخطو نحو حياة جديدة بفضل تلك العناية الرقيقة.

أذكر غفران الله: قد تكون هنالك أمور فى ماضى حياتنا نخجل منها، وتتعقبنا، وتفت فى عضدنا. لكننا إذا كنا قد سلمناها لله بالاعتراف والإيمان فانه قد غفرها ونسيها. إذاً فانسها، وأنس ما بلغته فى الماضى، انس براءة الطفولة، انس الخطية التى لطخت ذاكرتك، وتقدم إلى الأمام لكى تدرك جمال يسوع. لاتكتف بأقل من ذلك. ومن اللازم جداً أن لاتسمح لنفسك بعدم الاعتراف حتى بالهفوات والتقصيرات. كثيراً ما نقول لأنفسنا: "نعم لقد فشلت فى هذه الناحية فلا بأس. لكن عوضاً عن هذا ينبغى أن نعترف لله وللكاهن بهذا الفشل ونقول: "سأحاول أن لا أفشل مرة أخرى"

سأتشبه بالمسيح، سأكون طاهراً مثله، سأكون رقيقاً وحلواً كما كان المسيح. يا إلهي اننى أسمعك تدعوني، اننى أسمعك تدعوني، لهذا سأقوم وأصعد إلى قمة الجبل. لن أترك نفسي يوماً ما دون أن أرى أننى قد اكتسيت في قلبي وحياتي جمالا جديداً من جمال المسيح، وذلك بقوة روحك القدوس".

هنالك جعالة: "أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا" وما هي هذه الجعالة؟ هل هي السماء؟ كلا، فهذه قد ضمنت باستحقاقات الرب يسوع. هل هي العرش أو التاج؟ كلا فهذان هما هبة النعمة المجانية. إذاً فما هي هذه الجعالة؟

إن الله يدعونا نحو هدف معين، لكن هنالك جعالة (جزاء أو مكافأة) وراء هذا الهدف وعلاوة عليه. وما هي؟ هي الغبطة. عندما نتمثل بالمسيح تحل الغبطة. عندما ننتصر على تجربة ما يوجد هنالك شعور بالغبطة. عندما نجوز ساعة المحنة ونخرج منها دون أن يلوث الضمير أو يخدش نشعر في نفوسنا بالفرح والحبور. عندما نزداد سمواً وارتفاعاً وانتصاراً على أنفسنا عندئذ نشعر بالسلام.

هل اختبرت هذا؟ عندما تتمم شيئاً كنت تعتقد انه يستحيل عليك إتمامه، عندما تقدم تضحية كنت تتوهم انها مستحيلة، عندما تؤدي عملا نبيلا كنت لاترى فيه شيئاً من النبل أو الجمال، يحل فيك شعور داخلي

مبهج. ويعجز المرء عن وصف هذا الشعور. هل هو جمال كجمال الزهرة؟ هل هو.بشر كالذى يرتسم على الوجه فى حالة الصحة؟ هل هو. قبلة الله؟ هل هو "نعما أيها العبد الصالح والأمين"؟ هذا هو ما يستحق أن نحيا من أجله. هذه الجعالة يمكن الحصول عليها هنا وليس فى العالم الآخر فقط. فى كل ليلة ـ بعد أن نقضى نهاراً كهذا نشعر، ونحن نضطجع على فراشنا، كأن الله وضع فى قلوبنا جوهرة هى جزء من جعالتنا، ومن مجموعة هذه الجواهر يتكون فرح الفردوس.

(٢٠)

ماذا تدركه الحياة المسيحية

(فيلبى ٣: ١٥، ١٦)

"فليفتكر هذا جميع الكاملين منا. وإن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً.

وأما ما قد أدركناه فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفتكر ذلك عينه".

توحى إلينا هاتان الآيتان أن هنالك اختلافاً فى مقدار ما يدركه المسيحيون. ولإيضاح هذا ـ لبعث الهمة فى نفوس المتقاعسين فى طريق القداسة ـ يمكن القول إن هذا الاصحاح يعتبر بمثابة منزل كبير مقسم إلى سبعة أقسام يؤدى كل منها إلى الآخر، كما هو الحال فى القصور الفخمة. ليت روح الله يعيننا على أن نتبين الغرفة التى نحن فيها فعلا، وإذ نتبينها نتقدم إلى تلك التى تليها.

(١) **غرفة خلع الملابس**: "من جهة الختان مختون فى اليوم الثامن من جنس اسرائيل من سبط بنيامين. عبرانى من العبرانيين. من جهة الناموس فريسى. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم. لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة" (ع ٥ – ٧). في غبش نور الفجر نرى هذا الشاب الفريسى مزيناً بكل أنواع الملابس الفاخرة. كان يعرض عصائبه، ويعظم أهداب ثيابه حاملة آيات من

الكتاب المقدس، وحول عنقه الخيط المقدس معلناً بأنه ابن الناموس، وفوق هذه ثوب الغيرة المتأججة، وفوق هذه أيضاً ثوب يعلن أنه بلا لوم، هو "دبز الناموس" الذى فيه يحسب نفسه أنه بلا لوم. وعلقت على جدران الغرفة المرايا المصقولة، وإذ يتطلع إلى ثيابه فى هذه المرايا فى النور الخافت يتوهم نفسه انه مزكى لا فى هذا العالم فحسب بل فى العالم الآخر أيضاً. كل هذا رآه لأن النور كان باهتاً جداً، ولو أنه كان أكثر ضياء لرأى أفخر ثيابه ملوثة دنسة.

السائحان: وصف يوحنا بنيان مثل هذا المرء بأنه جاهل. لعلك تذكر كيف تحدث السائحان المتقدمان فى الأيام مع الشاب المفتول العضلات إذ كان يسير يجانبهما. لقد وجها إليه السؤال:

ـ كيف سيكون مصيرك عند البوابة؟

ـ سيكون مصيرى كمصير باقى الناس.

ـ ماذا تظهره لكى تنفتح لك البوابة عندما تتقدم إليها؟

ـ إننى أعرف إرادة ربى. لقد عشت حياة طيبة كل أيامى. ادفع لكل امرئ حقوقه. أصلى وأصوم بصفة مستمرة. أتصدق على الفقراء. قلبى طيب ولن أصدق انه شرير كما تقولان.

اختبارات يوحنا بنيان: ويصف يوحنا بنيان هذه الحالة بعد ذلك فى

كتابه "النعمة المتفاضلة" بقوله:

الآن أحيا حياة مباركة، حياة أمينة، ومع انني قبل الآن كنت مرائياً مسكيناً إلا انني كنت أفخر بتقواى. اتخذت كتابي المقدس وبدأت أتلذذ بقراءته سيما الأجزاء التاريخية. أما رسائل بولس والأسفار المماثلة فلا أجد فيها لذة، إذ إما انني أجهل فساد طبيعتي، أو أجهل رغبة يسوع المسيح في أن يخلصني. لم تدخل حقيقة تجديد الحياة قط إلى عقلي. ولا عرفت تعزية كلمة الله ومواعيده، ولا خداع قلبي الشرير. ولا فكرت في أفكار قلبي الخفية.

خلع بر الناموس: وإذ نقف متطلعين في هذه الغرفة يزداد ذلك النور الباهت قوة، وفي ضيائه يتفرس ذلك الشاب الفريسي في المرايا المحيطة به، فيطرح عنه أولا ثوب بر الناموس الذي كان يرى نفسه ثوب الفريسية، ثم يطرح عن نفسه اتكاله على الطقوس اليهودية. وبعد أن ينزع عن نفسه ثوباً بعد ثوب، إذ يبين له النور الساطع قذارة ثيابه ودنسها، فإنه يطأها تحت قدميه ويحسبها نفاية وأقذاراً. انه يفزع جداً إذ يتذكر بأنه لو لم يعرف النور الذي انبعث من الرب المقام لكان قد تقدم ليواجه العرش الأبيض العظيم، وعندئذ فقط كان قد أدرك خطأه

هل دخلت هذه الحجرة؟ هل جلست تحت نور الله حتى كرهت ذاتك؟ هل أتيت لترى مع القديس أوغسطينوس أن الأعمال التي كنت

تفخر بها إنما هى خطايا شنيعة؟ هل تحققت أن برك ـ بدون بر المسيح ـ إنما هو خرق بالية مهلهلة؟ أيتها النفس، انك لا محالة هالكة مثل ذلك الشاب "الجاهل" الذى حمل إلى جهنم وهو على عتبة السماء، الا إذا وقفت أنت أيضاً فى نور الله الفاحص الذى يبين لك انه لايكفى شئ سوى مجرد الإعتماد على بر ابنه.

(٢) غرفة إرتداء الملابس: "وأوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالإيمان" (ع ٩). قال يوحنا بنيان: "إذ كنت أمر فى الحقل يوماً ما دب فى قلبى الخوف. خفت لئلا أكون منحرفاً فى كل تصرفاتى. وبغتة مرت بخاطرى هذه العبارة "إن برك فى السماء". ثم رأيت أيضاً ان الذى جعل برى أحسن ليست هى طيبة قلبى، وأن الذى جعل برى أسوأ ليس هو فساد قلبى، لأن برى هو يسوع المسيح نفسه، الذى هو أمساً واليوم وإلى الأبد".

فى هذه الغرفة، غرفة ارتداء الملابس، نرى أن النفس التى جردت نفسها من الإتكال على ذاتها، على إحساساتها، على ميولها الطيبة، على صدقاتها وصلواتها، وطرحت كل هذه جانباً، قد قبلت من يد الله براً كاملا، البر الذى من الله بالإيمان، ثوباً نسجته يد المسيح، براً اشتراه بدمه، وتقدمه يده ليد الإيمان المفتوحة.

هل تحققت من هذا؟ هل بلغت إلى هذا؟ هل ارتديت هذا؟ لأنه لن

ينفعك شئ فى الموت وفى الدينونة وفى الأبدية سوى أن تكون مرتدياً بر المسيح الكامل الذى بلا لوم، المسيح الذى صار خطية لأجلنا، وهو لم يعرف خطية، لكى نصير نحن بر الله فيه.

(٣) غرفة الشركة الكاملة مع يسوع: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (ع ١٠). إذ نتطلع إلى هذه الغرفة نجد بجانب مدخلها ثغرة كفتحة القبر، تبدو كأن قبراً نحت فى أرضية الحجرة الحجرية، وبالقرب منها مائدة أعد عليها جسد الرب ودمه، وعلى الجدار علق صليب ثقيل وسوط واكليل شوك. ولذلك فقد تبدو الغرفة كريهة لولا نور سماوى يسطع على اكليل الشوك، وإذ نتطلع يبدو كأنه مرصع بالجواهر، كأن الياقوت الأصفر واليشب والزمرد وكل أنواع الحجارة الكريمة قد نثرت وسط الشوك وامتزجت بكيانه.

على كل نفس أمينة مخلصة أن تدخل هذه الحجرة كل يوم. وطالما كنا فى هذا العالم فعلينا أن لانفارقها. بل لنلجأ إليها بصفة مستمرة لكى نعرف المسيح وقوة قيامته.

يبدو أن ترتيب هذه الآية معكوس بالنسبة لاختبارنا. فإنها تبدأ بمعرفة المسيح ثم تنتقل إلى قوة قيامته، ثم إلى شركة آلامه، وأخيراً إلى التشبه بموته..

التشبه بموت الرب: لقد سار الكثيرون فى ترتيب معكوس فبدأوا بالتشبه

بموته. هل تدرى معنى الاضطجاع فى قبر المسيح إلى أن تخمد أصوات غوغاء العالم ويخفت صوت الشهوة، إلى أن تتحقق من أن العالم صغير جداً وأن الأبدية واسعة جداً؟ هل بلغت هذا الحد؟ هل تشبهت بموته؟ ماذا كان ذلك الموت؟ من ناحيته القانونية كان كفارة عن الخطية البشرية. لكنه من الناحية البشرية الشخصية هو إخضاع كل الميول الطبيعية إخضاعاً كاملا لإرادة الله وناموس الله، هو الميل للحياة، الميل للحب، الميل للصداقة البشرية. وان كان الرب يسوع المسيح لم يطلب مشيئته يوماً ما بل مشيئة الآب، إن كان لم يسمح لنفسه بتحويل حجارة الصحراء خبزاً لإشباع جوعه لأن ذلك لم يتفق مع إرادة الآب، فخليق بنا أن لانسمح لأنفسنا حتى بالأمور المشروعة الطبيعية إلا إذا كانت تتفق مع إرادة أبينا السماوى. ان سرنا وفق هذا المبدأ وهو اخضاع كل شئ لإرادة الآب فإننا سنصل حتما إلى الصليب، ومن الصليب يبرز تاج النصرة. حينما تتشبه بموته، وتأكل جسده وتشرب دمه، فإنك عندئذ تنتقل إلى معرفة قوة قيامته.

لكن العكس صحيح أيضاً كما رأينا، وطوبى للذين اختبروا هذا. انهم يبدأون بمعرفة المسيح معرفة وثيقة، ويدركون بأنهم يسلكون معه لابقوة مواهبهم الطبيعية بل بقوة قيامته. من روح القداسة الذى أقام ربهم من الأموات يعمل نفس العمل معهم. فهم يختبرون القوة الجبارة المنبعثة من الرب المقام من بين الأموات، وفى قوته يحيون الحياة الممجدة. لكنهم إذ يفعلون هذا يصبحون مبغضين من إخوتهم. وكما أبغض الناس قيماً هكذا

يبغضون أهل بيته ويقاومونهم مقاومة عنيفة. وللحال يتقدم الوحش الصاعد من الهاوية ويصنع معهم حرباً ويغلبهم ويقتلهم، وتكون جثثهم على شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحياً سدوم ومصر حيث صلب ربهم أيضاً. ولكن بعد ثلاثة أيام ونصف يدخل فيهم روح حياة من الله فيقفون على أرجلهم ويسمعون صوتا عظيما من السماء قائلا لهم "اصعدوا إلى ههنا" (رؤ ١١ : ٦ - ١٢). إنهم يعرفون شركة آلام المسيح، ويتشبهون بموته، ويبلغون إلى قيامته. إنهم يشربون من كأسه، ويصطبغون بصبغته، وهكذا يجلسون على عرشه.

(٤) **غرفة السعي العظيم**: "أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ماهو وراء وأمتد إلى ماهو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع" (ع ١٣، ١٤). فى هذه الغرفة توجد صور متعددة عن مرتفعات شاهقة وقمم مرتفعة استطاع أشخاص آخرون الصعود إليها. وحولها جوائز ربحت فى الميدان بعد كفاح ناجح موفق. وعلى كل جانب آثار إتمام الكفاح. وفى وسط راية عجيبة الصنع مطوية كأنها مهيأة للنشر، وقد كتب عليها "إلى الأمام". إذاً فكل ما ينم عن أعمال تمت فى الماضى يعتبر كخطوة ابتدائية تتطلب مواصلة السعى. وتترك النفس وراءها ـ كمجرد ذكريات ـ كل ما بلغته فى الماضى مهما كان عظيما وجميلا فى حد ذاته، لأنها ترى أمامها قمما أعلى. هل هذه هى وجهة نظرك؟

هل نسيت بعض الأشياء؟ هل تعلمت أن تنسى؟ هل تعيش على مناعيك السابقة بفشلها أو نجاحها؟ إن واحداً من هذه المَساعى قد يفت في عضدك. يجب أن تنسى حتى خطاياك لأن الله ينساها قائلا جاهد ثانية. يجب أن تنسى برارتك. برارة طفولتك. فالطهارة الممحصة بالنار أفضل. يجب أن تنسى أيضاً مثلك العليا التى أدركتها. يجب أن تنسى الأشياء التى صارت عزيزة عندك لكنها عطلتك ونشبت فيك أظفارها لتعطل تقدمك. يجب أن تنسى كل هذا وتعترف من اليوم بأنك لم تدرك شيئاً. لم تصر كاملا بعد. بل إنك ستبدأ فى الصعود إلى أسمى قمم الجبال العالية، قمم لتشبه بالمَسيح. اعمل دائماً كل ما كان يمكن للمسيح أن يعمله لو أنه كان فى مركزك. سائل نفسك دائماً "ماذا يمكن للمسيح أن يعمله لو كان فى مركزى".

(٥) **غرفة العطف والإشفاق**: "لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً اذكرهم أيضا باكياً وهم أعداء صليب المسيح. الذين نهايتهم الهلاك. الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم الذين يفتكرون فى الأرضيات" (ع ١٨، ١٩). هنا نجد قارورة دموع حفظت فيها دموع المسيح مع أنها منذ ذلك الوقت قد تحولت إلى لآلىء تلمع فى تاجه لكن قارورة الدموع هذه قد حفظت لدموع أولئك التلاميذ الذين تعلموا عطفه وإشفاقه، لأنه كما بكى الفادى هكذا لايزال المفديون يبكون. وفى بكائهم يقولون عن الآخرين إنهم "أعداء صليب المسيح". ليت هذا العطف يدر

الدموع من أعيننا كينابيع. الله لايسمح لنا أن نعيش في عالم كهذا دون أن نبكي على أعداء لصليب. ويجب أن نذكر هنا أن أعداء الصليب المشار إليهم هنا ليسوا هم الذين رفضوا المسيح بل هم الذين قبلوا المسيحية وتبدو عليهم صورة التقوى لكنهم في قرارة أنفسهم وفي حياتهم ينكرون الرب الذي اشتراهم.

(٦) **غرفة الرجاء المنتظر**: "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح" ع ٢٠. لهذه الغرفة نافذة تطل ناحية الشرق وهي موضوعة في وضع بحيث تصعب رؤية النهر، لأن المنظر كائن عبر النهر، منظر الأفق الجميل البديع. والنفس التي قد انتقلت من الدرجات الأولى تقف فاتحة عينيها تنتظر الفجر بينما يطلع في الجو كوكب الصبح المنير. "ننتظر مخلصاً". والنفس التي نالت الخلاص هي التي تنتظر المخلص. لقد خلصنا من غضب الله. إننا نخلص يوماً فيوماً من سلطة الخطية. لكننا ننتظر ذاك الذي سوف يظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه (عب ٩ : ٢٨).

(٧) **غرفة الانتظار الواثق**: "فالذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ" (ع ٢١). "يخضع" تأمل في هذه الكلمة. إن ذاك الذي رأيناه يَخضع في الإصحاح الثاني نراه الآن يُخضع. إذاً فيجب أن تَخضع قبل أن تُخضع.

١ – يجب أن ننتظر بثقة تلك اللحظة التى فيها يتغير جسد تواضعنا من الفساد إلى عدم فساد، من الفناء إلى خلود إذ يتجدد إلى شبه جسد مجده فيصبح أثيرياً قوياً غير قابل للتعب بل أداة مكملة لطبيعة مكملة، ذلك الجسد الذى كان فيما قبل يحد نشاطنا ويعرقلنا فى عملنا، الذى كان يجوع ويعطش، يخور ويتعب، الذى قد ضعفت عيناه، وارتعشت ركبتاه، وارتخت يداه.

٢ – لكننا ننتظر ما هو أكثر من ذلك. أيها الموت إنك سوف تخضع، أيها القبر إنك سوف تخضع. أيتها الخطية، والأحزان، والآلام والشرور، إنك سوف تخضعين. سوف يأتى الرب لإخضاعها كما نتوقع واثقين. هذه الغرفة تضم تحفاً من الفن الرائع مذكرة بالماضى العظيم. فهذه هى صورة انهزام فرعون وتلك هى صورة خراب مديان، وتلك هى صورة غلبة جنود الأشوريين الذين هددوا حزقيا بوقاحة. وهنا نجد الصليب والقبر الفارغ اللذين يرمزان إلى نصرة ابن الله على العالم والجسد والشيطان. نعم إنه سوف يغلب، وهذا هو امتيازه. سوف يخضع لنفسه كل شئ. هذا هو وعد الآب. سوف تصير ممالك هذا العالم لإلهنا ولمسيحه، وهو سيملك إلى الأبد. فلنقل تعال يا يوم الله هذا سريعاً.

(٢١)

مواطنو السماء

(فيلبى ٣: ١٧- ٢١)

"كونوا متمثلين بى معاً أيها الأخوة. ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة.

لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم أيضاً باكياً. وهم أعداء صليب المسيح.

الذين نهايتهم الهلاك. الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم. الذين يفتكرون فى الأرضيات.

فان سيرتنا نحن هى فى السموات. التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح.

الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ".

إن الكلمة اليونانية المترجمة هنا بكلمة "سيرة" تشتق منها الكلمات "سياسة، سياسى، رجل الشرطة" وما إلى ذلك، كما رأينا فى الحديث عن (ص ١ : ٢٧). ولعل أفضل ترجمة لها "وطن". يمكن تفسير الفقرة الأولى هكذا: "كونوا مواطنين حقيقيين فى مملكة الله، لتكن حياتكم متفقة مع

دعوتكم العليا كمواطنى أورشليم الجديدة". ويمكن تفسير هذه الفقرة هكذا: "إن وطنكم هو فى السماء".

هذا هو الرأى السائد فى كل الكتاب: "ولكنهم الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً" (عب ١١ : ١٦). "المدينة التى لها الاساسات التى صانعها وبارئها الله" (عب ١١ : ١٠). وحتى الآباء البطاركة الأولون رأوا من بعيد القصور الشامخة فى تلك المدينة السماوية وحيوها. ويتخذ الرسول نفس الاتجاه إذ يقول "لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب ١٣ : ١٤).

* * *

وطننا فى السماء: إن أردنا التمثل بقديسى الأيام السالفة وجب أن نعتقد بأن وطننا فى السماء. ليس أمراً غريباً أو مستحدثاً أن يكون المرء مواطن مدينة لكنه يعيش فى مملكة أجنبية. فى هذه الأيام الحاضرة، التى تبعثر فيها الناس بكيفية واسعة فى كل أرجاء العالم، يمكن أن يوجد الكثيرون من مواطنى مدينة لندن فى الهند وبورما واستراليا للإقامة المؤقتة. وهكذا تجدهم يعيشون غرباء فى المكان الذى استقروا فيه، لكن قلوبهم تتعلق بالمدينة التى خرجوا منها.

وما يقال عن تغربنا هنا كان ينطبق على يسوع المسيح الذى قال عن نفسه "الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء" (يو ٣ : ١٣)

أى أنه أثناء حياته على الأرض اعتبر أن توطنه فى مدينة أبيه ظل مستمراً، وأن إقامته ثلاثين سنة بين الناس لم تجعله مواطناً للأرض. يضاف إلى هذا أنه أثناء إقامته على الأرض كان بلاهوته يملأ الأرض والسماء.

لقد أتى ابن الله ليفتقدنا فى تواضع عجيب ويزورنا. وفى أربعة مواضع من الأناجيل وصفت حياة الرب على الأرض بأنها "افتقاد" أى زيارة (أنظر لو ١ : ٦٨، ١ : ٧٨، ٧ : ١٦). فى كل الوقت الذى كان فيه بين البشر كان مواطناً لتلك المدينة السماوية، ولذلك ولد فى مذود مستعار، ودفن فى قبر مستعار، ولم يكن له أين يسند رأسه، وعندما مضى كل واحد إلى بيته مضى هو إلى جبل الزيتون (يو ٧ : ٥٣، ٨ : ١). وهكذا اعتبر كل الآباء أنفسهم غرباء على الأرض.

يجب أن يتمثل المرء بالرب: قالت إحدى السيدات: "ليس المسيحى إنساناً واقفاً على الأرض يرفع نظره إلى السماء، بل هو إنسان فى السماء يخفض نظره إلى الأرض، ويعتبر نفسه غريباً حقاً كل أيام حياته". وإن وجهة النظر هذه تجعله فى صراع دائم مع أهل هذا العالم، لأنه عندما يردد قول الرب "لست من هذا العالم. أنا من فوق. أنتم من أسفل" (يو ٨ : ٢٣) فانهم يصرون أسنانهم عليه ويخرجونه خارجاً كما فعل مواطن "مدينة الأباطيل" مع المسيحى ورفيقه فى كتاب "سياحة المسيحى". قال أحدهم "لا ينتظر من أهل هذا العالم أن يدركوا الحياة المسيحية، فإنهم لم يروا المدينة

السماوية قط، ولذلك يجهلون نوع الحياة ونوع الحديث فيها". إن العالم لا يستطيع أن يعرفنا لأن لغتنا وأحاديثنا وملابسنا وطباعنا وطرق حياتنا تختلف كل الاختلاف عما يألفه فى حياته الاجتماعية. إن رحب بك أحد أبناء العالم كواحد منهم فسائل نفسك لتتأكد إن كنت حقاً أحد مواطنى أورشليم الجديدة.

* * *

هذه الرعوية هى حق مكتسب بالميلاد: كانت لحظة خالدة عندما تخلص الرسول من أعدائه إذ بين حقه فى أن يحاكم دون أن يجلد بسبب رعويته الرومانية. ولما علم قائد المائة حقيقية الأمر تقدم إليه مسرعاً وسأله "أنت رومانى؟ أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية". فأجاب الرسول "أما أنا فقد ولدت فيها. لقد ولدت ولى حق هذه الرعوية" (أع ٢٢: ٢٤ - ٢٩).

نعم إن الإقامة ألف سنة فى السماء لن تجعلنا مواطنين لأورشليم الجديدة أكثر مما يحصل فى اللحظة التى فيها نولد من فوق. وبالرغم من أننا لانزال نعيش فى هذه الناحية من الحجاب الذى يفصل بين العابر والدائم، بين الموقت والأبدى، بين المنظور وغير المنظور، إلا أننا حالما نتجدد بالروح القدس نصبح منذ اللحظة الأولى من حياتنا الجديدة من مواطنى أورشليم الجديدة، ونمنح امتيازاتها، وتكتب أسماؤنا فى قائمة مواطنيها.

وبالرغم من أننا لا نعطى الامتياز كاملا، ولا نتمتع بكل ما ينتظرنا، إلا أننا نعطى الحق للدخول إلى المدينة من بابها. قد لاتجد فائدة كبيرة من هذه التأملات الآن، لكننى أتوسل إليك أن تتأمل فيها بضع دقائق كل يوم، وعندئذ تجد أن هنالك قوة تتزايد كل يوم لتفصلك عن أمور هذا العالم وتتحدك بأمور العالم العتيد، وتجد نفسك مدفوعاً بأن تحصر أشواقك فى تلك المدينة التى تنتمى إليها وتكنز كنوزك هناك حيث لايفسد سوس ولا صدأ، وأن تضبط سلوكك بحسب قوانين تلك المدينة. إن كل شخص متجدد قد حصل على امتيازات مدينة الله.

* * *

إن التبعية لتلك المدينة يجب أن تبعث الفرح والفخر: كانت أثينا فخراً لبلاد اليونان، وبالرغم من أن الولايات والمدن الأصغر كانت فى نزاع مستمر مع بعضها فقد كان كل يونانى يفخر بجمال اثينا المنقطع النظير وثقافتها الفذة. وكان مواطن روما إذا ما سافر إلى مسافات بعيدة يعتبر نفسه أقوى وأمجد رجل إذ كان يستطيع أن يقول "أنا رومانى". ونحن إذا استطعنا أن نرى الأشياء على حقيقتها، ونتحرر من حبائل الماديات، فلن يوجد ما نفخر به أكثر من تبعيتنا لذلك الوطن الذى يضم جميع النفوس الطاهرة المقدسة من كل الأجيال، والذى سوف يبقى إذ تختفى كل المدن والعروش والممالك كما تختفى فقاقيع المياه.

يتحدث الناس عن روما الخالدة. وهذا لقب غير خليق بها. فهنالك مدينة واحدة خالدة لأن أساساتها لن يتسرب إليها الوهن بسبب الثورات أو التغيرات، ولأن أسوارها قد أسست على عهد حق الله الأبدى، ولأن قوانينها وأحكامها مؤسسة على مبادئ الحق الأبدى. يخرج الملائكة من أبواب هذه المدينة إلى كل أرجاء الكون، لكنهم يعودون إليها باعتبار انها هى محور (عاصمة) الحياة. إليها يأتى ملوك العلم والأدب والموسيقى والفن بكنوزهم. فيها يجد قديسو كل الأجيال وطنهم. نورها أقوى من نور الشمس ليس فيها هيكل لأن الله هيكلها. نهرها هو روح الله القدوس. زهورها لاتذبل، وشوارعها من ذهب. أسوارها من حجر اليشب، وأبوابها من اللؤلؤ، والله نفسه هو مهندسها وملكها. ومن ذا الذى لايفخر بحق أن ينتمى لمدينة كهذه. انتصر الغوط على الامبراطورية الرومانية من أجل الله وانقضوا عليها كجبل عات آت إليها من عالم آخر. ولقد سهل عليهم الانتصار انهم لم تغو قلوبهم بإغراءاتها. ومن ذا الذى يغلب العالم إلا من له إيماننا، الإيمان الذى يفصلنا عن هذا العالم لأنه يتحدنا بغير المنظور الأبدى، وذلك بالمسيح؟ لن تستطيع كنيسة الله الانتصار على عالم إن كانت جزءاً منه، لكن النصرة ميسورة فقط عندما تتقدم إلى العالم من دائرة أسمى منه معتقدة أن مدينتها قائمة وراء الكواكب.

* * *

يجب أن نسلك كما يحق لها: يقول الرسول إنه كان هنالك وقتئذ قوم اعترفوا بالصليب لكنهم صاروا "أعداء الصليب". لم يزعج فولتير وبين وأمثالهما ديانة يسوع المسيح بقدر ما أزعجها أولئك الذين ادعوا المسيحية وحملوا اسم المسيح لكنهم كانوا خلواً من نعمته وقوته. يقول الرسول إن أمثال هؤلاء يفتكرون فى الأرضيات. لقد خلقوا ليقفوا أمام الله كملوك، لكنهم بصفة دائمة يتأصلون فى الأرض كالخنازير. ومطامعهم محدودة بحدود الزمن والحس. إنهم يفخرون بما يجب أن يخزوا منه. إلههم بطنهم والهلاك نهايتهم.

يروى عن رجل ثرى أنه أخذ صديقه وطاف به فى منزله الفخم الذى كانت فيه غرفة فسيحة كرست ككنيسة. أما الضيف، الذى لم يكن يفكر سوى فى الأرضيات، فقال حالما دخل الكنيسة: "إن هذه الغرفة تليق جداً بأن تكون مطبخاً فاخراً". فأجاب صاحب البيت "أنت مخطئ. ليس هذا مكاناً للمطبخ. لكننى إذا ما جعلت بطنى إلهاً لى تحولت كنيستى مطبخاً". كم من أشخاص لايفكرون إلا فى الأكل والشرب وإشباع شهوة الجسد. ليست لهم كنيسة بل الكل مطبخ.

* * *

يجب أن نثبت عيوننا فى أبواب المدينة: "فإن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح". هذه الكلمة

"منها" حسبما وردت في النص اليوناني لاتشير إلى السموات بل إلى باب المدينة. إنه لتفكير سام جداً أننا، ونحن نؤدى أعمالنا العادية على الأرض، نستطيع أن نثبت عيوننا في باب المدينة الذى دخل الرب منه، والذى سوف يخرج منه يقيناً ويأتى ثانية كمخلص. "التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً". "سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩ : ٢٨). في هذه الأيام الحالية المظلمة المخيفة تحتاج الكنيسة إلى ترقب المجئ الثانى. آه متى تنفتح تلك الأبواب المصنوعة من لآلئ. متى يخرج ذلك الموكب الجميل. متى يأتى الرب في غبش الظلام ممتطياً فرسه الأبيض يتبعه جند السماء. تعال سريعاً، تعال سريعاً، يا مخلص البشر، يا من بمجيئك الأول أبطلت خطيتنا، وبمجيئك الثانى سوف تكلل عمل الخلاص بإقامة جسدنا الفاسد وتغييره.

«جسد تواضعنا» : أو "جسدنا الوضيع" حسب بعض الترجمات. والواقع أن العبارة الأولى أدق في الترجمة لأن جسدنا ليس وضيعاً في ذاته، فيسوع اتخذه، ودمه اشتراه، والروح القدس يتخذه هيكلا له، وعن طريقه تنتقل التأثيرات المباركة إلى الآخرين. إنه ليس وضيعاً بل هو جسد تواضعنا، لأنه يكبلنا بقيوده ويحدنا بحدوده، ويحتاج إلى النوم والطعام، ويحتفظ في كيانه بتأثيرات الخطايا السابقة، وهو سلسلة تهبط بنا إلى أسفل عندما تحاول النهوض، وهكذا يدرك المرء شيئاً عما يشعر به النسر المقيد عندما يحاول الهرب من قفصه والتحليق في الفضاء إلى الشمس.

"جسد تواضعنا". لكنه سوف يتغير. سوف يقوم من ترابه ويتغير فى لحظة فى طرفة عين إلى شبه جسد مجده. إننا نقف على جبل التجلى ونبصر جسد مجده. إننا ننتظر أمام القبر المفتوح مع مريم ونبصر جسد مجده. وأخيراً، من جبل الصعود، نتتبع جسد مجده وننظره مضيئاً كالشمس. قد يبدو مستحيلا أن نصدق بأننا سوف نكون مثله يوماً ما وأن جسدنا الفاسد سوف ينير فى عدم فساد مثل جسده.

كيف يكون هذا؟ كيف تتم هذه الأمور؟ هنالك إجابة واحدة هى هذه: بالعمل الذى به يستطيع أن يخضع لنفسه كل شئ "بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ". ردد هذا مراراً. عندما ترى الشيطان قوياً، عندما تثور الشهوة، عندما لا تستطيع أن تكون كما تريد، عندما يبدو مستحيلا إصلاح ما فسد فى العالم وتقويم ما عوجه الزمن، ردد لنفسك هذه الكلمات كنغمة عذبة "القوة التى بها يستطيع أن يخضع لنفسه كل شئ". أيها الرب استخدم قوتك العظيمة واملك. ابدأ الآن بالإرادات العنيدة والقلوب المتمردة الشريرة، بالكبرياء والشهوة. اخضع هذه أيها المسيح وجدد أرواحنا حتى نتأهل لوطننا ولو كنا فى جسد تواضعنا، وحتى نقوم أخيراً فى عدم فساد.

فرح المجئ: يقال إنه عندما تكون السفينة محملة بالمواشى، وتكون هذه المواشى مجهدة من السفر الممل المتعب لها، فإنها حالما تشم نسيم البر

المشبع برائحة البرسيم تنتعش وتقف منتصبة كأنها قد أحست أن الرحلة قد أوشكت على الانتهاء، وأنها سوف تعود إلى مراعيها التى ألفتها. هكذا ينبغى أن نتطلع بعين الرجاء - المنعش للقوى - إلى مجئ المسيح الذى سوف يبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة (١كو ١٥ : ٢٤) ويخضع لنفسه كل شئ، ويكمل خلاصنا الذى يبدأ بالغفران والانقاذ من اللعنة، ثم يحرر من سلطة الفساد، وأخيراً يكمل عندما يتخلص جسد تواضعنا من آخر بقايا وآثار السقوط، ويقام فى الجمال الكامل الذى للصبح الأبدى.

أعجيب أن يلتفت الرسول، فى الاية الأولى من الاصحاح التالى، إلى أهل فيلبى كإخوته الأحباء المشتاق إليهم ويأمرهم بأن يثبتوا؟ كان رجاء المجد العتيد عندما تتغير هذه الأجساد الفاسدة إلى جسد مجد ربنا المقام من بين الأموات، وعندما تتحقق امتيازات وطنننا السماوى كاملة - كان كافياً لتثبيتهم كما تثبت المرساة (الهلب) السفينة. بكل المواعيد التى أعطيت إليهم، بكل الآمال التى تمتعوا بها، بكل المجد الذى كان يلمع فى الأفق - بكل هذه حثهم على أن يثبتوا فى الرب، محترسين بأن لايخسروا جعالتهم، ومنتظرين حتى يأتى ملء الزمن بملء فدائهم.

(٢٢)

الرب قريب

(فيلبى ٤ : ١ – ٦)

"إذاً يا إخوتى الأحباء والمشتاق إليهم يا سرورى واكليلى اثبتوا هكذا فى الرب أيها الأحباء.

اطلب إلى أفودية واطلب إلى سنتيخى أن تفتكرا فكراً واحداً فى الرب.

نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكى المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معى فى الإنجيل مع اكليمنضس أيضاً وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة.

افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا ليكن حلمكم معروفا عند جميع الناس. الرب قريب.

لاتهتموا بشئ بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله".

بولس ومجئ الرب: إهذا يبين عقيدة الرسول فى مجئ الرب المرتقب، الأمر الذى كان يسود تفكير الكنيسة الأولى. كان المسيحيون الأول إذا ما ودع أحدهم صديقه لاتظهر عليه علامات التأثر الشديد لأنهم كانوا يعتقدون انهم سوف يلتقون ثانية فى حضرة المسيح. كان يبدو إليهم أن كل

موجة في الهواء، وكل كارثة، وكل تغيير سياسي، إنما هي كأول نفخة لبوق رئيس الملائكة، وكوقع أقدام الملك القادم، وكان هذا الشعور بمجئ الرب المرتقب أشبه بآلة رافعة قوية ترفع أفكار ومشاعر الكنيسة الأولى إلى اسمى مستوى روحي مجيد، ذلك المستوى الذى احتفظت به الكنيسة بصفة مستمرة.

لكن الأرجح أن الرسول لا يشير هنا إلى قرب مجئ الرب بل إلى قربه هو شخصياً. (أولا) لأنه هنا يقول "الرب قريب" دون أية إشارة إلى مجئ الرب. و(ثانياً) لأنه فى آخر الاصحاح الثالث كان يتحدث بتوسع عن موقفنا كمن ينتظرون المخلص، ومما لايتفق مع هذا أن نجده بعد ذلك مباشرة يقول إن الرب هنا و (ثالثاً) انه يلذ لنا أن نلاحظ أن تطلع الرسول نحو مجئ المسيح كان بمرور الأيام يتأثر كثيراً بشعوره بقرب المسيح حتى ان كل الحياة كانت تحيا "فيه". انه لم ييأس قط من مجئ المسيح، لكنه كان يتأثر كثيراً بهذه الفكرة وهى أن الحياة كلها يجب أن تحصر فى المسيح.

الرب قريب دواماً: حين كان الرسول يملى هذه الآيات ساده الشعور فجأة أن الرب حاضر فعلا فى غرفته التى استأجرها، وانه أقرب إليه من الجندى الحارس، ومن أبفرودتس، ومن تيموثاوس ابنه المحبوب، فصرخ فى الحال وقال هذه العبارة التى حرص سكرتيره على تدوينها فى صلب الرسالة "الرب قريب. إنه معى فى غرفتى، وهو أيضاً معكم فى فيلبى، ونحن جميعاً

محاصرون بسياج حضرته الذهبي".

هنالك مثل مماثل في (مز ١١٩) حيث يتوقف المرنم وسط كتابة المزمور الرائع ويصرخ قائلا "قريب أنت يارب" (ع ١٥). كلنا نذكر أوقاتاً كهذه. لقد كنا نسير وسط بقعة جميلة حيث يجرى النهر بسرعة، وتحف به الزهور الجميلة، وتغرد حوله الطيور الرخيمة الصوت، وكل ما في الطبيعة يتجاوب مع ابتسامة الشمس. وفجأة أحسسنا بحضرة شخصية روحية، بنسمة على وجوهنا، وخفقة في قلوبنا، وإذ بذاك الذى أتى إلى يوحنا في جزيرة بطمس يأتي الينا، وإذ بمجد المسيح قد فاق مجد الشمس. "قريب أنت يارب. الرب قريب".

قريب من كل واحد منا: عندما تقف في الكنيسة مردداً صلواتك بطريقة آلية، متذمراً من التكرار، الأمر الذى فعلته ألف مرة، واقفا بدون انتباه ومصغيا إلى الذين حولك يرنمون، أو مشتركا معهم بدون وعى كثير، سامعا كلمات الخادم لكن تفكيرك منصرف إلى أعمالك العالمية أو ملذاتك، قد يأتي بغتة صوت شجى كأنه صوت أجراس ذهبية؛ فتدرك أن الوعد القديم قد تم "هناك أكون في وسطهم". دون أن يفتح الرب الباب، ودون أن تسمع وقع قدميه، قد تسلل إلى غرفة طبيعتك المغلقة، وعندئذ قلت "الرب قريب".

قوة الحضرة: أن الشعور بوجود شخص آخر معنا يخلق في البعض قوة عظيمة. فالرجل عندما يدرك أن بجانبه امرأة نبيلة فاضلة كثيراً ما يشعر كأن

يداً باردة قد امتدت إلى جبهته المحمومة، وصدته عن التمادى فى الانغماس فى الشهوة، وأعادته إلى صوابه ورجولته. والمرأة عندما تدرك أن زوجها أو أخاها أو قريبها بجانبها تشعر بقوة عظيمة، وتهدأ نفسها. عندما يستعيد البعض منا ذكريات الوالدين المحبوبين، أو خادم الله التقى الذى علمنا أثناء الطفولة، أو عندما يقرأون سيرة عطرة، فإنهم تشحذ عزائمهم وتتجدد قواهم. كم منا قد هدأت نفوسهم وكبح جماح شهوتهم عندما استعادوا ذكريات حبيب قد خسروه. كم هو جميل ومعز ومشجع أن نذكر بأن هنالك سحابة من الشهود (أرواح القديسين المنتقلين) محيطة بنا؟ (عب ١٢ : ١). لعل هنالك أشخاصاً كثيرين، رجالا ونساء، يسودهم الشعور انهم يعيشون فى حضرة ملاك غربتهم. كم مرة امتنعنا عن ارتكاب أمور شائنة والتلفظ بأقوال معيبة، وذلك لأننا كنا نحس بقرب الملائكة منا وندرك بأنهم لاشك يخجلون إن نحن تصرفنا أى تصرف مشين، وأن طبيعتهم المقدسة تؤذى عندما لانكون أقوياء ولطفاء وطاهرين.

لكن ماذا عساه يحدث إن عاش كل واحد منا لا فى حضرة زوجة فاضلة نبيلة، أو زوج قوى شجاع، أو ذكريات جميلة، أو ملاك عديم النظير، بل فى حضرة الرب يسوع، مردداً القول لنفسه بصفة مستمرة "الرب قريب". يقينا انه لن يوجد بيننا شخص واحد لاينتصب فى الحال ليحيا حياة جديدة كالزهرة التى تنقل من المنطقة المتجمدة إلى المنطقة الحارة وتحاط بالشمس بدلا من أن تحاط بالصقيع. إن كان كل واحد منا يتمثل بذاك

الذى قال انه لم يمر عليه ربع ساعة دون الشعور الأكيد بوجوده في حضرة المسيح لأصبحت الحياة أكثر طهراً واستنارة وقوة مما هى عليه الآن.

حضرة المسيح: إن الروح القدس هو الذى يذكرنا بوجودنا في حضرة الرب يسوع المسيح، فهو الروح المذكر الذى يجعله أمامنا حقيقة أكيدة، ويجمع شتات أفكارنا، ويركزها فيه حتى يتملك كل حياتنا. وهذه هى المسيحية. يعتقد الكثيرون من المسيحيين أن المسيحية هى أن نعيش في ظلال الماضى. انهم يلبثون في بستان جثسيمانى بدلا من بستان يوسف بقبره الفارغ. هذه هى عقيدة الذين لم يتعلموا بعد معنى صعود الرب. لكن المسيحية الحقة لاتتباطأ حتى تعيش فى حضرة المسيح فى المستقبل، ولاتستعيدها من الماضى، بل تعيش فى حضرته الآن بصفة مستمرة وتؤمن بأنه موجود معنا. لهذا نجد انجيل يوحنا مشحوناً بأمثال هذه العبارات: أنا هو الكرمة، أنا هو الراعى الصالح، أنا هو الباب، أنا هو القيامة والحياة. ان المسيح يعيش معنا الآن، وطوبى للنفس التى تعلمت هذا الدرس الجوهرى.

إن كل هذه الفقرة (ع ١ – ٧) تدور حول هذه الفكرة.

الثبات: "إن الرجل الذى يتقدم إلى الأمام اليوم ثم يعود القهقرى غداً، الرجل السريع التأثر كالزئبق، الذى يرتفع إلى درجة الغليان ثم ينخفض إلى الصفر، الذى يتقلب عشر مرات فى الأسبوع، فتراه اليوم فى أشد درجات الغيرة والنشاط كملاك وغداً تراه يزحف فى بطء كالحية، الذى يثور لأقل

مؤمن لكنه لايستمر طويلا على حال واحدة، لايمكن أن تكون له اختبارات مسيحية سعيدة، ولا يكون له أى تأثير فى الكنيسة أو فى العالم. قد يكون عبقرياً، لكنه بمثابة نيزك يبرق لحظة ثم يموت فى الظلام. خير ألف مرة أن يكون للمرء صديق وزميل فى الخدمة أقل ذكاء وأقل تفكيراً لكنه يشغل عقله فى فكرة واحدة ويحصر فيها جهوده. إن الرجل الذى ينجح فى الحياة ـ كما فى الحروب ـ ليس هو الذى يهجم هجمات عنيفة عابرة بل هو الذى يضع خطة معينة ويتابع تنفيذها أسبوعاً بعد أسبوع إلى أن تنجح.

الثبات فى الرب: إن مصدر الصلابة هو **الثبات فى الرب**. ورجاؤنا الوحيد فى الثبات هو فى اتحادنا بصخر الدهور.

فى أسبانيا يوجد تمثال عن الصلب، هو الوحيد من نوعه. هذا التمثال يسلط عليه نور قوى من نافذة خفية. فيه ترى يد سمرت على الصليب أما الثانية فقد مدت إلى الخارج. والفكرة التى يمثلها التمثال أن محبين أقسما يمين الولاء هناك، وبعد ذلك عندما خان الرجل الأمانة عادت المرأة لتشكو حالها عن الصليب، فنزعت اليد نفسها من الصليب وامتدت نحو المرأة، وقال الصوت "إننى شاهد". ولعل النحات القديم أراد أن يقول إنه إن كانت إحدى اليدين قد سمرت على الصليب لإتمام عملية الفداء فإن الأخرى تمتد سريعاً للإغاثة، وإن أردت معونة لكي تكون ثابتاً وجدت فى الحال معونة عندما تذكر أن الرب قريب.

وحدة التفكير: (ع ٢، ٣) "أن تفتكرا فكراً واحداً". هاتان السيدتان ـ أفودية وسنتيخى ـ قد تشاجرتا. لقد قال عنهما الرسول أنهما جاهدتا معه فى الإنجيل. يا لها من تزكية للمرأة. فى كل الأجيال كان لها تصيبها فى الجهاد بجانب خدامها. فتأمل فى مقدار ما تدين به الكنائس للمرأة. كم من كنائس كان يمكن أن تتفكك روابطها لو لم تربطها النساء معاً بأشخاصهن وبصلواتهن. تأمل فى جميع الأبناء ـ كيوحنا فم الذهب ـ الذين ربتهم أمهات مسيحيات. إننا مدينون للمرأة بجميع الترانيم والتسابيح التى كتبتها.

لكن أفودية وسنتيخى انقسمتا على نفسيهما. كانت ميولهما مختلفة فلم تستطع الواحدة فهم الأخرى. وأدرك بولس أن اكليمنضس وسائر زملائه فى الخدمة لايستطيعون التوفيق بينهما، وأنهما إذا ما أتتا فى حضرة المسيح سهل عليهما أن تفتكرا فكراً واحداً. إن الجليد الصلب يذوب فى الحال فى حضرة الشمس.

الفرح: "افرحوا كل حين". عندما يكون أولادكم حولكم، أو عندما ينتزعون من أحضانكم، عندما تنجح مشاريعكم أو تفشل "افرحوا كل حين". وسط الدموع ليكن لكم القلب الواثق المطمئن الفرح. لاتفرحوا بمواهبكم أو بنجاحكم أو بأصدقائكم بل بالرب، بحضرة الرب، لأنه معكم فى كل حين. إن سر الفرح الدائم يقوم على الشعور برفقة الفادى المستمرة

لنا.

الحلم: "حلمكم" أو "حياة التسليم" حسب بعض الترجمات أو "الأحتمال" حسب ترجمة أخرى. طبيعى أننا لن نستطيع أن نسلم فى المبادئ، أو نستسلم لأشخاص يتممون عمل الشيطان فى العالم. لكن المطلوب هو أن نستسلم فى الأمور الطفيفة التى لا تمت للمبادئ بأية صلة كما يستسلم القارب لتيار النهر. إنه من اليسير أن نحتمل كل شئ ونصبر على كل شئ ونصدق كل شئ عندما ندرك أن حضرة الرب يسوع المسيح تظللنا.

التحصن فى المسيح: "(ع ٧) "وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع" لايمكن أن يكون هذا السلام ملكاً لنا إلا فى حضرة المسيح.

يأتى الرجل إلى بيته مثقلا بالهموم التى عاناها فى عمله طول النهار فتستقبله زوجته على الباب بوجه باش ونفس هادئة عالمة أن نفسه مثقلة بالهم الشديد. وللحال تتقدم إلى خدمته وتحاول أن تعرف منه ـ دون أن تشعره بأنها قصدت هذا ـ ما حدث معه طول النهار. أما هو فإنه يبدأ بأن يفرغ أمامها كل ما بقلبه وهو لايحس بالتغيير الذى تم فيه، وإذ يفعل هذا يلين قلبه وتنتعش نفسه وقليلا فقليلا يبدو كأن ملاك السلام قد انتقل من قلبها إلى قلبه. كلنا نعرف مثل هذا الاختبار، وهذه هى فكرة الرسول أن

نعيش فى حضرة المسيح، وأن نرجع اليه من كل هم وغم، وبذلك نسمح لأنفسنا أن تهدأ وتطمئن فى حضرته.

"الرب قريب". ردد هذا القول عندما تريد أن تكون ثابتاً. ردده عندما تتشاجر أفودية وسنتيخى. ردده عندما ترى أن فرحك يوشك أن يتلاشى. ردده عندما تحتد وتثور وتظن أنه لا مبرر لكى تستسلم لغيرك. ردده عندما تكون مهموماً ومنشغل البال. ما لم تشعر بأنك فى حضرة الرب فإن أشياء كثيرة تبدو مستحيلة، مع أنها تصبح ميسورة إذا ما سلطت عليها أنوار عين الله الفاحصة.

هل ترعبك حضرة المسيح؟ إذاً فليس لك مكان فى السماء التى يسكن فيها. قدم إليه إرادتك التى لاتلين، واطلب منه أن يكسرها أو يثنيها. سلم له نفسك واطلب من الروح القدس أن يجعلك تتأكد من هذه اللحظة أن الرب قريب منك عندما تكون فى التجربة أو فى الخطية، أو عندما يعصر قلبك الهم والألم، أو عندما تكون فى حيرة، أو عند الموت، أو وقت الدينونة.

(٢٣)

حارس القلب

(فيلبى ٤ : ٧)

وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع.

حملة الرسل: أثناء تعاليم الرب لرسله التى عين فيها طريقهم وحدد مهمتهم لم يتردد عن أن يخبرهم عن العداوة التى ستقابل بها خدمتهم من العالم، إذ أنبأهم بأنهم سيكونون كحملان وسط ذئاب، سيسلمون إلى مجالس، سيجلدون فى مجامع، سيقفون أمام ولاة وملوك، سيبغضون من جميع الناس من أجل اسمه، سيطردون من مدينة إلى مدينة، سيدعون لبذل حياتهم. وهكذا سوف يقابل العالم خدمتهم بغلظة وقسوة، تلك الخدمة التى لاتهدف إلا إلى خيره.

شروط الحرب: ولم يتردد أيضاً عن أن يجردهم من كل معطل لامبرر له. فقال لهم أن لايحملوا كيساً ولا مالا، ولايحملوا مزوداً (جراباً) ليضعوا فيه مايجود به الخيرون من طعام، وأن يكتفوا بثوب واحد دون الاحتفاظ بثوب آخر من باب الاحتياط فى حالة تمزق الثوب الذى عليهم أو فى حالة تغير الطقس، وأن لا يحتذوا الأحذية الثقيلة المنعولة بحديد، تلك التى أدخلها العسكر الرومانيون إلى بلادهم، بل أن يكتفوا "بصندل" بسيط، أن

كتفوا بالعصى البسيطة إن تصادف وجودها عندهم. وإلا فلا داعى لمحاولة الحصول على عصى. وأن يخرجوا متكلين على رفقة الله لهم. واثقين من أنه على الأقل يقدم لهم الطعام. كان يجب أن يعتبروا أنفسهم كالجند الذين يتحدث عنهم الرسول فلا يعرقلوا سيرهم بحمل أى شئ من الأمتعة. يجب أن تكون حركاتهم سهلة، وقلوبهم خالية من الهم والتفكير، وإيمانهم مستمراً فى ذاك الذى دعاهم لكى يعملوا فى حقله الفسيح.

الترحيب أو عدم الترحيب: كان حاملوا الانجيل فى بداية الأمر حالما يصلون أية مدينة أو قرية يسألون أول من يلتقون بهم عن أسماء وأماكن إقامة الأشخاص المعروفين فى المكان بالكرم وحسن الضيافة. وكانوا يطلبون من هؤلاء أن يضيفوهم أثناء إقامتهم القصيرة. وإذا ما وصلوا إلى عتبة البيت كانوا ينطقون بالتحية الشرقية - بروح أكثر من روح الرسميات - وهى "سلام لهذا البيت"، ومن ثم كانوا ينتظرون ليعرفوا النتيجة.

كان ممكناً أن لايوجد ابن السلام فى البيت، أن لايوجد من يستقبلهم ببشاشة، أن لايوجد قلب خال من الهم ليرد التحية بكلمات السلام. وبدلا من ذلك قد توجد العبوسة والرد الجاف والنفور الواضح.

الترحيب حيث وجد ابن السلام: ومن الناحية الأخرى قد يوجد فى البيت ابن السلام. رب البيت نفسه أو زوجته أو صبى صغير أو أحد الخدم حامل الذكر. قد يقدم هذا الشخص ترحيباً حاراً يتم على أنه يتمشى مع

تحية السلام. وفى الحال يتبين أن هذا البيت قد عين من قبل ليمكث فيه حاملوا الجيل السلام، ويأكلون ويشربون فيه ما يقدم لهم. إلى أن يغادروه لإتمام مهمتهم في مكان آخر: يا له من ترتيب شرقي بسيط وجميل.

إن التقاء الرسل - الذين كلفوا بأن يحملوا معهم سلام المسيح - مع "ابن السلام" الذى يعيش فى بيت عبرانى حياة خاملة الذكر، والذى كان سوف ينعم منذ تلك اللحظة بسلام لم يعهده من قبل - هذا الالتقاء يوحى بأن هنالك نوعين من السلام فى العالم: سلام المسيح وسلام الإنسان، سلام يأتى من فوق وسلام يأتى من تدبير وتفكير الإنسان، سلام يفوق كل عقل وسلام فى حدود العقل.

لعل ذلك السلام الذى يفوق كل عقل يحل منذ هذه اللحظة فى قلوب كانت إلى الآن تكتفى بالقليل جداً من الحياة العادية البسيطة. لعل أحد القراء يفهم الآن - ما لم يفهمه من قبل - ما قصده يسوع حين قال "سلامى أعطيكم. ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم". من ذا الذى لايتوق إلى سلامه؟ من ذا الذى لايشتهى شيئاً أفضل من السلام الذى يكتفى به العالم؟

السلام الذى يمكن أن يُفهم: كان يوجد مثل هذا النوع من الأشخاص فى بيوت يهودية كثيرة - أشخاص لهم كرومهم. يقطفون زيتونهم، ينعمون بميراث آبائهم، متزوجون ومتمتعون بذرية صالحة. يقدمون

المساعدات اللازمة للمجامع المحلية. علاقتهم مع الجيران والأصدقاء حسنة. يساعدون الفقراء بسخاء. لا يقصرون في حضور الأعياد السنوية في أورشليم. عاشوا حياة سهلة طول السنين كالنهر الذى تسير المياه بين دفتيه في هدوء وسط المراعى الخضراء. أمثال هولاء كان يصح أن يقال عنهم إنهم "أبناء السلام". كانت بيوتهم مفتوحة لإيواء الغرباء. طباعهم حلوة وجميلة، لاتزمر على المائدة، لاندامة على عطاياهم، ليس لهم أعداء. بل محبوبون من الجميع، يشتهون كأيوب أن يسلموا الروح فى أوكارهم (أى ٢٩ : ١٨) وأن ينتقلوا من المدينة أو القرية التى قضوا فيها أيامهم السعيدة إلى حضن إبراهيم. ومع ذلك فإن سلام أمثال هؤلاء الأشخاص ليس هو السلام المثالى. فالراحة والرفاهية والسعادة التى يتمتعون بها تتوقف على ما يملكون من مبان ومن ثروات صنعوها لأنفسهم.

عينات مماثلة فى الوقت الحاضر: ألا يوجد اليوم أشخاص كثيرون مماثلون؟ إنهم يعيشون فى سعة، لهم ثروتهم. يتمتعون بصحة طيبة وروح طيبة. يعيشون فى حياة عائلية سعيدة. لهم أولاد صالحون. تحيط بهم كل وسائل الترفيه والترف. ويقيناً أن أساس سلام كهذا طيب فى حدود عقل الإنسان. إنهم يتلفتون حولهم لاكتشاف أى مصدر للقلق أو الانزعاج قد يكدر خاطرهم وإذا ما وجدوه حاربوه بكل قوتهم. يتجولون حول بيوت حياتهم ليروا مقدار مناعتها ضد العواصف والفيضانات. وإذا ما اكتشفوا نقطة ضعيفة بذلوا كل ما فى وسعهم لتقويتها. وإذ ما فعلوا كل ذلك

هجعوا داخل بيوتهم واستقروا فى سلام، متوهمين أنها قد أصبحت منيعة ضد ما قد يهب من عواصف.

بعض أساسات السلام: يقوم سلام البعض على أساس أنهم جمعوا كفايتهم من الثروة فى البنوك. وهكذا يكون سلامهم ـ إذ يتطلعون إلى شيخوختهم القادمة ـ قائماً على أساس أنهم حصنوا أنفسهم ضد الفاقة. ويقدم سلام شخص آخر على أساس أنه تحالف مع صديق غنى، أو أنه يتمتع بصحة جيدة، أو أنه يحتل مركزاً وقوراً فى الهيئة الاجتماعية، وهو يعزي نفسه إزاء ما قد يحدث فى المستقبل من أحداث بهذا القول "سوف يغيثنى صديقى أثناء محنتى. إن صحتى سوف تتغلب على ماعساه يحدث. لقد ساعدت الكثيرين ويقيناً أنهم سوف يقفون بجانبى إذا ما حان يوم الشر". ويقوم أساس شخص آخر على طريقة تفكيره التى اخترعها. والتى بمقتضاها يجيب على أى سؤال محير يوجه إليه. وهو يعتقد أنه مهما حدث من أحداث فى العالم فإنها لن تقترب منه. وهكذا يتمسك بطريقة تفكيره هذه كسياج للدفاع.

لكنها أساسات واهية: يسمى كل هؤلاء "أبناء السلام". إن لهم سلاماً يمكن فهمه بسهولة. "ليسوا فى تعب الناس. ومع البشر لايصابون" (مز ٧٣ : ٥). تنجح مساعيهم من سنة إلى سنة. لهم البيوت والإيرادات الضخمة. ويعيشون حياة عائلية موفقة سعيدة. وقد يكون لهم بعض الإيمان

في الله كأب وفاد. لكنه من اليسير أن ترى الأساسات التى بنى عليها سلامهم. إنها اساسات جميلة وبريئة. لكنها بصفة مستمرة عرضة للانهيار. إنها تذكر المرء بشخصية "روبنسون كروزو" عندما استقر في بداية الأمر في جزيرته. فإنه بنى كوخه وأقام سياجه وزرع قمحه وأقام حظائر لغنمه وأعد بندقيته. لكنه لم يعرف شيئاً عن الأرض التى كانت وراء الأشجار الكائنة على الشاطئ وكان ممكناً فى أية لحظة أن يهجم على المكان الذى اختاره موطناً له جماعة آكلى اللحوم البشرية الذين يعيشون فى المنطقة المجهولة أو قطيع من الوحوش المفترسة. لقد كان سلامه محدوداً. وكان بصفة مستمرة عرضة للزوال فجأة. إنه لايكفينا أن يكون لنا السلام القائم على الظروف الأرضية أو على امتلاك خيرات وفيرة. هنالك سلام أعمق وأجمل، هو الذى يصفه الرسول بأنه يفوق كل عقل، والذى يشير إليه ربنا عندما يقول "سلامى أعطيكم. ليس كما يعطى العالم".

السلام الذى يفوق كل عقل: كان هذا هو سلام رسل المسيح. لم يكن قائماً على أى أساس أرضى. فلم تكن لهم البيوت التى يقطنونها. ولم تكن لهم الزوجات والأولاد. ولم يدخروا ثروة للمستقبل. ولم يتمتعوا بمحبة عالمية أو ترحيب عام. ولم يحصنوا شيخوختهم العتيدة ضد عوادى الزمن. كان يبدو أنهم قد أرسلوا كأشخاص محكوم عليهم بالموت. جعلوا منظراً للعالم للملائكة وللناس. ومع ذلك فقد كان لهم سلام غير قائم بالمرة على أية ظروف خارجية، مفرحة أو محزنة. لم يكن واضحاً للعين المجردة أن عينة

سلامهم أسمى جداً من السلام العالمي الذي شرحناه. لقد كان له الارتفاع والعمق والطول والعرض التي فاقت عقول الأشخاص العاديين.

تصور رسولا قادماً إلى بيت كالذي وصفناه، خارجاً من عاصفة اضطهاد مروع. قادماً كلاجئ من مدينة بعيدة، قادماً كما أتى بولس إلى أثينا من بيرية، ومع ذلك يطفح سلام الله على وجهه ويشع من عينيه نور السماء الذي ينم عن الروح الهادئة. ألا يرى "ابن السلام" الذي سيج نفسه بكل سياج ضد الضيق والنكبات ـ ألا يرى أن هنالك سمواً إلهياً في السلام الذي حفظ قلب وعقل زائره؟

ولنعد إلى المثل السابق إيضاحه. إن سلاماً كهذا يمكن تشبيهه بقدوم سفراء من داخل المملكة التي رسا عليها السائح المسكين الذي تحطمت سفينته. لقد جاءوا لكي يخبروه أن وراء الأشجار التي على الشاطئ يوجد امبراطور محب هو ملك الملوك، وأن المملكة مملكة مسيحية، وأن شعبها سخي كريم الضيافة، وأنه تنتظره محبة أولئك الذين سوف يعيش بينهم ضيفاً. إن رسل المسيح هؤلاء الذين أعلنوا سلامه لم يخشوا الأمور التي يجهلونها لأنها معلومة لدى إلههم، لم يخشوا المستقبل لأنه "حاضر" في نظره، لم يفزعهم تغيير الظروف لأن سلامهم لايتوقف على الأشياء الخارجية بل على ذاك الذي هو الأول والآخر والذي تعهد بسد أعواز الجميع.

هذا السلام مؤسس على عمل المسيح: "المسيح هو سلامنا (أف ٢ : ١٤)، وهو قد صنع السلام بدم صليبه (كو ١ : ٢٠)، وقد جاء إلينا بهذه الأنباء أن الله قد تصالح معنا، ويريدنا أن نصطلح معه. إنه يحطم عنادنا وتمردنا، ويوفق بيننا وبين إرادة الآب، يغير القلب الحجرى إلى قلب لحمى، يعلمنا بأن خلاصنا لا يتوقف على مانشعر به بل على محبة الله الفائضة، ويقنعنا بأن ذاك الذى قدم كل تلك التضحيات من أجل خلاصنا لايمكن أن ينسى أجسادنا بكل ما تتطلبه من أعواز مختلفة، بل يعلن لنا قلب الآب الرقيق المحب المنشغل بنا دواماً.

هو السلام الذى ملأ قلب يسوع: فى كل مناظر آلام ربنا، وقت إلقاء القبض عليه وصلبه، كان سلام قلبه عميقاً كل العمق. لقد قال لتلاميذه "كلمتكم بهذا لكى يكون لكم فى سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣). لقد تفل عليه. وهزئ به وجلد، وصلب، لكن سلامه الملكى لم يعتوره الوهن لحظة واحدة. فى وسط الثورة العنيفة التى حدثت فى بستان جثسيمانى، عندما كانوا يقودونه كلص، استطاع أن يصنع معجزة ويشفى أذن ملخس. وعندما وقف أمام بيلاطس كان سلامه الملكى ظاهراً جداً حتى اقتنع الوالى بأنه لم يفعل شيئاً ردياً، وأصبح هو المدافع عنه. لقد قال، ولا يزال يقول "سلامى". السلام الذى ملأ قلبه هو عطيته لكل الذين يتحدون معه بإيمان حى.

وهذا السلام قد قصد به أن يحفظ قلوبنا وأفكارنا: إن هذه الكلمة "يحفظ" هى الاصطلاح المستعمل للتعبير عن واجب الديدبان أو الحارس. وكأن سلام الله يتمشى جيئة وذهاباً ـ كملاك حارس ـ أمام ابواب حياتنا الداخلية ليمنع كل عدو من الدخول اليها ومن كل محاولة لإفساد طهارة قلوبنا ونزاهة أفكارنا. كم مرة تهيجنا وثرنا، كم مرة انقلبت الأوضاع فينا فجأة واستشطنا غضباً، كم مرة احتدم فينا الغيظ وانفجرنا كالبركان. على أن هذه كلها يمكن التخلص منها عندما يحفظنا السلام الذى يفوق كل عقل.

شروط قبول هذا السلام: إنها ثلاثة شروط:

١ – **«لاتهتموا بشيء»**: وكلمة "لاتهتموا" مشتقة من نفس الأصل الذى اشتقت منه كلمة "غضب" وتشير إلى الاختناق الجسمانى. إن الاضطراب يخنق حياة الإيمان، يعطلنا عن مواجهة صعوباتنا. وعلاوة على هذا فإنه يفت فى عضدنا، لأن العقل يصبح مضطرباً فلا يستطيع التفكير بصفاء، واليد مرتعشة فلا تؤدى واجبها بدقة. لذلك كرر العهد الجديد النصيحة لأولاد الله قائلا "لاتهتموا" أى لاتفكروا أفكاراً مضطربة. يجب أن نحترس جداً من هذه التجارب. يجب أن نقاوم فكرة الاهتمام من بدايتها. يجب أن نهرب من التفكير فى صعوبات الغد، ونهرع إلى وجه الله الذى هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. سوف يكون معنا وقت أن نجلس فى كرسى القضاء

فيعطى الحكم نيابة عنا، سوف يقدم لنا القوة والمعونة عندما نحارب العدو.

يجب أن لانهتم بشئ، صغيراً كان أم كبيراً. يجب أن لا نجزع من العاصفة التى تهدد سلامة بيت حياتنا أو من الفار الصغير الذى يعبث فى البيت. يجب أن لانفزع من ضياع الثروة التى كنزناها فى كل السنين الماضية، ولا من ضياع دريهمات صغيرات. يجب أن لايسبب لنا أى شئ هماً فى حياتنا، لأنه لن يوجد شئ لايدخل فى دائرة عناية الله. وكل ما يسبب لنا أى ازعاج لا يغض الله الطرف عنه، فإنه عنده العلاج الشافى لكل مرض، والدرع الكافى ليرد كل سهام الأعداء خائبة.

٢- صلوا فى كل شئ: "بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء لتعلم طلباتكم لدى الله". الصلاة شئ عام، أما الدعاء فإنه خاص. كلما هدد حياتنا أقل ظل للاهتمام أو الهم فلنسرع لكى نجثو أمام الله وفى صمت الصلاة السرية نلقى همنا ونطرح أثقالنا ونسلم كل المسئولية لأبينا الكلى الحكمة. يجب أن تعلم طلباتنا. ليس هذا معناه أنه يعطى دواماً كل ما نطلب بل أنه يقرأ فى صلواتنا المعنى الذى تريد أن نضعه فيها لو أننا أدركنا تماماً ما هو أفضل لنا كما يعرف هو. ولا مبرر للتعجل أو الاضطراب أو الثورة. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتنا (أش ٣٠ : ١٥)، سوف تدخل أقل همسة إلى أذن الله، سوف يلحظ أقل نبضة فى قلوبنا، سوف يحقق كل مطالبنا، الصغيرة مثل الكبيرة.

٣ - اشكروا فى كل شئ: "بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر". تأملوا فى مراحمه الكثيرة الماضية. عددوا بركاتكم. "تذكر كل الطريق التى فيها سار بك الرب إلهك" (تث ٨ : ٢) أذكر كيف أحاط الرب بك برحمته فى مسلكك وفى سكونك، فى خروجك للخدمة ودخولك للراحة كل السنوات الماضية. ألم تكن هنالك خطة مرسومة لحياتك؟ ألا تشعر بأن هنالك قصداً إلهياً؟ ألا تدرك أن يد الخزاف كانت تصوغ حياتك لكى تكون آنية لخدمته؟ ألا تشعر أن الأسرار الغامضة التى كانت تحيرك فى الماضى قد بدأت تتكشف لك؟ ألم تهتد بعد لى مفتاح الألغاز؟ وأنت تقف الآن على قمة السنين ألا ترى بأن الطريق الذى عبرت به الوادى كان أقرب الطرق وآمنها؟

كم نحن مدينون بالشكر للعناية الإلهية التى أنقذتنا مراراً من الهلاك الذى كنا على حافته، وحفظتنا من الأفعال والأقوال التى كان يمكنها أن تعطل حياتنا. باركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس، وعندما تبدأين فى شكر الله وحمده تنقشع السحب التى كانت تلبد الجو، وتصبح السماء صافية، وينزل سلام الله كملاك طاهر جميل قوى لكى يحرس القلب والعقل من دخول الأفكار المتمردة المضطربة.

بركة السلام: "يستطيع الذين يحصلون على هذا السلام أن يفتحوا مخازنه للآخرين. كأنهم - مثل مافعلت رفقة فى القديم - يستقون مياهاً

من آبار عميقة، ويروون عطش المسافرين مما يفيض من ولائهم. إن مجرد وجودهم فى أى مكان يكفى لكى يهدئ النفس المضطربة، الأمر الذى تعجز عنه الممرضة فى المستشفى، أو الناصحون فى أوقات الشدة، أو أحكم المشيرين فى ساعة الحيرة. لما تمتد يد الكاهن لمنح الشعب البركة الرسولية والسلام الإلهى قد ينصرف الشعب بدون تعزية، بينما يستطيع المؤمن الذى حصل على سلام المسيح أن يشع منه ذلك السلام على الآخرين.

وطبيعى أن مثل هذا السلام يحتاج إلى قلب هادئ عطوف قادر على تفهم قيمته والاستجابة إلى ندائه. وكما أن آلة الاستقبال فى اللاسلكى يجب أن تتوافق تماماً مع آلة الإرسال كذلك يجب على النفس التى تطلب ذلك السلام الإلهى أن تدرك قيمته ونحن إليه. إن "ابن السلام" ينال أسمى وأنقى أنواع السلام. والله يقول دائماً لهذه النفوس: سوف ترون أعظم من هذا (يو ١ : ٥٠). إن كان قد أعطى الينابيع السفلى فإنه سوف يعطى الينابيع العليا أيضاً (يش ١٥ : ١٩).

لكن هنالك حالات يتعطل فيها منح ذلك السلام. "سلامكم يرجع إليكم". قد تثير تحية السلام غضباً أو رفضاً أو رداً جافاً. فماذا إذاً؟ هل ذهبت هباء؟ كلا، بل أن السلام يعود إلى القلب الذى خرج منه. يعود السلام إلى وكره كما عادت حمامة نوح عندما مد يده وأخذها لنفسه، أو كما تعود الأمواج الصاخبة التى تلاطم الصخر وتعجز عن أن تجد فيه ثغرة

فتعيد قوتها إلى قلب المحيط الذى خرجت منه. هكذا يعود إلى قلوبنا ذلك السلام الذى أردنا منحه للآخرين فرفضوه. إن كل مايعمل فى هذا العالم من أجل الله لايمكن أن يضيع منه شئ، وكل كلمة تقال من أجله لاتذهب هباء. إنه يحرص على أن يغنينا بالخير الذى نقصده للآخرين ولكنهم يرفضونه،

(٢٤)
ضبط أفكارنا

(فيلبى ٤ : ٨، ٩)

"أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق كل ماهو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن. إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففى هذه افتكروا.

وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فى فهذا افعلوا. وإله السلام يكون معكم".

إله السلام: تحدثنا أخيراً عن **سلام الله** الذى يحفظ القلب ـ كحارس مرتد ثياباً بيضاء ـ بعواطفه ويحفظ الأفكار بمشاغلها المزدحمة. أما الآن فلنتحدث عن **إله السلام**. ومهما كان سلام الله مباركاً وجليلا لكن الحصول على الله الذى ينبعث منه السلام أفضل جداً. ولعل أهم كلمتين فى هاتين الآيتين هما "افتكروا" و"افعلوا".

إن الشرطين اللذين يتوقف عليهما بقاء إله السلام فى القلب هما أن نفتكر وأن نفعل. إن كنت تفتكر تفكيراً سليما وتفعل فعلا مستقيما أتت حمامة السماء المباركة لتسكن فى عش قلبك. إن كل شئ فى الحياة تقريباً يتوقف على التفكير، وهذا ما يؤكده الكتاب المقدس نفسه. فسليمان

الحكيم يقول "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أم ٤ : ٢٣) ويقول أيضاً "كما شعر(١) في نفسه هكذا هو" (أم ٢٣ : ٧).

وفى هذا الاصحاح موضوع تأملنا نلاحظ ان سلام الله يحفظ أفكارنا، وفى الآية الثامنة منه نجد هذه العبارة "ففى هذه افتكروا". إن ضبط الأفكار والعقل جوهرى جداً لثلاثة أسباب:

(١) **التفكير والعمل**: لأن التفكير فى أى أمر يعدك لإتمامه إن سمحت لأى أمر أن يحتل تفكيرك، وقلبته من جميع أوجهه، أصبح ميسوراً لك إتمامه. كأن الأفكار تضع شريط الترام، ومتى وضع جرت عليه عربات العمل فى الحال. أو كأنها تمد الأسلاك التى تحمل الرسائل البرقية فى الحال. لا شك فى أن الكثيرين منكم اختبروا هذا مراراً وهو انكم إذا ما التقيتم بأزمة عنيفة فى حياتكم جزتموها بسهولة لأنكم سبق أن أطلتم التفكير فيها. وعندما أتى دور العمل بدا لكم كأنكم قد جزتم ذلك الطريق من قبل، لأن تفكيركم قد أعدكم اعداداً كلياً. لذلك كان من الضرورى جداً أن تضع أهمية كبرى على ما تفكر، لأن التفكير هو ممهد الطريق للعمل.

(٢) **التفكير والأخلاق**: والتفكير ضرورى أيضاً لأن له تأثيراً على الأخلاق كلها. كما تفكر هكذا تكون دون أن تشعر.

---

(١) أو "نوى" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "يفكر" حسب الترجمة الانكليزية.

إن فكر المرء تفكيراً ردياً تلفت حياته دون أن يشعر، ولايمكن أن يتفادى هذه النتيجة الأليمة. هنالك فلسفة عميقة فى الاصحاح الأول من رسالة رومية حيث قيل "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض... أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة". إن فكر الإنسان بصفة مستمرة أفكاراً دنسة كاذبة أصبح دنساً كاذباً. إن أخلاقنا تتشكل حسب لون تفكيرنا الداخلى. وإن فكر الإنسان دواماً أفكاراً نبيلة أصبح حتما نبيلا. إن كان كريماً فى تفكيره أصبح كريماً فى فعله. إن كان محبا رقيقا فى تفكيره أصبح محبا رقيقا فى كيانه. فالأفكار للحياة الداخلية هى آلة النسيج التى تدور نهاراً وليلا وتنسج الثوب الذى ترتديه النفس. إن عنيت بأفكارك شكلت أفكارك أخلاقك دون أن تشعر.

(٣) **التفكير والمثل العليا:** والأفكار تؤثر فينا لأننا بطبيعة الحال نسعى فى أثر مثلنا العليا. بعد أن فكر كولومبس طويلا وصل إلى هذه النتيجة أن الأرض كروية، ودفعه هذا الاقتناع إلى اتخاذ سفينته الصغيرة والاتجاه بها غربا. وفكر واشنجتون أن الحكومة يجب أن تؤسس على أصوات الشعب الحرة، وهذا قاده الى تكوين الولايات المتحدة.

قد يقرأ هذه الكلمات الشبان والشابات الذين تدور فى مخيلتهم الأفكار الكثيرة. وإن لم تكن هذه الأفكار مجرد أحلام ضعيفة فسوف يأتى اليوم

الذى فيه تتحقق ويصبح هؤلاء الشبان والشابات بركة جزيلة لجيلهم. أخى العزيز الشاب، إن لم تكن هذه الأفكار مجرد أحلام فإنها سوف تظهر ـ إن عاجلا أو آجلا ـ فى صناعتك أو عملك، فى عرق جبينك، فى استشهادك.

كثيراً ما لا نتنبه لأفكارنا: وصف يوحنا بنيان الجهل فى كتابه وقال عنه وهو يسير بجانب السائحين المتقدمين فى السن "إن قلبى طيب كقلب أى انسان آخر" ثم أضاف إلى ذلك قوله "أما عن أفكارى فاننى لا ألتفت إليها". الأرجح أن هنالك كثيرين لايلتفتون إلى أفكارهم. إنهم يتركون باب قلعة نفوسهم مفتوحاً لأى متطفل يبغى الدخول، إما من السماء أو من جهنم، وهكذا يحدث أن أفكار العالم، أفكار النجاسة، الأفكار التى ينفثها الشيطان ولكنها قد تكون فى ثياب براقة جميلة، تتدفق من باب النفس وتملأها بصخبها وعجيجها. كثيراً ما يسمح البشر ـ بدون تنبه ـ بدخول الأفكار التى يخجلون منها، وإذ تتكاثر هذه الأفكار تفعل ماراق لها. هذا هو السبب الذى من أجله تجد قلبك فى بعض الأحيان مليئاً بالانفعالات النفسية. وما ذلك إلا لأن عدو الخير قد تسلل خفية مع جنوده مرتدياً ثياباً جميلة وألقى المفرقعات. هذا هو السبب الذى من أجله تصبح قلوبنا مليئة بالبغض والحقد وكل الأفكار الشريرة، بأفكار ضد الله وضد أخينا الإنسان. وذلك كله راجع إلى اننا لانحرص على حراسة باب القلب.

فكر تفكيراً وقوراً: فكر بحرص، بوقار، كما يحدثنا الرسول. احرص كل الحرص كيف تفكر. تستطيع القول انك تستطيع أن تحيا الحياة التى تريدها إن عنيت بما تفكر. فى المصانع الكبرى يفحص الحراس العمال غير العاديين قبل السماح لهم بالدخول، ويراقبونهم عند خروجهم. فى المستشفيات الكبيرة يفحص الزوار عند دخولهم لئلا يأتوا للمرضى بأطعمة فاسدة تعطل العلاج. لو أننا سلطنا نور كلمة الله الفاحص على كل فكرة تبغى الدخول إلى قلوبنا لكشف خبث ونجاسة أفكار كثيرة. لو انه كان لنا رقيب واقف على أبواب قلوبنا لامتحان كل فكر يدخل إليها، نعم لو كان لنا الملاك "ايثوريل" الذى تحدث عنه "ملتون" الشاعر الانكليزى المعروف، والذى بينت لمسة رمحه أن الشيطان كان رابضاً بجوار أذن حواء يهمس إليها بأسرار، لتبينا مراراً أن الأفكار التى كانت تبدو بريئة ليست إلا أفكاراً شيطانية تحاول الدخول لتنفث فينا سمومها.

صراع الأفكار: يبدو أن صد تيار الأفكار الشريرة التى تهدد كياننا هو ما يعنيه الرسول بولس عندما قال إنه صلب مع المسيح. فى بداية تجديد الحياة لانشكو من شئ بقدر الصراع بين تلك الأفكار الشريرة وبين المبادئ الجديدة القويمة التى دخلت حديثاً. راقب باب قلبك مدة بضع ساعات، وانظر إلى مقدار الألم الذى تعانيه من استبعاد الأفكار التى تشك فيها. عند البدء فى هذه العملية سوف يتعلم الكثيرون ـ وربما كان ذلك لأول مرة ـ معنى صليب المسيح. قد يتصبب العرق من جبينك فى الصراع العنيف ضد

بعض الأفكار الخلابة جداً التى تبدو جميلة بريئة جذابة كأنه لا شئ فيها من الشر قط. فى الأيام السالفة عندما كان المستوى الروحى لايزال ضعيفاً، عندما كان المرء لايتبين خطر التجربة الجاثمة وراء الأفكار الجذابة البراقة، كان يسمح لها بالدخول، أما الآن فما أعظم الصراع الذى يدور عند باب النفس، ليس فقط ضد الأفكار الواضح شرها بل أيضاً ضد الأفكار التى قد تبدو جميلة خلابة.

* * *

لكن لو أن الأمر اقتصر عند هذه المراقبة الدائمة والصراع المستمر ضد الأفكار الشريرة لأصبحت الحياة لاتحتمل. فاذكر إذاً أننا يجب أن لانقتصر عند الموقف السلبى بل يجب أن يكون موقفنا إيجابياً، وأن قانون الحياة المسيحية ليس هو الهدم بل البنيان، وأن رجاءنا ليس فى قبر المسيح بل فى قوة قيامته. لهذا يقول الرسول "ففى هذه افتكروا"، ويقدم ستة مقاييس للتفكير:

فكر فى الحق: "كل ما هو حق". ابعد كل كذب عن عقلك، واسمح للحق فقط بالدخول، لأن كل حياة، كل حكومة، كل تدابير سياسية، كل أعمال عالمية، كل أعمال تجارية، كل الكتب والخطط التى لاتؤسس على الحق لابد أن تنهار إن آجلا أو عاجلا. لو أنه أتيح لك أن تزور هذا العالم فى المستقبل لو جدت ان الأكاذيب، التى تظهر على مسرحه الآن وتبدو

ناجحة وقوية، قد زالت وتلاشت. فكر فى كل ما هو حق.

فكر فى كل ما هو جليل: وكلمة "جليل" فى اليونانية تعبر عما هو وقور، عما يبعث على الاحترام. فابعد عن عقلك كل ما هو شائن، واسمح بالدخول فقط لكل ما هو خليق بالله.

فكر فى كل ما هو عادل: "كن عادلا عدلا نسبياً فى تقديرك للآخرين، وفى اعطائهم حقوقهم. إن كانوا أسمى منك فكن عادلا فى انتقادك لهم، إن كانوا فى مستواك عاملهم كما تحبهم أن يعاملوك، وإن كانوا أقل منك فكن عادلا. تجنب كل ظلم فى القول أو الفعل، فكر فى كل ما هو عادل.

فكر فى كل ما هو طاهر: هنا مجال الصراع أمام الشاب لكى يصد كل الأفكار الدنسة مهما كانت مزينة جميلة، ولكى لايسمح بالدخول إلى قلبه إلا لكل ما هو طاهر طهارة كاملة، طاهر كالنرجس الأبيض، كالنور، مثل جو الله.

فكر فى كل ما هو مسر(١): تلك الصفة التى تتمشى مع (١ كو ١٣) والتى تصدر عن قلب المحبة، وتذيب ثلوج محبة الذات التى تراكمت فوق الآخرين.

---

(١) أو "صفة محبية" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية.

فكر في كل ما صيته حسن: كالقدماء الذين شهد لهم ونالوا صيتاً حسناً (عب ١١ : ٢)، كمريم التى قال عنها الرب يسوع "عملت ما عندها"(١) (مر ١٤ : ٨)، وكالرجل الذى أخذ العشر الوزنات الذى قال له الرب "نعما أيها العبد الصالح والأمين". يقول الرسول: افتكروا فى كل ما هو فاضل، فى كل ما ينال الرضا من الله والناس.

لتقف هذه الست أخوات على باب نفسك، وتفحص كل فكر يريد الدخول، ولا تسمح بالدخول إلا لكل ما يبرهن على أنه حق وجليل وعادل وطاهر ومسر وأن صيته حسن. يارب دع هذه الستة الملائكة تدخل إلى نفوسنا، وإلى أن نقف أمامك فى اليوم الأخير امنحنا أن نترك ضبط طبيعتنا إلى هذه الملائكة القادرة على كبح جماحها لكى يبعد كل ما لا يتفق معها ويدخل كل ما يتفق معها ويملأنا ويسكن فى داخلنا.

مثل أعلى: قد تقول إن هذا مثل أعلى من مستوانا وفوق مقدورنا. لكن اسمع، يجب أن نصدق بأن كل هذه الصفات قد اكتنزها الرب يسوع لأجلنا. كانت لديه فعلا وقد أظهرها فى كمالها عندما أشهرها فى وجه التجربة التى جرب بها. لقد أشهرها فى وجه أعنف التجارب التى قدمت إليه. إذ تأنس وشابهنا فى كل شئ ما خلا الخطية. كان يحتفظ بكل هذه الصفات الجليلة. ثم أرسل الروح القدس لكى يعيد طبيعته فى كل من

---

(١) أو "صنعت ما فى وسعها" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية.

يؤمن.

لكنه ينال بالإيمان: الإيمان هو القوة التى بها ننال فى قلوبنا طبيعة يسوع المسيح بالروح القدس، وهكذا بدلا من أن نتحدث عن العدل والطهارة وضبط النفس وغيرها من الصفات النظرية الكثيرة نتحدث عن ذاك الذى تجسمت فيه هذه الصفات. بالإيمان نقبله، وإذ نقبله نقبلها. فاسمح للروح القدس بأن يجعله حباً فيك.

سبق أن قلنا دع هذه الست أخوات تقف على الباب وتمتحن كل الأفكار. لكن الأفضل أن نقول: دع يسوع المسيح يقف على الباب ويمتحنها، لأنه يقدر، لا على امتحانها فقط، بل أيضاً على صد تيار الأفكار الشريرة بمنتهى السهولة التى بها يقدر أن يعيد مياه شلالات نياجرا إلى خلف إن أراد. تقول الفلسفة الصوفية، وهى مجرد فلسفة نظرية: "راقب أفكارك". أما الفلسفة المسيحية فتقول: دع المسيح رقيباً على أفكارك، فيمحصها ويصد الشرير منها ويملأ النفس بحلوله المجيد.

هذا هو سر حلول إله السلام فينا. إنه يحل فى القلب الذى حفظ من الأفكار الشريرة وامتلأ من الروح القدس. "إله السلام يكون معكم".

(٢٥)

كل شئ مستطاع للمؤمن

(فيلبى ٤ : ١٠- ١٣)

"ثم إنى فرحت بالرب جداً لأنكم الآن قد أزهر أيضاً مرة اعتناؤكم بى الذى كنتم تعتنونه ولكن لم تكن لكم فرصة.

ليس أنى أقول من جهة احتياج فانى قد تعلمت أن أكون مكتفيا بما أنا فيه.

أعرف أن أتضع وأعرف أن أستفضل فى كل شئ وفى جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص.

أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى".

لم تتمكن كنيسة فيلبى أن ترسل أية مساعدة مالية لمؤسسها المحبوب مدة عشر سنوات. لم يكن ذلك لأن محبته لهم أو محبتهم له قد فترت بل لأنهم "لم تكن لهم فرصة". لقد سبق أن ساهم أصدقاؤه فوق طاقتهم فى مساعدته لسد أعواز إخوتهم الفقراء فى اليهودية. وعلاوة على هذا فقد أرسلوا مرة ومرتين لسد أعوازه هو شخصياً. وبعد ذلك توقفت مساعدتهم بعض الوقت. لكنهم أخيراً اشتعلت محبتهم له فى سخاء شديد ـ أثناء عوزه الشديد مدة سجنه فى روما ـ وأرسلوا بيد ابفرودتس برهاناً قوياً على أن

اعتناءهم به "قد أزهر مرة أخرى".

لقد كان موثقاً لكنهم قبلوه بفرح: كان هذا مصدر ارتياح عظيم للرسول المجرب بشدة. لقد مس طبيعته الكريمة. كان دليلا على أن المحبة التى قدرها تقديراً عظيما جداً كانت بصفة مستمرة جديدة وقوية. كان يرى بأن الرب نفسه قد ارتضى بالتضحيات التى قدموها. لكنه أسرع بأن أضاف على ذلك أنهم يجب أن لا يتوهموا لحظة أن قناعته وسلامه يتوقفان على الهبات المادية. لم يكن سر سعادته قائماً على الظروف بل على سلام القلب، لم يشأ أن يعترف بأن فرحه قد نقص لما تأزمت ظروفه، أو أنه قد ازداد لما تحسنت تلك الظروف، إن سلامه يتحدى الزوابع لأنه قائم فى المسيح. لقد كان له سر الرب. كانت حياته الداخلية محصنة بجبال حماية الله العالية، كانت معه الحصاة البيضاء التى كتب عليها اسمه. لقد أرادهم أن يفهموا بأنه لم يفكر لحظة فى إهمالهم الطويل له، لو أنه تكلم بسبب حاجته، لأنه تعلم أن يكون قنوعاً فى أى وضع وجد فيه "فانى قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه"(١)

إن القناعة مطلوبة فى هذا العالم المتقلب: يقولون إن القناعة تقدم كل النتائج التى ينسبها البعض لحجر الفيلسوف(٢)، وإنها إن لم تقدم

(١) أو "فانى قد تعلمت أن أكون قنوعا فى أية حالة كنت فيها" حسب ترجمة اليسوعيين.

(٢) حجر وهمى بحث عنه الكيماويون طويلا كوسيلة لتحويل المعادن إلى ذهب.

الثروة فإنها تخدم نفس الغرض بأن تلاشى الشهوة للثروة. أليس هذا صحيحاً؟ فإننا نصبح أغنياء إما بالحصول على الكثير من ثروة هذا العالم أو بفقد شهوة الحصول عليها، بتوفر كل شئ، أو بالقناعة عند انعدام كل شئ. ويقيناً أن الحالة الأخيرة أكثر أمناً وسعادة فى عالم متقلب كهذا.

يشبه العالم بصفة مستمرة بالبحر بتقلبات تياره وتغيراته المستمرة بين الزوابع والهدوء. يذكرنا إشعيا بالبحر المضطرب الذى لايستطيع أن يهدأ (أش ٥٧ : ٢٠). ومساكين هم أولئك الذين ركزوا كل آمالهم فى هذا العالم المضطرب، الذين لا ثبات لهم فى ممتلكاتهم، لكنهم عرضة بصفة مستمرة للتقلبات والذعر. إن كنت تقنع بالقليل الذى لك فهذا أفضل جداً من أن تكون لك ثروة طائلة تستثمر فى سوق الأوراق المالية التى قد يخرج المرء منها ثرياً جداً اليوم ومعدماً غداً. وحسنا تحدث الرسول فى رسالة تالية أخرى عن "غير يقينية الغنى" (١) (١تى ٦ : ١٧) وحث تلاميذه على أن لا يلقوا رجاءهم عليه بل على الله الحى "الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع".

فى اختباراتنا البشرية كثيراً ما شاهدنا الجبال تنحرف إلى قلب البحار، والمياه تزأر وتضطرب، والصخور تزعزعها المياه الجارفة. فى مثل هذه الأوقات يحسن الالتجاء إلى شاطئ النهر الذى تفرح سواقيه مدينة الله (مز ٤٦ : ٤). لما نكون مستقلين عن الظروف، ونتجداها بصفة مستمرة، لما نكون سعداء

---

(١) أو "الغنى الغير الثابت" حسب ترجمة اليسوعيين.

فى وقت الجوع كوقت الشبع، لما نكون مستريحين وقت الحاجة الشديدة كوقت الثروة الوفيرة، لما نتشبه بالبوصلة التى لا تتأثر بالمرة باهتزازات السفينة، لما نمتلك لؤلوة السلام الإلهى التى لن تمتد إليها يد الهموم والاضطراب لتسلبها ـ يقيناً أننا بهذا فقط نتبين نور الحياة الذى لايبقى بعد تحت رحمة الظروف بل يشبه الأشعة القوية التى تخترق السحب الكثيفة، وتخترق العاصفة نفسها دون أن تزعزعها الرياح.

كثيراً ما وجدت هذه القناعة حيث كان لاينتظر وجودها: أين نجدها؟ حيث امتلأت المخازن بالحنطة، والحظائر بالمواشى؟ حيث اتسعت الأملاك؟ حيث غاصت الأقدام فى السجاد الثمين وتوافرت الأثاثات الفاخرة فى القصور العظيمة؟ حيث لا يسمع أى أثر لأنين الحياة الخارجية أو لهموم المادة؟ كلا، فحيثما توفرت كل أسباب الراحة والرفاهية توفرت الشكوى والأنين وعدم القناعة.

قد تكون الأسباب الداعية إليها حقيرة أو سطحية: قد يكون هنالك جمال أفضل، أو بيوت أكثر فخامة، أو شخصية أكثر جاذبية، قد يكون الطقس أكثر برودة أو أكثر حرارة.

إن أردنا أن نجد القناعة فلنذهب إلى البيوت التى نرى فيها نساء أقعدهن الروماتزم أو نشب فيهن السرطان أظفاره، التى لم تتوفر فيها وسائل الراحة، التى لايغشاها الكثيرون من الأصدقاء، التى تمول بحسنات الخيرين وهى

لاتكفى الضروريات. هنالك يمكن أن تجد القناعة سبيلها إلى القلب. كثيراً ما انعدمت القناعة فى بيوت الأغنياء وتوفرت فى بيوت الفقراء. كثيراً ما انعدمت وقت الصحة وتوفرت وقت المرض.

هكذا كان الحال مع الرسول بولس وقتئذ، وقت أن كان فى أشد أوقات حياته ظلمة. كان موثقاً فى يد جندى رومانى، محبوساً فى غرفة ضيقة، لا يرى إلا القليلين جداً من الأصدقاء الذين سعوا إليه بشق النفس، لا يحلم بأيام حياته السعيدة الأولى، يرى مقدماً القصاص المروع الذى سوف يوقعه به نيرون ـ ومع ذلك يتحدث بهذه العبارات الرائعة التى تنم عن هدوء نفسه. لقد تعلم أن يكون هادئ النفس فى وادى ظل الموت، لقد وضع على صدره زهر "البنسيه"(١).

القناعة نعمة مسيحية فائقة الوصف: إن فكرة القناعة ماثلة فى أذهان البشر بصفة مستمرة، لكن قوة تحقيقها معدومة. فمثلا نرى أن "سيسرو" الذى كتب مجلدات يحث فيها على الشجاعة والبطولة قد أتعب أصدقاءه بتذمراته الصبيانية الكثيرة عندما نفى، مع أن نفيه لم يكن متعباً بأى حال. هكذا كان الحال مع "سينكا" الذى شحن كتبه بعدم المبالاة بالألم وبتحمله بروح البطولة، لكنه حالما نفى من روما ملأ الجو صخباً وشكوى، ولم يخجل من السقوط عند قدمى رجل حقير راجيا منه أن يسعى لإنقاذه من

---

(١) زهرة يروى أن رائحتها تريح القلب السقيم.

أسره، والحصول على إذن له للعودة من سردينيا إلى العاصمة.

أما الرسول العظيم فقد كان يختلف عن هذه العينات كل الاختلاف. فبالرغم من أنه كان محروماً من كل وسائل الراحة، ملقى فى السجن وحيداً فى تلك المدينة الغريبة المترامية الأطراف، لا يقطع حبل الصمت سوى صليل السلاسل التي قيدت بها يداه ورجلاه، لايتوقع إلا فم الأسد أو السيف، فانه يتحدث عن القناعة بكل هدوء ورزانة.

لم تكن قناعة بولس قائمة فى رضائه عن نفسه: فى الأصحاح السابق يحدثنا بأنه لم ينل لكنه يسعى إلى الأمام بصفة مستمرة. لقد رفض أن يكتفى بما عمله لنفسه أو للآخرين، كان كل سعيه منحصراً فى أن يدرك ما أدركه المسيح لأجله. لكنه فى وسط عدم قناعته بالبركات الروحية أو بالخدمة كان قانعاً بظروف نصيبه من الحياة. إذ تطلع إلى فوق إلى وجه يسوع اعترف بعدم قناعته، وإذ تطلع حوله إلى السجن والسجان والمستقبل كان قانعاً القناعة المطلقة طالما كانت هذه كلها متمشية مع إرادة الله من نحوه، وطالما كانت المحبة اللانهائية قد سمحت بها.

لقد تاقت نفسه أن يرجع الناس من الظلمة إلى النور، من سلطان الشيطان إلى الله. لم يكن يقنع إلا بأن يرى ربه ملكا متوجاً على العالم. وبذل قصارى جهده ـ حسب عمل روح الله المقتدر ـ لكى يحضر كل إنسان كاملا فى المسيح يسوع (كو ١ : ٢٨). لقد اشتركت روحه الوثابة

فى نفس آلام المسيح من أجل جسده أى الكنيسة. كان راضياً بأن يحرم من المسيح من أجل إخوته اليهود غير المؤمنين. لكنه وسط كل هذا كان قانعاً بنصيبه الضئيل الذى عاش به فى هذا العالم المضطرب. كان يكفيه جداً أن الله هو الذى أراد بهذه الظروف، وأن المسيح هو شريكه وصديقه. كانت روحه هى روح المرنم حينما قال "من لى فى السماء. ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض. قد فنى لحمى وقلبى. صخرة قلبى ونصيبى الله إلى الدهر" (مز ٧٣ : ٢٥، ٢٦).

لقد تعلم بولس فن القناعة: كما أن ربنا تعلم الطاعة مما تألم به (عب ٥ : ٨) هكذا تعلم الرسول القناعة بممارستها. لقد مرن نفسه وهذبها وعلمها إذ كان بصفة مستمرة يطبق صليب المسيح على آماله وآلامه وعلى كل ميل للشكوى والتذمر. لقد عود نفسه على أن ينظر للناحية المنيرة لكل شئ، أن يضع أهمية على ما بين يديه لا على ما ينقصه. كانت عادته فى الحياة أن ينال نصيبه من يد الله وأن ينظر إليه على أساس أنه قد أعطى إليه بحكمة كاملة ومحبة كاملة. لقد رفض أن يصغى إلى إيحاءات المجرب الشريرة. نعم إننا نستطيع أن نعمل كثيراً لكى ننمى موهبة القناعة، فعنصرها موجود فى قلوبنا بنعمة الله، لكن الزهرة والثمرة تتطلبان اهتمامنا المستمر.

ثلاثة شروط لنعمة القناعة:

(١) **يجب أن نعيش فى إرادة الله**: كل شئ من الله، والله صالح.

كل ريح إنما يهب من ناحية محبته، كل عاصفة إنما تقربنا من الميناء، كل كأس إنما قد مزجها أب أرواحنا .وإن كانت يد يهوذا هي التي قدمتها. يستحيل أن يلقى المرء في الجب بيد أخوته إلا إن سمح الله بذلك، ولذا فخليق بنا أن نقول مع يوسف "ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله. فمرن نفسك أيها الأخ على الاعتقاد بأن دائرة إرادة الله لا تشمل ما يأمر به فحسب بل ما يسمح به أيضاً. إن إرادته من نحوك أن تشبع اليوم أو تجوع غداً، أن تمتلئ اليوم أو تكون فارغاً غداً، لكل شئ تعليله عنده ولو لم يذكره، ويجب أن تكون قنوعاً لأنك تعلم أن التعليل مقبول عنده.

(٢) يجب أن نلتفت إلى المسيح كمتمم لحاجياتنا: يكفينا يسوع المسيح. كلما اشتدت حاجتنا كثرت عطاياه. "لعديم القوة يكثر شدة" (أش ٤٠ : ٢٩) . هو حكمة للجاهل، قداسة للنجس، محرر للمستعبد. أظهرت معجزاته أن غنى طبيعته الملكية سد أعواز الذين حوله، وطهارته طهرت لحم الأبرص الدنس، وحياته سكبت الحياة في الموتى، وقوته أعادت النشاط والقوة إلى المفلوج. فاقبل من المسيح "نعمة فوق نعمة" وانظر إلى فراغ نفسك وعوزك كمبرر قوى لكي تطلب منه كل شئ.

(٣) يجب أن نفعل كل شئ بقوة المسيح: قال إشعيا النبي "منتظرو الرب يجددون قوة" (أش ٤٠ : ٣١) . إنهم يبدأون الحياة بقوة الشباب، التي تفتخر بأنها قادرة على تحقيق أحلامها بقواها الطبيعية، لكنهم إذ تتقدم بهم

الأيام يكلون ويجهدون "الغلمان" (الشبان) يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً. وعندئذ يتعلمون بأن يلجأوا لقوة "إله الدهر خالق أطراف الأرض" الذى "لايكل ولا يعيا" (أش ٤٠: ٢٨ - ٣٠). لا يعود موسى يتكل على قواه الواهنة، بل على ينابيع القدرة السرمدية. لايعود بطرس يباهى بقدرته على اتباع المسيح حتى إلى الموت، بل يقبل قوة الروح القدس ومسحته ويصبح جسوراً كالأسد. لا يعود بولس يتحدث عن أجداده الفريسيين وكل الصفات التى كان يحسبها ربحاً، لكنه يقنع بأن يكون ضعيفاً مع المسيح لكى ينال قوة الله ويعتمد عليها.

إن تجديد القوة هذا يجب أن يكون نصيب كل واحد فينا. مهما كانت حاجتنا يجب أن نطلبها من ملء الله فى المسيح. عندما نكشف للرب عوز نفوسنا فإنه يسكب قوته فى طبيعتنا العديمة القوة. نعم إنه لا يمنحنا قوته فقط بل يكون فينا قوة الله للخلاص. نحن لانحتاج إلى مجرد قوة المسيح بل إلى المسيح مانح القوة، لكى تتمكن من أن تقول مع الرسول "أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" سواء فى الحياة أو فى الموت، سواء فى القلة أم فى الكثرة، سواء فى الشبع أم فى الجوع.

مارس هذه الشروط الثلاثة تتعلم - ربما فى ساعات التجربة الحالكة أو فى شدة الآلام - فن القناعة التى تغنى حياتك أكثر مما لو تفتحت لك أعظم كنوز الدنيا.

(٢٦)

امتلأ لكي يملأ

(فيلبي ٤ : ١٤ - ٢٠)

"غير انكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي.

وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا إنتم وحدكم.

فانكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إلى مرة ومرتين لحاجتي.

ليس أني أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم.

ولكني قد استوفيت كل شئ واستفضلت. قد امتلأت إذ قبلت من أبفرودتس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله.

فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المسيح يسوع.

ولله وأبينا المجد إلى دهر الداهرين. آمين".

سبق أن وضح الرسول أنه إن كان لم يتقبل شيئاً من كنيسة فيلبي مدة طويلة فإنه لم يتذمر بل أدرك أنه لابد أن تكون هنالك أسباب كافية لتوقف

هباتهم. لم ينكر أن ظروفه الخارجية كانت فى شدة الضيق، لكنه كان قنوعاً لأنه تبين إرادة الله فى كل ظرف واستطاع كل شئ بمعونة المسيح الحي. لقد وجد أن حاجياته الشرعية قد توفرت، وأن الله تصرف معه كما تصرف مع ايليا الذى كانت تسد أعوازه اليومية الغربان وأرملة صرفة الفقيرة. وعلى أى حال فقد فرح لأن أصدقاءه استطاعوا مرة أخرى أن يرسلوا إليه بعض الامدادات، ليس من أجله فقط بل من أجلهم أيضاً. ليس لأنه كان يطلب العطية بل الثمر المتكاثر لحسابهم.

العطية وأجرها: لم تفعل كنيسة من أجل بولس ما فعلته كنيسة فيلبى. فى الأيام السالفة أرسلوا مرة ومرتين لسد أعوازه. والآن فإن عطيتهم المقدمة على يد أبفرودتس أضافت كثيراً جداً إلى حسابهم. إنها "نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله". كيف يستطيع أن يكافئهم من أجل العطايا التى أرسلوها لما كانوا قادرين: ومن أجل الرغبة فى الإرسال لما لم يكونوا قادرين؟ كان واضحا أنه يجب أن يكون بصفة مستمرة مديناً لهم بمساعداتهم المادية مع انعدام الأمل فى إيفاء هذا الدين. لكنه كان يستطيع أن يصلى ويقدم الطلبة لأجلهم، وأن يذكر السيد بأن كل عطف أبدى نحو العبد يضع إلتزاماً كريماً على السيد، ومن كل هذا نشأ ذلك الإعتقاد الراسخ بأن الله يملأ كل احتياجهم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع.

«يملأ»: هذه تربط الآية السابقة بالآية الحالية. لقد امتلأ الرسول لأنه قبل من أبفرودتس عطايا أصدقائه، والآن يملأ الله كل احتياجهم. إن ما فعلوه له في العالم السفلى يكافأ من الله فى العالم العلوى. إن الكيل الذى كالوا به من مخازنهم للرسول السجين يرد إليهم فائضاً، لا بحاجات جسدية،بل بغنى السماء الذى لا يستقصى الذى فى المسيح يسوع.

أعطوا تعطوا: ها هو الناموس الثابت لعالم الله. "أعطوا تعطوا. كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم" (لو ٦ : ٣٨). اقرض المسيح سفينتك بضع ساعات بعد الظهر لكى تكون منبراً عائماً له يعلم منه الجماهير، وعندئذ يعيدها إليك مليئة بالسمك (لو ٥ : ١ - ٧). ضع عليتك تحت تصرفه مدة وجبة طعام واحدة يملأها وكل البيت بالروح القدس الخمسينى. ضع فى يديه أرغفة الشعير والسمكتين تجده انه لا يشبع جوعك فحسب بل يضيف على ذلك اثنتى عشرة قفة مملوءة كسراً.

لقد قدم أهل فيلبى لخادم الله المتضيق جداً ثلاث أو أربع عطايا، فكان لهم الحق أن يتوقعوا منذ تلك اللحظة أن الله سوف يسد كل أعوازهم. هكذا تكافأ خدماتنا البسيطة مكافأة جزيلة. إننا نخدش وجه الأرض ونبذر بذارنا الضئيلة وفى ظرف بضعة شهور نجد الأرض قد تغطت بمحصول وفير جداً فتعوض بمائة ضعف تلك البذرة الواحدة التى كان يبدو انها ذهبت

أدراج الرياح.

مكافأة الله لنا: يرفض الله أن يكون مديناً لأى امرئ. أنه يدون فى سجلاته حساب كل النفقات التى ينفقها أولاده لإغاثة الآخرين ثم يسددها مع رباً. عندما أراد السامرى الصالح مغادرة فندق القرية فى الصباح بعد ذلك العمل الرائع الذى أجراه، وهو إسعاف المسافر الجريح، قال لصاحب الفندق "اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك" (لو ١٠ : ٣٥) لاشك فى أنه كان معروفاً فى الطريق، وطالما ذهب إلى الفندق من قبل، وقد أثبت نبل أخلاقه بنبل تصرفاته. كان القوم يعرفون أنه إذا قال كلمة التزم بها. وأنه مهما أنفق أكثر على المريض فلابد أن يوفى.

إن صدق هذا على الإنسان فإنه بالأولى يصدق على الله. إنه يسلم إلينا حالات كثيرة يهتم بها هو كثيراً، وفى كل حالة يقول لنا "اعتن به ومهما أنفقت أكثر أوفيك". ألا تصدق الله؟ بحسب إيماننا يكون لنا.

لكن اعط بسرور: لذلك فكلما وجدنا دافعاً لمساعدة الآخرين فلنفعل ذلك كما لله، ليس فقط لمجرد الشفقة الإنسانية بل أيضاً بباعث الشعور القوى بالالتزام لأبينا السماوى. لنفعله بفرح وكرم وسخاء، "المعطى المسرور يحبه الله". وعندئذ تحدث ثلاثة أمور:

(١) إننا نبعث موجة من الشكر فى نفس متعبة مجهدة، ونشجعها لكى ترجو الله لأنها وجدت أن رجاءها فى الإنسان لم يذهب هباء.

(٢) إن رائحة العمل العطرية تفيح عندما تصعد إلى فوق لتختلط مع تسبيح وخدمة السماء. لا داعى بعد لتقديم ذبائح كفارية، لأنها بطلت بالذبيحة التى قدمها ربنا عندما قدم نفسه لله بلا عيب مرة واحدة (عب ٩ : ١٤). لكن هنالك مجال فى عهد النعمة لتقديم ذبيحة التسبيح (عب ١٣ : ١٥) وذبيحة أنفسنا الحية (رو ١٢ : ١) والذبيحة المقبولة المرضية عند الله، ذبيحة مساعدة الآخرين كما يخبرنا هذا الاصحاح من رسالة فيلبى..

(٢) ولنا أن ننتظر أيضاً بأن يملأ الكيل إلى حافته الذى كنا نكيل به للآخرين، وأن نوقن بأنه سوف يملأ كل احتياجنا بحسب غناه. إن كان مكيالنا قد امتلأ رملا أعاده إلينا ممتلئاً ذهباً، إن امتلأ حصى أعاده إلينا ممتلئاً ماساً، إن امتلأ بالمساعدات للحاجيات الجسدية أعاده إليا فائضاً بالبركات الروحية.

فعل الخير يعقبه الفقر: قد يتساءل البعض قائلين إن الكثيرين ممن أعطوا بسخاء من أجل الله قد أصبحوا فقراء، ويبدو كأن الخير الذى فعلوه قد تبدد أدراج الرياح، وأنهم لم ينالوا أى أجر يخفف عنهم نكبات الفاقة. وهنا نقدم ثلاث إجابات:

الأولى: ربما تكون المساعدات لم تقدم بالعين البسيطة لمجد الله، بل بباعث أدنى لحب الظهور والشهرة، ولذلك فقد نالوا أجرهم. لقد فعلوا الخير لكى ينظرهم الناس فنالوا تقدير الناس ومدحهم ولم ير الله أى التزام

ليعطى أجراً آخر.

الثانية: قبل أن تعمل نواميس العالم الروحى هذه عملها معنا يجب أن نطبقها على حياتنا بالإيمان. فكل وعد يحتاج أن نطالب به. وكما أن مصدر الكهرباء لايتقدم لكى ينير لنا الغرفة إلا إذا أدرنا مفتاح الكهرباء إذ نقترب من الباب، كذلك يجب أن لانشكو من أن نواميس العالم الروحى لم تقدم إلينا أية مساعدة إلا إذا كنا بالإيمان نتقبل خدمتها. لذلك فكلما قدمنا أية مساعدة لإغاثة المحتاجين تأكدنا أننا نضع أموالنا فى كيس الله الذى لايبلى، وكنوزنا فى السماء، وأموالنا فى خزانة أمانته واثقين من أننا سننال الأجر. إن القاعدة العامة هى أنه فى هذا العالم يوجد أجر لكل مساعدة نضعها على مذبح إنكار الذات. ليس على سبيل أجرة بل على سبيل نعمة. يجب أن لانقدم المساعدة لكى ننال الأجر. بل عندما نقدم المساعدة باسم المسيح. وإتماما لقصده الفدائى. يجب أن نثق أن الله سوف يملأ كل احتياجنا بطرق قد لاتخطر لنا على بال.

الثالثة: يجب أن يكون مفهوماً أنه إن كان هنالك ضيق واضح لكن قد تكون هنالك ثروة من القناعة، كنز من السلام والفرح، حجارة كريمة من النعمة الروحية. وهذه هى غنى المجد الذى يتحدث عنه الرسول هنا. عند بدء حياتهم أعطوا عطايا زمنية، والآن وقد بدأ نهار الحياة يميل يعطيهم الله لا عطايا مادية بل روحية. لقد زرعوا الجسديات والآن يحصدون الروحيات

(١ كو ٩ : ١١).

أجر الله: "كل احتياجكم" إن لنا احتياجات كثيرة منذ اللحظة التى نستنشق فيها أول نسمة فى هذا العالم إلى النسمة الأخيرة. فالطفل له حاجياته البدائية، والشيخ له حاجياته التى تلزمه وقد وهنت قواه وأصبح يعتمد على الآخرين. للجسد مطالبه المادية، والعقل يتعطش نحو الحق، وللقلب أشواقه، التى لاتشبع، نحو المحبة، وللروح مطالبها الروحية. إن طبيعتنا البشرية حزمة كبيرة من الحاجيات، وهى تطالب بها بصفة مستمرة. وكلما تقدمت المدنية ازدادت حاجياتنا وتنوعت.

الحاجيات والميول: يجب أن نميز بين حاجياتنا ورغباتنا. من الممكن أن نشتهى أشياء كثيرة لسنا فى حاجة إليها. وكثيراً ما اشتهينا أشياء تضرنا كثيراً إذا حصلنا عليها. اشتهى بولس أن يتخلص من شوكته، لكن حاجته الحقيقية كانت المزيد من النعمة. إننا نشتهى أشياء كثيرة لايمكن لأبينا السماوى أن يعطيها لنا لأنها مؤذية. لايوجد أى وعد بأن الله يسد كل رغباتنا أو ميولنا، لكن هنالك وعد كبير بأنه يسد كل حاجتنا.

قد يقرأ هذه الكلمات بعض ممن لهم حاجيات ملحة، فهم فى حاجة إلى الأرشاد، إلى مساعدة ضد التجربة، إلى تنشيط الحياة الروحية، إلى الخبز اليومى، أو إلى الوظيفة. فليتشجع كل هؤلاء واثقين أن الله سوف يملأ كل حاجتهم "فيملأ إلهى كل احتياجكم".

إن المسيح هو إجابة الله لحاجتنا: المسيح "مذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢ : ٣) "لأنه فيه سر (الآب) أن يحل كل الملء" (كو ١ : ١٩) "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢ : ٩) إن طبيعة المسيح، الله المتجسد، مليئة بكل ما يسد أعواز شعبه. فهو "يملأ الكل فى الكل" (أف ١ : ٢٣). يستطيع الذين يثقون فيه أن يقولوا كما قال الرسول عن مساعدات أهل فيلبى "قد استوفيت كل شئ واستفضلت. قد امتلأت إذ قبلت من المسيح الأشياء التى أتت من عند الله والمتوفرة فيه بغنى لغناى وشكرى".

إن تعليم الرسول مشحون بهذه الفكرة. فمثلا نراه يقول "أشكر إلهى فى كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم فى يسوع المسيح. إنكم فى كل شئ استغنيتم فيه" (١كو ١ : ٤ ، ٥). ويقول أيضاً "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح" (أف ١ : ٣). ويؤكد الرسول بطرس نفس الفكرة "لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى" (٢بط ١ : ٢، ٣):

إن المسيح يكمل كل نفس. وكما أن وجه القمر المظلم يبدأ هلالا ثم يكمل إلى أن يصير بدراً، هكذا يجعل الفادى من نقص كل واحد منا إنساناً كاملا. كلما اشتد نقصنا كثرت مساعداته.

الضرورة القصوى: أما الضرورة القصوى فهى أن نقبل هذه الحقيقية كما هى، ونتقبل كل الكنوز المعدة لنا فى الرب المقام لكى ننتفع بها. كثيراً ما تصرفنا كأننا نستطيع أن نسد أعوازنا من مواردنا المحدودة بدلا من أن نعتقد بأن كل حاجياتنا متوفرة لدى ابن الله وأننا فى كل لحظة نستطيع ان نلجأ إلى كفايته الكاملة. ماذا تظن فى مستخدم أرسل إلى بلاد بعيدة لفتح فرع لمؤسسة تجارية كبيرة فحاول أن يسد كل النفقات اللازمة من ماهيته المحدودة، بينما أمره رئيس المؤسسة أن يسحب على حسابه أى مبلغ يراه ضرورياً؟ ونحن نرتكب نفس الخطأ عندما نحاول أن نسد حاجيات حياتنا من مصدر آخر غير الثروة غير المحدودة الموضوعة لحسابنا فى يسوع.

روى الدكتور ريتشارد نيوتن قصة عن رجل هندى فى غاية الفقر وقال إنه منذ بضع سنوات سافر إلى بلد فى الغرب باحثاً عن الطعام لكى لايهلك جوعاً. شوهد شريط زاهى اللون حول رقبته وتدلى منه كيس صغير قذر. ولما سئل عن الكيس أجاب بأنه تعويذة أعطيت إليه فى حداثته. فتح الرجل الكيس وأخرج منه ورقة مهلهلة وأعطاها للسائل الذى إذ قرأها تبين له أنها وثيقة موقع عليها من جورج واشنطون نفسه تبين أنه كان جندياً فى الجيش الأمريكى الاتحادى وتخول له حق الحصول على معاش مدى الحياة. هنا رجل فى يده وعد موقع عليه توقيعاً قانونياً لو أنه قدمه فى المكان المناسب لحصل على معاش لائق، ولكنه مع ذلك كان يهيم على وجهه فى شدة

الحاجة والفاقة يتسول الطعام لكى لايهلك جوعاً. ألا تصور لنا هذه الرواية الكثيرين من المسيحيين الذين هم فى عوز لكل شئ مع أنهم يمكنهم أن يكونوا أغنياء ممتلئين؟ وعلة ذلك أن إيمانهم لم يتقدم إلى خزائن مواعيد الله ليطالب بتحقيقها.

إننا نتعامل مع أب: لنذكر بأننا نتعامل مع أب. "ولله وأبينا المجد إلى دهر الداهرين". إن عين الآب على أولاده، ويد الآب ممتدة لاسعافهم. فلنتشجع. عصفوران يباعان بفلس واحد وخمسة عصافير تباع بفلسين، أى أن العصافير رخيصة جداً حتى أن العصفور الخامس يعطى بدون ثمن. وهذا العصفور الخامس لايسقط على الأرض بدون إذن الآب. ويقيناً أننا أكثر قيمة من عصافير كثيرة، ولذا فلنا أن نعتمد عليه الاعتماد المطلق. لم يسمع فى العالم أن هنالك طيوراً أو أسماكا أو أشبالا أو أطفالا لم يعد الله لها الطعام الذى علمها أن تطلبه. وهو لايمكن أن يفعل معنا أشر منها.

يجب أن لايخطر ببالنا لحظة واحدة أنه غرس فينا حاجيات لا يستطيع أو لايريد أن يوفيها. إن كل ما علينا هو أن نعتمد عليه، ونسير فى الحياة بسخاء مستعد بأن يعطى، وبثقة كاملة مستعدة بأن تأخذ، ولتعلم طلباتنا لديه، ولننل منه كل حاجياتنا التى منها ينشأ المجد إلى دهر الداهرين لذاك الذى يحبنا ويعتنى بنا ويعولنا،

(٢٧)

تحيات ختامية

(فيلبى ٤ : ٢١ - ٢٣)

"سلموا على كل قديس فى المسيح يسوع. يسلم عليكم الإخوة الذين معى.

يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.

نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين"

(كتبت إلى أهل فيلبى من رومية على يد أبفرودتس)

الأرجح أن الرسول عند هذه النقطة أمسك بيده القلم الذى كان سكرتيره يدون به آراءه الرائعة، لكى يدون به تحيته بيده شخصياً بأحرف غير جميلة، هى التى أشار اليها فى رسالة غلاطية (٦ : ١١).

"سلموا على كل قديس فى المسيح يسوع". كانت هنالك فوارق كثيرة بين التلاميذ فى تلك المدينة النائية. كان البعض يعيشون حياة مسيحية سامية، لكن كانت تعوزهم روح الوئام. كان آخرون تسودهم المنازعات الفريسية التى كان منشغلا بها هو شخصياً فى أيامه الأولى. كان هنالك غيرهم ممن يستطيعون تفهم أعمق التعاليم عن طبيعة المسيح على قدر ما تسمح به لغة البشر. وعلى أى حال فقد كان يكفى أنهم كانوا "فى المسيح يسوع"، وأن المسيح قد قبلهم، وأنهم قد هربوا من الفساد الذى فى العالم بالشهوة، وأنهم قد أفرزوا لقصد ابن الله المجيد، ولذلك استطاع صديقهم الأمين أن يضمنهم أجمعين فى تحيته الرقيقة.

كم هو جميل عندما تمكننا المحبة المسيحية من أن نسمو فوق المنازعات الحزبية وسوء الفهم الناشئ من الاختلافات فى الطباع والتعليم، وبذلك ينظر كل منا للآخر كعضو في الجسد الواحد، وغصن فى الكرمة، فيصلى من أجل الآخر ويهدى إليه النعمة بالكتابة والعمل. فلنسلم على كل قديس سواء كان ينتمى إلى كنيستنا أو إلى أية كنيسة أخرى. ويكفى أن نعلم أنهم شركاء معنا فى نعمة الله، وأنه إن كان الله يحبهم فلابد أن يكون فيهم شئ محبوب يمكن أن تتعلق به قلوبنا.

* * *

تواضع بولس: هنا لاتشتم أية رائحة لروح التسلط أو الترؤس فى هذه الكلمات البسيطة.. فإنه إذ أرسل تحيته الشخصية يسرع بأن يقرن مع اسمه أسماء زملائه في الخدمة أمثال تيموثاوس ومرقس أو رفقائه فى السفر أمثال لوقا وسيلا، أو المؤمنين البارزين المقيمين فى رومية الذين كان لهم حق الدخول إلى المنزل الذى استأجره. لقد كانوا إخوة غير معروفين له معرفة وثيقة، لكنه اعترف بأن لهم الحق أن يحيوا قديسى فيلبى مثله، وأسرع فى دعم رسالته الشخصية بتدوين تمنياتهم الطيبة لهم.

مما هو جدير بالملاحظة أن الرسول كان يميل دواماً إلى وجود أشخاص آخرين معه فى خدمته المسيحية. فان رفقتهم له أكسبته قوة وتعزية. والمرجح أنه تشبع بروح المعلم الذى أرسل تلاميذه اثنين اثنين. كان فى بعض الأحيان يلازمه برنابا، وفى أحيان أخرى سيلا، وفى أحيان أخرى مرقس. فى افتتاحية هذه الرسالة يبين كيف كانت صلته وثيقة بتيموثاوس ابنه فى

الإيمان. اثنان خير من واحد. عندما يشترك معنا فى أية خدمة شخص محبوب يكون ذلك لنا مصدر تشجيع وقوة.

* * *

ثروة المحبة المسيحية: "يسلم عليكم جميع القديسين". يدون الرسول أولا تحيته إلى كنيسة فيلبى، ثم تحية الاخوة الذين كانوا معه، ويبدو أن صوته بعد ذلك حرك دائرة أوسع من المحبين، فأرسل إلى تلك الكنيسة فيضاً من عواطفهم. المرجح جداً أن القديسين الذين يرسلون تحيتهم هنا هم الذين سبق أن حياهم وذكرهم بأسمائهم فى الأصحاح السادس عشر من رسالة رومية. يقرر البعض أن الكثيرين ممن دونت أسماؤهم فى الأصحاح الأخير من رسالة رومية قد وجدت أسماؤهم منقوشة على بعض القبور، وكانت لهم مراكز فى بيت الامبراطور. يخص بالذكر من هؤلاء امبلياس وابلس وروفس وهرميس والسيدتين تريفينا وتريفوسا. والأرجح أن هؤلاء كانوا ضمن "جميع القديسين".

هكذا كانت هذه الرسالة المفعمة بالمحبة وسيلة لاتحاد هذين المركزين الرئيسيين المتباعدين. لقد أتي ابفرودتس برائحة طيبة من فيلبى إلى رومية، والآن تحمل هذه الرسالة رائحة عطرية من مسيحى رومية إلى فيلبى. هكذا كانت الكنائس فى كل الأجيال تتبادل الرسائل والعواطف في أدب مسيحى.

* * *

القديسون الذين خُصوا بالذكر: "ولا سيما الذين من بيت قيصر". يقول بعض المفسرين إن "بيت قيصر" اصطلاح أطلق على عدد وفير من الأشخاص لا فى رومية فقط بل أيضاً فى الأقاليم، كانوا كلهم عبيداً لقيصر أو عبيداً سابقين، وكانوا يشغلون وظائف فى الامبراطورية. والمرجح جداً أن هذا الاصطلاح كان يشمل عبيداً فى البيت يقفون أمام الامبراطور، وجنوداً أمكنهم بحكم ملازمتهم لبولس فى سجنه أن يسمعوا رواية الخلاص ويستجيبوا لنداء يسوع. ولعل الاصطلاح كان يشمل أيضاً دائرة أوسع هى دائرة الأعيان والفرسان والمتعلمين والأغنياء. كان "بيت قيصر" يضم عدداً وفيراً من الأشخاص المختلفين. كان كثيرون منهم مخصصين لتنفيذ مهمة الاعدام والقتل بقسوة ووحشية، ودس الدسائس الدنيئة. لكن كان بينهم الكثيرون من ذوى الأخلاق الفاضلة الذين وجدوا أنه من الميسور أن يكونوا أتباعاً ليسوع فى وسط هذا الجو الصاخب الذى ملأ قصر نيرون. إنه من الميسور للمرء أن يكون مسيحياً فى القصر الملكى كما فى كوخ حقير، فى المجتمع الراقى كما بين الفلاحين والعمال، وسط الحكام كما فى وسط الفقراء والمعدمين. فالأخلاق لاتتوقف على الظروف. يستطيع يوسف الاحتفاظ بطهارته وسط مفاسد مصر، ويستطيع دانيال الاحتفاظ بروح الصلاة وسط عبادة بابل الوثنية.

قد تختلف الظروف، ففى بعض الأحيان تساعد على نمو الأخلاق المسيحية، وفى أحيان أخرى لا تساعد. لكن المسيحية توجد فى كل الأجواء وتزدهر فى كل تربة. إنها تشبه حبات القمح التى يمكن أن تنمو فى تربة وادى النيل كما تنمو فى البرارى الغربية.

إن تجمع جماهير كثيرة جداً من المؤمنين فى كل بقاع العالم المعروف بواسطة مجهودات أولئك الخدام الذين كانوا يقولون ببساطة كما قال الرسل "تعال وأنظر" ليفسر السبب فى غيرة خدام الله فى تلك الأيام السحيقة التى لم تكن فيها مؤتمرات كبيرة ولا وعاظ مقتدرون فى الفصاحة.

* * *

البركة الختامية: ق"نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم". تبدأ الرسالة بالنعمة (ص ١ : ٢) وتختم بالنعمة. من المستحيل أن نعبر عن كل ما تشمله هذه الصلاة المركزة. هذه الكلمة "نعمة" تشمل استنارة للروح، محبة للقلب، قوة للعقل، طهارة للأخلاق، مساعدة فى كل أوقات الحاجة، إرشاداً فى كل أوقات الحيرة والارتباك. كان مستحيلا على الرسول أن يعرف بالتفصيل كل الظروف التى يجوزها أصدقاؤه وسط تجارب فيلبى وأخطارها، لكنه أرادهم أن يدركوا أن نعمة الرب يسوع المسيح تحيط بهم من خلف ومن الأمام كل حين فى كل مكان، تحيط بهم فى خروجهم وفى دخولهم، تظللهم فى رقادهم وفى قيامهم، ترفعهم إلى فوق نحو الله، وأنها ترس وأجر جزيل لهم،

خاتمة للمعرب

أسس الرسول بولس كنيسة فيلبى فى رحلته التبشيرية الثانية وكانت أول كنيسة أسسها فى أوربا. وقد ذهب إلى مدينة فيلبى على إثر رؤيا رآها إذ كان يكرز فى آسيا الصغرى، رأى فيها رجلا مكدونياً يقول له "أعبر إلى مكدونية وأعنا". وكانت عادته أن لايعاند الرؤى السماوية، ولهذا قام فى الحال إلى مكدونية، وكانت فيلبى أول مدينة حل بها. فكرز فيها. وكان أول من قبل الإيمان فيها امرأة غنية فتح الرب قلبها اسمها ليديا. وآمن أيضاً فى فيلبى حارس سجن رومانى كان بولس مسجوناً فيه. وعدا ذلك لم يؤمن من هذه المدينة سوى أفراد قلائل جداً.

وبالرغم من هذه البداية الصغيرة فإنه لم ييأس ولم يفشل بل ظل يولى هذه الكنيسة عنايته حتى نمت وانتعشت وأصبحت قوية جداً بعثت سروراً عظيما إلى بولس. ولم يوجد فيها من الأخطاء ما كان فى غيرها من الكنائس الأخرى. ولذلك خلت من أى توبيخ أو تعنيف أو حل للمشاكل كما هو الحال فى سائر رسائل بولس الأخرى، سوى إشارة عابرة إلى اختلاف فى الرأى حدث بين سيدتين عاملتين جاهدتا معه فى الكرازة بالإنجيل، هما أفودية وسنتيخى، طلب منهما "أن تفتكرا فكراً واحداً فى الرب" (ص ٤ : ٢).

كان بولس مثقلا جداً بسبب الأعباء الكثيرة عليه كل يوم، و"الاهتمام بجميع الكنائس"، عدا الاضطهادات العنيفة التى لقيها (٢كو ١٢ : ٢٣ - ٢٨) ومع ذلك فقد خص كنيسة فيلبى باهتمام خاص، وأحبها محبة

خاصة، بغض النظر عن المتاعب الكثيرة التى كابدها فيها من أعدائه، فقد ضرب بالعصى ضربت كثيرة، وألقى فى السجن، وضبطت رجلاه فى المقطرة (أع ١٦ : ٢٢ - ٢٤).

وقد كتب الرسول هذه الرسالة إذ كان مسجوناً فى رومية فى سجنه الأول، كما كتب معها فى نفس الفترة رسائل أفسس وكولوسى وفليمون. وبالرغم من ضيقة السجن الجسدية والنفسية فان هذه الرسالة مليئة بالفرح أكثر من غيرها، إذ تكررت فيها كلمة الفرح ومرادفاتها ١٧ مرة.

* * *

وخير ما نختتم به هذا الكتاب هو أن نلخص بعض التعاليم الموجزة التى نستقيها من هذه الرسالة، كآخر ما يعلق بالذهن بعد التعاليم الكثيرة جداً التى اكتظ بها هذا الكتاب:

(١) إن كانت بداية خدمتنا تبدو ضعيفة وتافهة فيجب أن لانيأس أو نفشل طالما كنا مخلصين فى الخدمة. ولنذكر بأن بداية الملكوت فى القلب أو فى الجماعات قد تكون مثل حبة الخردل التى، وهى أصغر جميع البذور، متى نمت تصبح شجرة عظيمة جداً.

(٢) إن الرب قد يحول الضيق إلى فرج، ويخرج من المر حلواً فان سجن بولس فى رومية الذى قصد به العدو شراً ليحد من نشاطه فى الكرازة بالإنجيل قصد به الرب خيراً، وحوله إلى وسيلة لزيادة انتشار الإنجيل (ص ١ : ١٢ - ١٤).

فليتشجع أولاد الله، ولتتشجع كنيسة الله إن هاج العدو وقصد بهم شراً، واثقين بأن الرب القادر على كل شئ يستطيع أن يخرج من الشر خيراً، ويحول آلات التدمير إلى وسائل للبناء، ويحول كل الأشياء لكى تعمل معاً للخير للذين يحبون الله.

(٣) والرب قادر أن يحول الضيق، لا إلى فرج فحسب، بل إلى فرح وغبطة وسرور. فإن رسالة فيلبى - رسالة الفرح - كتبها بولس فى رومية من سجنه. وعندما كان بولس محبوساً فى مدينة فيلبى بالذات، تقطر من جسده دماء الضربات الكثيرة، كان يسبح ويرنم (أع ١٦ : ٢٥). وعندما كان استفانوس على وشك أن يرجم ظهرت علامات الفرح على وجهه وهو واقف أمام المجمع ليحاكم "فشخص إليه جميع الجالسين فى المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع ٦ : ١٥). عندما تكثر الهموم فى داخلنا فان تعزيات الله تلذذ أنفسنا.

فليبارك الرب هذه التأملات الهادئة لكى تكون بركة لنفوس الكثيرين. وليتمجد اسمه القدوس من الآن وإلى الآبد آمين،

القس مرقس داود

فهرس

لنفس المعرب

الكتاب	المؤلف
حياة يوسف	دكتور ف. ب. ماير
حياة إبراهيم	دكتور ف. ب. ماير
حياة إيليا	دكتور ف. ب. ماير
حياة أرميا	دكتور ف. ب. ماير
حياة يشوع	دكتور ف. ب. ماير
حياة داود	دكتور ف. ب. ماير
حياة زكريا (نبى الرجاء)	دكتور ف. ب. ماير
حياة بطرس	دكتور ف. ب. ماير
حياة بولس	دكتور ف. ب. ماير
حياة يوحنا المعمدان	دكتور ف. ب. ماير
حياة اسرائيل	دكتور ف. ب. ماير
حياة موسى	دكتور ف. ب. ماير
المسيح فى أشعيا	دكتور ف. ب. ماير
تفسير رسالة رومية	متى هنرى
تفسير نشيد الأنشاد	متى هنرى
تفسير سفر الجامعة	متى هنرى
تفسير هوشع	متى هنرى
تفسير نحميا	متى هنرى
تفسير اجيل متى	متى هنرى
تفسير رسالة فيلبى	دكتور ف. ب. ماير
تفسير المزامير	للقديس أوغسطينوس
تجسد الكلمة	لأثناسيوس الرسولى
رسالة ضد الوثنيين	لأثناسيوس الرسولى
رسائل عن الروح القدس	لأثناسيوس الرسولى
جياة أنبا أنطونيوس	لأثناسيوس الرسولى
تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصرى	
كيف تدرس الكتاب المقدس	
تفسير قداس الكنيسة القبطية	
قداسات الكنيسة الأثيوبية (انكليزى وعربى)	
قداسات الكنيسة الأثيوبية (جيز وأمهرى)	
أمثلة المسيح	
حياة المسيح حسب انجيل مرقس	
خيمة الإجتماع	
الكهنوت	
الذبائح	
شهادة علم الآثار للكتاب المقدس	هودجكن
مزمور الراعى	دكتور ماير
أسرار الحياة المسيحية	دكتور ماير
مخلصون ومحفوظون	دكتور ماير
أضواء على الحياة اليومية	دكتور ماير
القراءات اليومية فى الكتب السماوية	

رسالة فيلبي

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)